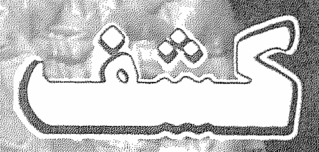
نزيه الشوفي



كشف الحقائق التاريخية



التضليل التوراتي .. والوعي الوثني



تصدير: روجيه غارودي

تقديم: بيير روسّي



www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

كشف الحقائق التاريخية

التلفيق التوراتي والوعي الوثني

تاليف : نزيه الشوفي
تصدير : روجيه غارودي
تقديم : بيير روسي

الأوائل
للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية
دمشق ص.ب ٣٣٩٧ هـ ٢١٢٣٧٥٣

الطبعة الثانية
(مزيدة ومنقحة)

الطبعة الثانية

عدد النسخات ٢٠٠٠ نسخة

موافقة الاعلام/م -٤١٩٣٨/ ٩٨

دمشق ١٩٩٨

طبع في مطبعة الزمردة للطباعة الالكترونية

صلخد هـ :٧٥٠٥٩٥ / ٠١٦

ملاحظة :

كل نسخة تصدر عن أية دار نشر غير هذه النسخة فهي ناقصة ومغشوشة..

فيرجى إعلام المؤلف على رقم الهاتف ٦٣٣٧٥٨٧ - دمشق

وشكراً ....

تصدير، بقلم المفكر الحر روجيه غارودي

Aux écrivains et au peuple syrien
cet effort pour démystifier l'histoire
du dernier demi siècle, pour que ses
falsifications ne servent pas de
justification à de nouveaux crimes.

Aux écrivains syriens,
fraternellement

28.7.96

R. Garaudy

أحيي سورية وشعبها، عبر هذا الجهد المكرس لفضح التزوير
تاريخي الذي تعرض له النصف الثاني من هذا القرن...
والى مزيد من العمل من أجل الحد من هذا التزوير، كيلا تتاح
مجرم فرصة اخرى لتسويق جرائم جديدة.
تحيتي الأخوية إلى كتّاب سورية.

روجيه غارودي

مقدمة الطبعة الثانية

بكل اعتزاز ومحبة، أقوم بطباعة هذا الكتاب مرة ثانية، لالتلافي الأخطاء الكثيرة والفادحة التي اعتورت الطبعة الأولى، بل للاهتمام، منقطع النظير، من القارئ العربي العزيز بهذا الكتاب، إذ نفذت نسخاته في غضون ثلاثة أشهر، وهذا هو الدافع الحقيقي الذي يشجعني على متابعة البحث للوصول الى الحقيقة.. والحقيقة انما هي بنت البحث المقرون بالإخلاص والنزاهة، وبه يتسنى لنا الوصول الى الحقيقة التي لايجانبها إلا كل من سُدل على عيني بصيرته حجابٌ كثيفٌ من الزيف المقيت والتعصب الذميم، وهذه حال مزيفي التاريخ وأعداء الحقيقة (الصهاينة) الذين يمثلون أخطر ظاهرة على التاريخ والبشرية..

وفي الختام، أتوجه بالشكر الى المفكر العربي الدكتور طيب تيزيني الذي تفضل بقراءة الكتاب وأبدى رأيه مكتوباً، الذي اعتز به....

ولا يفوتني أن أشكر الاستاذ أنطون مقدسي لمنعه تشجيع هذا الكتاب لكونه يخالف كل ما يطرحه -وهذا رأيه- فاشكره لصراحته التي نبهتني الى ما يمكن أن يؤثر الرأي على الموقف...

وكل الشكر والامتنان إلى القارىء العربي العزيز ..

وكم تكون سعادتي غامرة إذا ما اطلعني على رأيه وما يثير هذا البحث لديه من جدل وآراء ...

راجياً ألا نحيد عن طريق الكشف الذي سلكناه على الأيام ولا نبدل تبديلاً ....

دمشق / نيسان ١٩٩٨

نزيه



مقدمة

بقلم المؤرخ الفرنسي: بيير روسي[1]

نعتقد أن في العالم منبعين روحيين (فقط) لاثالث لهما وهمـــا: المســيحية والإسلام. ذلك لأنهما يمثلان تاريخا واحداً، ومرجعين أو موروثين دينيين فـــي حيز جغرافي واحد، أي على أرض واحدة.. وهما يناقضان اليهودية تمامــــا.. سواء من حيث أنهما دينان شموليان واليهودية مذهب جزئي، أم لأنهما تكامليان في الزمان والمكان واليهودية منعزلة في الزمان والمكان..

والفكر بعامة، والفكر المسيحي والإسلامي، بخاصة، غير محــدود لافــي الزمان ولا في المكان، ولايؤطر في اللحظة التاريخية المنكفئة، أو لايمكــن أن يحصر انطلاقة العقل وحدوده. فهو دون حدود، أو أن حـــدود هـذا الكــون،

(١) كاتب ومؤرخ- ولد في جزيرة كورسيكا (التي ولد فيها نابليون) أما سنة مولده فقــد قال مجيبا على سؤالنا أثناء لقائنا به:"إنني بعمر إهرامات مصـــر لكننــي ولــدت عــام ١٩٢٠م".

له من الأعمال خمسة عشر مؤلفا ترجم الى العربية اثنان منها:مدينة أوزيس أو تــاريخ العرب الحقيقي (ترجمة فريد جحا) ومفاتيح الحرب(ترجمــة الاســتاذ الراحــل عيســى عصفور).

شارك في الحرب ضد ألمانيا النازية. وربطته علاقة صداقة وثيقة مع الرئيس الراحـــل شارك ديغول خولته أن يكون وسيطا بين فرنسا وثوار الجزائر مما أسهم في نيل الجزائر استقلالها، حكم عليه بالاعدام من قبل الحكومة الفاشية، وهــذه إحــدى وقفــات روســي الانسانية النبيلة.. درّس تاريخ الأدب اليوناني واللاتيني والهندي والألماني في جامعــات فرنسا.. ولم يزل أحد كبار مستشاري وزارة الخارجية الفرنسية لشؤون الشرق العربي.. وقد ورث عن أبائه مهمة رعاية شؤون المسلمين (والأوقاف الاسلامية في فرنسا) وعندما زار دمشق في ١٠/٥/١٩٩٧.

عرضت عليه مخطوط هذا الكتاب فغمرني بلطفه وقرأه بعناية ثم قدم هذه المقدمة وفاض علينا بمعرفته وأفكاره النبيلة بما أضاف إلى هذا الكتاب قيمة كبرى مشكوراً..

وضفافه حرة حرية هذا العالم.. وقد أكد القرآن الكريم على ذلك في غير آيـــة، حيث أكد على ديمومة الفكر وأزليته السرمدية، أكد على أن الفكر لايموت..

أما اليهودية فهي على عكس ذلك تماما، ضيقة الأفق ومحصورة في إطار محدود، منعزل في الزمان والمكان، منكفئة على ذاتها في حيز -غوييم- ضيق منحسر، وقد عزلتها في هذا الغوييم أو المكان الجزئي.

وللمقارنة، والتدليل على هذه اللمع الاصطلاحية نقول بـأن الأزليــة فـي اليهودية مهمشة، وهذا هو أول فارق ما بيـن اليهوديـة الضيقـة والمسـيحية والإسلام المتناهيين.. وهي تعيش مع نفسها ولنفسها، فيما أن المسيحية والإسلام يعيشان في ديمومة وتوحد مع السماء والأرض في آن معاً..

وهناك رسالة للسيد المسيح جاء فيها بأن اليهود الذين يعيشون بين ظهرانيه يحبسون أنفسهم في عصبة بشرية منغلقة.. وقد توجهوا إليه بالسؤال عن رؤيته لابراهيم، فقال: أنا موجود قبل ابراهيم، إذا أن ابراهيـــم إنســـان، وأنـــا روح إلهية...

وبهذا يكون المسيح قد هـــدم إطـــار الزمـــن لأنـــه روح أزليـــة وضـــد القيود...بمعنى أن الروح تحيا إلى الأبد، فهي أزلية.. وهذا مايجعل اليهوديـــة تناقض تماماً روح المسيحية والإسلام..

ولهذا السبب وغيره من الأسباب حكم اليهود على السيد المسيح بالإعدام.. وكان إعدامه تناهياً في المطلق واكتمالاً لرسالته الروحية وسرمديتها.. وبقيـت اليهودية ساكنة ضيقة مؤطرة في الحالة الراهنة وفي الزمن..

ولنمثل على ذلك بنقطة الماء الغريبة في مياه النهر، فهي تتحرك في مياهه كحبة أو نقطة مغايرة لمجرى النهر، فيما أن مياه النهر كما الفكر تتحرك بشكل أزلي دون توقف في الزمن، وهذا مثال يتطابق تماماً مع المذاهب (اليهودية)..

وقد جاء في النصوص البابلية القديمة(نصوص نينوى) أن اليهودي معنـــا المؤمن بإله واحد.. وهي إذاً كلمة بابلية قديمة، أي قبل وجود اليهود بقـــرون. ومن هنا، من هذا الاصطلاح البابلي نحدد الزمـــن أو العصـــر الـــذي يســـقد التهويمات والادعاءات التاريخية والانتروبولوجية المزيفة.. ثم جاء الصليبيو فيما بعد وقالوا (في تعابيرهم الشفوية) أن المسيحيين غير مؤمنين.. وبهذا كانو

مذهبيين ولم يكونوا مسيحيين متناهين في الزمان والتاريخ.. وقد استغل اليهود هذه التعابير الاستعمارية وعملوا على تجسيدها في الحقب التالية.

وقد عرفنا عبر النصوص العربية القديمة أن اليهودية مذهب وليست ديناً، وكلمة يهودي البابلية تعني المؤمن بالله، فيما تصر نصوصهم على أنها دين لكن دون إشارة ... فيما تثبت الوثائق والحقائق بأن المسيح عربي جسداً ولساناً وديناً.. وبما ينفي الادعاءات الكاذبة.. وأما يهود اليوم فهم ليسوا يهوداً.. ولاهم يهود حقيقيون.. فهم لاينتمون إلى أعراق المنطقة رغم كل محاولاتهم لتنسيب أنفسهم إلى الأجداد والأمهات القدامى وهذا زيف واضح.. لأن كل معطيات التاريخ والحضارات القديمة قد خلت من أي ذكر لهؤلاء اليهود ومن أي وجود حضاري أو مدني عبر مراحل وعصور حضارات الشرق كافة...

وإذا علمنا بأن الحضارة العربية هي أقدم من الإغريقية من حيث الأسبقية التاريخية والثقافية-المعرفية. فإن الإغريقيين من مثل (أفلاطون) قام بدراساته في ليبيا، وغيرها من الوطن العربي، وفي آسيا الصغرى كما نعلم... وقد قاموا بدراسات لتاريخ الحضارة اليونانية فوجدوا تشابهاً كبيراً بين الحضارتين. أمدت الإغريق بالأبجدية، التي هي فينيقية، والفينيقية قبل الإغريقية بقرون عديدة.. ويمكن إلقاء الضوء على ذلك بالقول إن الحضارة العربية-والشرقية عموماً أخذت تنتشر نحو الغرب، أو شقت طريقها إلى الغرب، وعلى هذه الطريق كان اللقاء الأول مع لعرب هناك.. وعندما يقول الغربيون أن الأرقام عربية وأن جذر الفكر هو إغريقي، فإن الإغريق أنفسهم قالوا بأنهم جاؤوا إلى منطقة لم يعرفوا من كان قد أشاد عمرانها قبلهم.. وفي الحقيقة لقد كان العرب يسكنون تلك المناطق..(الأوروغيد الكبرى) إلا أن الغربيين اليوم يتناسون العرب عن قصد، وقد اعتدوا بذلك على العرب وعلى التاريخ.. وهذه الأفكار ليست جديدة بالطبع فهي موثقة وقد برهن عليها وأضحت حقائق.. وأن العرب يعرفون ذلك ولديهم القدرة على إثباته.. فلم يذكر إفلاطون ولاغيره من الإغريق ما يجانب هذه الحقائق وهو أول من بحث في هذا، وتجب العودة إلى دراساته في هذا الخصوص، إذا كان الأمر يحتاج إلى هذه العودة.

أما الغربيون فانهم يتناسون روح الشرق، وعصور الشرق الأقدم، وإن التراث العالمي هو شرقي.. ومرة أخرى أعرج على دراسات أفلاطون وأرسطو أيضاً، فإن في كل ما كتباه لايوجد أي ذكر، إطلاقاً، لليهود أو كلمة

يهودي. أُوليس في هذا الأمر غرابة بل ونقطة انتباه تستدعي التوقف عندها؟.!
أجل.. وهذا عائد إلى أن اليهودية- كمذهب جزئي في الزمان والمكان لم يرق إلى الدرجة التي يهتم بها المفكرون وعظماء مثل إفلاطون وأرسطو.. زد على ذلك أن هذا المذهب، بحكم ضيق فكره وانعزاليته، لم ينتشر ولم يكن ذا أهلية ليتعمق وينتشر كي يصبح مؤهلاً لدراسته من قبلهما، ولكل ذلك لم يحظ باهتمامهما لكونه مذهباً جزئياً ضيقاً ومنغلقاً..

وبإلقاء نظرة تحليلية فاحصة على الموروث البابلي نجد حقيقة وثوقية ودون كثير عناء بأن التوراة منقول عن الأساطير العربية القديمة. لأن الحضارة العربية بطبيعة الأمر شاملة، فقد ولدت في حيز جغرافي مترامي الأطراف، من بلاد الرافدين إلى مصر وشمال إفريقيا، بل إلى آسيا الصغرى حتى أندونيسيا...

وقد كان الوطن العربي مركز تلاقح الثقافات في هذا المجال الجغرافي الواسع، حيث ولدت هذه الحضارة، التي قدمت للفكر العالمي إنجازات أثيرة وخالدة.. وليس غريبا على العابرين فيها أن يأخذوا من هذه الثقافة وأن يحدث ماحدث من اعتداء على التراث العربي القديم ليصبح كتابا(لاهوتيا) هو من خرافات وأساطير المنطقة وموروثهم الفكري والديني..

وبرأيي إن اليهودية، مذهبا، أو حركة، هي ظاهرة دينية أصبحت حركة سياسية، تفتقر للمستند أو هي بحاجة إلى مستند تاريخي وروحي لتدعيم قوائمها الدينية والسياسية.. فيما أن المسيحية والإسلام ليسا بحاجة إلى السياسة وظواهرها أو حركاتها حتى يبقيا خالدين.. وهناك فرق بالطبع ما بين تلك الحركة والظاهرة اليهودية وبين الإسرائيليين الحاليين، فهؤلاء لادخل لهم باليهودية، المذهب القديم. وقد لقيوا عونا من الغرب لتوليد هذه الخرافات كتين، إلا أن الغرب فيما مضى، رغم كل المجريات، قد وجد نفسه إلى جانب القيم الروحية الخالدة النابعة من الوطن العربي هو مركز هذه القيم، والغرب الحالي هو في معزل عن هذه القيم الروحية وتتناوشه أنماط السلوك التسلية والمتعة العارضة، أو المؤقتة، والمادية وأنماط الحياة الاستهلاكية، والغزو العسكري، وهذه المظاهر هي ماتتميز بها الصهيونية، ولهذا كان اللقاء بين الغرب اللاقيمي والصهيونية اللاقيمية.. ولهذا كانا ضد الوطن العربي وتاريخه وأخلاقه وقيمه... ولهذا بقيت اليهودية جزئية ضيقة وظاهرة سياسية أو حركة

سياسية غربية مجيرة ضد العرب.. وقد خرج الغرب خارج القيم الروحية، كما هجر المراجع الروحية واكتفى -فقط- بالمراجع المادية.. ولهذا كان للغرب موعد مع اليهودية... ومن الممكن أنهم يدقون مسماراً في نهاية الغرب..

وفي نهاية مقدمتي لكتاب الصديق الكاتب: نزيه الشوفي كشف الحقائق التاريخية.. أريد أن أوجه ملاحظة إلى العرب بأنهم قد أخطأوا كثيراً.. أخطأوا في إعطاء هذه الحركة اليهودية، أوالمذهب الجزئي، أهمية أكبر من حجم هذا المذهب حتى حولوه إلى دين.. وهو ليس ديناً، بل مذهب يفتقر للاتساق التاريخي، كما يفتقر للانتظام الديني.. ويجب أن تموت هذه المغالطات بشن الحرب على المال والذهب الذي هو إلههم الطماع.. وحالة الأمر الواقع التي يريدها الإسرائيليون الذين يتجاوزون القيم، بينما هم على المستوى العملي غامضون.. فيما أن العرب مسيحيين ومسلمين على العكس تماماً، إنهم يتماهون في التاريخ والقيم التي لاتلتقي بالجزئيات. ودعني أصف هذه الحالة بالقطة التي لاتلتقي الكلب.

كشف الحقائق التاريخية:

هل التاريخ لغز يختفي أو يُعمد إلى إخفائه لمصالح تكمن خلف إخفاء الحقيقة، مما يضطر إلى مراعاتها..؟.

كلا فالحقائق التاريخية جلية.. وطريقها واضح، وأن الكشف الجاد يقود إلى الحقيقة، واستبعاد الأكاذيب الخطيرة، ويقدم للمجتمعات الإنسانية، بالتالي، الحقائق الوثوقية الثابتة التي يلزم المجتمعات قاطبة.

وهذا الكتاب يقترح هذه الطرق الجادة، التي تستحقها عملية الكشف..

فتحية للكاتب، وأتمنى النجاح لمبادرته هذه التي لابد وأن تعطي ثمارها المنتظمة وتشجع كتاباً آخرين في سورية لأن يحذوا هذا المثل. ولابد وأن تشق هذه الخطوة المتقدمة، طريقها... لأن هذا الكتاب يمثل صوت الحق العادل...

بيير روسي

دمشق ١٤ أيار ١٩٩٧

تمهيد ...

آخر شهود القرن ..

سجل المفكر الفرنسي(روجيه غارودي) الذي يواجه محنة تستبد بـه منـذ سنوات لأفكاره النيرة وكتاباته الكاشفة، سجل موقفاً متفرداً في عالم الفكر عبر هذا القرن، أنقى بصورة أو بأخرى من موقف المفكر الفرنسي فولتـير الـذي بصق البحصة من فمه قبل نيف ومئة عام فلاقى ما لاقاه على أيـدي الكهنـة الكنسيين.. ويواجه غارودي من التنكيل والتهديد أكثر مما لاقاه فولتير، في هذا القرن الذي شهد لوائح حقوق الإنسان وحرية الفكر والكاتب، وحق الشعـوب، إلى ماهنالك من شعارات... ولايزال الفكر يرزح تحت نير القمع والإرهـاب الفكري اللذين ينيخان بكلكهما على أهل الثقافة في هذا القرن بل ومنذ عصـر النهضة الفرنسية(منذ أيام فولتير حتى غارودي)... لقد طـرق فولتـير بـاب الحقيقة قبلاً عندما قام بكشف الغطاء بقراءاته الصحيحة للتاريخ.. إذ قال:(كيف السبيل إلى الاعتقاد بأن كل مايقصده التوراة هو من وحي إلهي؟.!.. فإذا كـان الله هو الذي أملى التوراة، حق لنا أن نعجب بأن لله أفكاراً خاطئة جداً في عالم الفلك كما أنه يجهل علم التاريخ ويجهل الجغرافيا جهلاً تاماً. ويعتقد أن الأرانب تجتر، ويناقض نفسه بنفسه فيما يخص الأخلاق.. فهل يظن المرء أن الرب ذاته يفرض مبدأ العين بالعين والسن بالسن في التوراة ثم بالإنجيل فيطلب أن نصعر خدنا الأيسر وأن نعطي رداءنا لمن سرق ثوبنا وأن لانقاوم الشرير، فهل هـذه القوانين تتفق وتعاليم التـوراة؟... ثـم تـابع فولتـير سـؤاله علـى نفس المنوال:(وكيف السبيل إلى الإيمان بالخرافات التي توجد في الكتـاب المقـدس وبالمعجزات التي يقال أنها حدثت دون انقطاع خلال التاريخ اليهودي؟...

وكيف السبيل إلى الإيمان بالمعجزات التي أسقطت أسوار أريحا عند نفـخ الصور وجعلت شمشون يكسر جيشاً كاملاً بفك حمار؟. وكذلك كـل القصـص القذرة والبعيدة عن التصديق التي نقرؤها عن الأنبياء الذي حكم على أحدهـم بأكل القاذورات، وعلى آخر بالتهتك المقزز للنفس.. وغير ذلك من ضـروب الأذى والإذلال التي يوقعها إلههم بهم دون سبب معروف؟.

والغريب أن كثيراً من مسيحيي اليوم يؤمنون كاملاً بـالتوراة والإنجيـل ويسيرون على هديهما في أفكارهم وأعمالهم، ولكن هل لهذا الايمان مسوغ أو أساس شرعي؟... إن الجواب (طبعاً) بالنفي.. وأن مختلف فصول التوراة ليس

لها نفس صيغة الصحة والأصالة.. فكيف يمكن الاعتقاد بأن موسى كان نبيه مايكتب في الصحراء حيث لايوجد حتى أشجار ينقش عليها؟... زد على ذلك أن كاتب أسفار موسى هذه يقول: بأنه يكتب من وراء الأردن، في حين أن موسى لم يدخل أرض الميعاد، أبداً كما أن ثمة مدناً ومواقع أطلقت عليها أسماء في النص لم تعرف إلا بعد موت موسى بوقت طويل).[1]

وجاء غارودي ليطرق بدوره باب الحقيقة، تاريخياً -وفلسفياً، ويكمل المشوار بالبحث والتمحيص، والتدقيق في الوثائق والكتب، فيرصدها رصداً وتوثيقاً فزادت حدة الطرق على رأسه(صواعق) وتهديدات.. لقد اتفق غارودي مع فولتير بالكشف عن صيغ النفاق الصهيوني، واليهودي الإسرائيلي، بأن كل قصص توراتهم وكتبهم إنما هي بدع وأضاليل مسروقة من الأساطير والقصص للشعوب القديمة(العربية)، من سومرية وأكادية وبابلية، وكلدانية وآشورية، وسريانية.. إلى كنعانية-وفينيقية ومصرية.. وما هذه الكتب والأساطير المختلفة سوى اجتهاد قام واضعوه في عام ٧٠ م بجمع فصول من أساطير الشعوب العربية القديمة وعزوها إلى ربهم الذي يأتمر بـأمرهم، عكس كل أرباب الشعوب القديمة أو اللاحقة، التي تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه.. وإله الناس رحماني وتواب غفور، إلا ربهم فهو قاتل ومتفرد بشعبه عن بقية خلائق الله وحاشى الله من عليه يفترون وعلا شأنه عما باسمه يكذبون.. فقد دونت التوراة الأحداث التاريخية القديمة وكذا التعاليم الدينية، قبل أن يأتي دور الكشف عن الآثار وماتختزنه هذه الأرض، وماتستنبطه الآثار واللقى، التي أسقطت ورقة التوت عن أكاذيب اليهود، وأوضحت كنوز الأرض بأنهم ليسوا سوى بداة غزاة، راحلين، من وسط آسيا(من سنغافورة حتى بلاد غامد وزهران) احتلوا الأرض وقتلوا أهلها مثلما سطوا على تراثهم وديانتهم.. إذن فالتوراة ليست سوى مدونات كتبها اليهود أيام السبي البابلي، وتابع أحبارهم التوسع في السرقات والشرح حسبما يروق لهم وبما يتناسب والمرحلة وواقع حالهم...

وتبين التاريخ أن صحف موسى ظهرت بعد وفاته بسبع مئة عام وبعد وفاة ابراهيم بألف وثلاث مئة سنة. وقد أكد عديد من الكتاب بأنه من الصعوبة

---

(١) وننوه هنا إلى أن فولتير كان ماسونياً ومتذبذباً، ولهذا حقد على الأديان والأنبياء وقد كتب رواية بعنوان "محمد" يتطاول فيها على النبي العربي الكريم ويصفه بالقاتل ومع هذا كتب عن اليهودية هذه الأقوال التي اقتطفناها، وعلى طريقة شهد شاهد من أهله، أو من فمك أدينك. وننوه أيضاً أن الكتاب العرب في فترة سالفة روجوا أفكار فولتير تحت شعار/الحرية المساواة والأخوة/ الماسوني.

يمكن الإقرار بصحة رجوع تاريخ أي قسم من أقسام الأسفار الخمسة الأولى وحتى الوصايا العشر إلى عصر موسى، لأن ماورد في روايات هذه الأسفار من تكرار وإعادة التصنيف وتفسير وعمليات توسيع مستمرة على مر العصور، وما ورد فيه من مزامير وأمثال وأسفار وشرائع.. وإلى آخر ماهنالك من أساطير وقصص وحكايات هو مستقى من المصادر الأدبية والتراث القديم لمختلف الثقافات التي أطلع عليها كتبة التوراة. أي من المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشتها ومارستها شعوب هذه المنطقة في غابر الأزمان، فأخذ هؤلاء الوافدون عنها نصوص كتابهم، وهي بابلية أو كنعانية أو مصرية الأصل..

وعليه فإن التوراة (هذا) هو كتاب صنعه أحبار اليهود بعد أن اطلعوا على تراث المنطقة، من فلسطين إلى بلاد مابين النهرين(أو الرافدين-بابل) وهو ليس واحداً.. فقد تبدل وجرت عليه تغيير وبما تطابق وعصر الأحبار أنفسهم.. ولذا فهو أنواع وهي:

١.التوراة الهيروغليفية: وكتبت بالهيروغليفية [1] -المصرية. لأن موسى كان يعرف هذه اللغة لكن صحفه ظهرت بعد موته. وأن العبرانية ظهرت بعده فهو لم يعرف العبرانية.. اذن من أين ومتى أتت هذه التوراة ؟.

٢.التوراة اليونانية (أو السبعينية): وقد كتبها سبعون كاهناً يهودياً، جمعوها باليونانية في جزيرة (فاروس) عند مدخل الاسكندرية سنة ٢٥٠ قبل ميلاد السيد المسيح. وقد جمعت تلبية لرغبة بطليموس فيلادلفوس (٢٨٠ - ٢٤٧ ق.م) ثم ترجمت إلى اللاتينية بعد ١٠٠ م.

٣.التوراة السامرية (نسبة إلى السامرة): التي جمعت بعد انقسام دولة الغزو بعد سليمان وعرفت بالآرامية بسبب كتابتها أثناء السبي البابلي. وهي تختلف في مضمونها عن التوراة المنسوبة إلى موسى، كما سميت(بالتوراة الكهنية) أيضاً.

٤.الأسفار الخفية:(وهي محضورة التداول) ويسمونها(كتوبيم أخرونيم) أو الكتابات المتأخرة أو الأخيرة.أو (الأبوكريفا) والأسفار الخفية، وهي جملة بدع وتلفيقات تختلف عما سبقها من كتب.

٥.التلمود المقدس، أو التلمود الحجازي: وههو من وضع أحبارهم. ويقسم إلى قسمين : مشنا وجمارا-المشنا تعني المتن وجمارا وتعني الشرح أو التفسير. وهو كسابقيه يختلف في الأحداث والأزمان، وكتب بما يتفق وعصر

---

(١) هيرو تعني مقدس، وغليفي تعني لغة .

تدوينه ومؤلفيه أيضا(من كهنة وإيلوهي) وفيها أساطير سومرية سرقها الكاتب اليهودي-الكهني.. حيث وجد فقهاء اليهود أيام السبي البابلي أن للبابليين والكنعانيين ثقافة وأساطير أرادوا أن يجاروها، فقاموا بتحريفها، لأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام أصحاب تراث، فقد سطوا على أساطير وموروثات البابليين والكنعانيين.. وعندما نزلوا في فلسطين غازين تبنوا أساطير الكنعانيين وآلهتهم وهذا ما يمكن أن يلمسه الدارس والمطلع على آثار الكنعانيين من الوهلة الأولى، فيقف على حقائق المسألة..

وهذا مافعله غارودي الآن.. حيث وجد أن تاريخهم مشتت ودون جغرافيا، وأنهم جنس تراجيدي غريب في كل القارات، وقد أكسبتهم غربتهم تراث ومعتقدات الشعوب التي عاشوا بينها.. وأن لاتراث حقيقيا لهم.. وعليه فإن مايملكونه من كتب(هي ملفقة بالأصل) مسروقة وقد نفى كرايمير أيضا التوراة ولم يعترف بشيء اسمه التوراة أو الميثولوجيا التوراتية. ولطبيعة البحث، نورد مثلاً واحداً مما نعرفه نحن أبناء المنطقة عن مسروقات اليهود، فنذكر صراع(يهوه) إلههم، مع التنين(العماء-تيامه) وقد انتصر عليه فقتله، ومن بعدها انتقل لتسيير شؤون الكون، وكذلك قصة(بعل) الكنعاني وهو بسبعة رؤوس، وقد تمكن بعل (أو الرب) من قتله، وبعدها خلق الحياة. أما قصته مع يهوه فتقول أنه بعد أن قتله أخرج العشب وأنزل المطر، ولكن هذا كان متأخراً كثيراً إذ أن العشب والمطر لم يكونا قد خرجا بعد قبل انبساط الأرض في أسطورة الخلق كما سنرى. ونحب أن نشير هنا إلى أن تنسيب اليهود إلى الساميين إنما هو من اختراع وبدع المستشرقين ومعظمهم من اليهود، أو صهاينة، وبعد هذا الابتداع الاستشراقي أخذ اليهود يسمون كل من ينطق بالحق ويجبد قراءة التاريخ باللاسامي.. وهي بدعة(وكل بدعة ضالة).. وهناك أمر يجب أن نعرج عليه وهو أن عدداً كبيراً من اليهود، في الولايات المتحدة، قد بدأوا يكتشفون الحقيقة، بعد أن لمسوا تورب العالم من بدعهم، فكتب عدد من اليهود الأمريكيين كتاباً-مؤخراً بعنوان: why the jewish (لماذا اليهود).. بينوا فيه العداء لليهودية ينبع منها نفسها، إذ أنها قامت على الفجيعة والتفرقة والتمييز منذ ألفي عام وبأنها (شعب الله المختار) وقالوا:(بأن المسيحية انتشرت في العالم أكثر من اليهودية فيما ازداد العداء لليهودية، ولهذا دفع اليهود ثمنا باهظاً لهذا التعالي وللمقولة التوراتية التي تلغي وجودهم كبشر عاديين.. ويجب إلغاء هذه المقولة وإزالتها كيلا يزداد العداء.. وكيلا تتكرر المجازر والطرد التي لاقاها أجدادنا في انكلترا وإسبانيا وأوروبا ما بين ١٣٠٠ حتى ١٦٠٠م خاصة وأن العناصر الأساسية للديانة اليهودية تقوم على الثالوث، اللاعقلاني: الرب، التوراة، المواطنية اليهودية وهذه الأخيرة ذات ازدواجية، إذ أن الدين اليهودي ذو

مواطنية متعددة، تتبع بلد المنشأ، وأخرى إسرائيلية(وذكر المؤلفون بأنه لايوجد قيامة أو يوم آخر في الديانة اليهودية، أو ثواب وعقاب، وهذا سبب يجعل هذه الثنائية العنصرية تميل إلى الاغتصاب واستقزاز العالم كله ضدها..).

إن دحض الأفكار التضليلية التي تبثــها الصهيونيــة وتحملــها الأوســاط والجماعات العنصرية ذات الطابع الأرهابي الفكري، كانت تفتش عن كاتب حر وباحث مجتهد محايد.. لكشف الغطاء عنها واسقاط اللثام عن وجهها الحقيقــي في الغرب.. حتى ولو عرض حياته للأخطار.. فكان غارودي هـــذا الكــاتب والباحث الحر والمقتحم.

وقام غارودي بكشف الغطاء عن التزييف الصهيوني للأساطير وســرقتها، في كتابه: "الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية" فقال: إقام الصهاينة بتحويل الاسطورة الى تاريخ وذلك بالاعتماد على قراءة أصولية للنصــوص، قــراءة موحى بها...) ويتابع: (فالرمز المتجلي في خضوع ابراهيم اللاشرطــي لإرادة الله ومباركة شعوب الأرض.. كل هذا يتحــول إلــى نقيضــه القبلــي: أي أن الأرض المغزوة تصبح أرضاً موعودة في كل الشرق الأوسط ومــن أراضــي مابين النهرين إلى الحثيين وإلى مصر.. وإن حب التحرر للشعهوب من الظلــم والاستبداد الذي دعا إليه القرآن الكريم يصبح على يــد لاهوتيــي "التحريــر" الحاليين امتيازاً منحه إله جزئي "متحزب لشعب مختار"...مثلهم، في ذلك، مثل كل أصحاب الدعوات القبلية التي تدعي أنها أوكلت إليها مهمــة تحقيــق إرادة الله(على غرار الشتيمة المكتوبة على كل دولار)[1]... الاله القادر علــى كــل شيء لدى وحدانية السوق ثم تلك الميثولوجيا التي زعموا أنــها "رد الله علــى المذبحة" وأنها "الملجأ الوحيد لضحايا هتلر"...

ويتابع غارودي حديثه هنا فيقول:"إن الرواة التوراتيين يقدمون لنا تــاريخ وأصول اسرائيل كما لو أنه كان سلسلة من العهود المحددة. وهكذا فــإن كــل الحكايات والأساطير والقصص أو القصائد التي وصلت إليــهم عــن طريــق الروايات الشفهية تدخل في اطار تعاقب الأجيال وأزمنة محددة وعلى مــايتفق عليه أكثر المفسرين المعاصرين لها"...

ويمكن القول بأن غارودي أقام نظريته الكاشفة هذه مــن منطلــق الشــك العقلي في البدء، وانتهى إلى البرهان على حقيقة بالتجربة التاريخية. وقد استفاد

---

(١) وسنتطرق إلى أصول هذه العبارة ودلالالتها المرسومة على الــدولار فــي إطــار البحث.

من الكشوفات التاريخية في إماطة اللثام عـــن أضـــاليل الصهيونيـــة وزيـــف التوراة...

وإن لكشف غارودي –التاريخي-قيمة إنسانية وذلك بتوكيده على الكشـــف التاريخي الذي يرسخ سيادة العقل والعلم والخير لسائر البشر.. ومن هنا كانت التهديدات الصهيونية ومحاصرته لتشكل وجها جديداً لمحاكم التفتيش–التي كانت تحكم على القائل بوجود بشر قبل ادم بالقتل، وجاءت الصهيونية لتعاقب كل من يتعرض للتوراة بأي نقد بالمحاصرة والتهديد، حتى وبالقتل.

مع التجربة التاريخية.... وضد موظفي المطلق

منذ مولده (في مرسيليا-بفرنسا ١٩١٣/٧/١٧) لما يزل غارودي يواجـــه متاعب متعددة الجوانب والاتجاهات، فقد نشأ في بيئة غير متدينة (لاأدريـــة). وفي يفاعته دخل في بوتقة "حركة العمل" (في ريكس أبروفـــانس) التـــي كـــان يقودها الفيلسوف الكاثوليكي موريس بلوندايل المدان من كنيسة روما.. في هذه الفترة تخرج من كلية الآداب – بجامعة باريس. وانتسب إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وبذا جمع مـــابين المســـيحية (الكاثوليكيـــة) والماركســـية، أو بيـــن النقيضين..

وكان له في الماركسية اجتهادات سواء فيما يتعلـــق بـــالصراع الطبقـــي وأداته، أم حول المادية المعرفية، وكانت الفترة التي أصبح فيها شيوعيـــا هـــي فترة تصاعد الستالينية، فكان غارودي ستالينيا، وبعد موت ستالين رفع غارودي صوته.

في هذه المرحلة(الستالينية) توصل غارودي عن طريق الحزب، إلـــى أن يكون ممثلاً له (نائبا في المجلس النيابي الفرنسي) من عام ١٩٤٥ - ١٩٥١ . ثم جدد انتخابه أيضا– ممثلاً عن الحزب (وهو عضو مكتبه السياســـي) عـــام ١٩٥٦ - ١٩٥٨ . واختير عن الحزب ممثلاً عن دائرة الســـين فـــي مجلـــس الشيوخ الفرنسي من عام ١٩٥٩ إلى العام ١٩٦٢. في هذه الفـــترة، النصـــف الثاني من الخمسينات، انعقد المؤتمر العشرون للحزب الشيوعـــي الســـوفييتي وأدان الستالينية. فأعلى غارودي من نبرة صوته في وجه الجدانوفية والجمـــود العقائدي(Dogmatism) . وأصدر عددا من المؤلفات عـــرض فيـــها أفكـــاره الجديدة ونهجه الماركسي أو فهمه الخاص للماركسية ومنها المادية في المعرفة: وقد بين فيه رأيه حول دياكتيك الطبيعة الذي تقاطع فيه مع سارتر وهيبوليـــت اللذين كانا ضد فكرته عن التجربة التاريخية في مسألة دياكتيك الطبيعة فيما أكد غارودي على ان "هناك خصائص إنسانية للديالكتيك، وهـــي إنســـانية بذاتـــها، ستحدد مع الكائن العضوي والمادي... وأن التجربة التاريخية تحكمنا كخبرهـــا من العلوم، لأنها تطير عناصر نشاطنا على الأشياء فكيف يمكن القـــول بأنـــها

لاتوجد علاقة مابين هذه البنى والكائن بذاته؟. إن الدياكتيك لايوجد في الطبيعة هكذا كما يوجد في أفكارنا... لذا فإن القول بهذا الشكل هو غيبي على الأقـــل، لأنه يضع الوجود(في الطبيعة) في العقل المجرد. وأن القول بوجود ليكتيك في الطبيعة يعني القول بأن حركة الوجود والبنية هما مادي بذاته قبلها وخارجـــها وله بنيته ومعرفته..

وقبل أن يغوص غارودي في التجربة التاريخية، قام بفك الارتباط بالحزب الشيوعي، فأصدر كتابيه: "واقعية بلا ضفاف" وفيه إعـــادة الاعتبـــار لمفـــهوم النزعة الواقعية في الأدب، أي بعيداً عن التوجه الأدبي السوفيتي، ذي النزعـــة الجدافونية أحادية التوجه ثم أصدر كتابه الثاني "ماركسية القرن العشرين" وفيه فتح الحوار بين الفكرين الماركسي والمسيحي..

وفي ٦ شباط عام ١٩٧٠، سمع غارودي قرار فصله مـــن الحـــزب مـــن راديو فرنسا وهو في الطريق إلى منزل إحدى قريباته وقال:"كان يفـــترض أن أتمم اعتراضي أمام ألفي رفيق في صمت وبرودة النعـــش" وبخاصـــة حـــول معارضته للتدخل السوفييتي في تشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨ وقال بالطبقة التاريخيـــة الجديدة التي لاتقتصر على العمال فقط، بل وتضم المهندسين والفنيين والكوادر والطلبة أيضاً[1] وهي أعلى من التنظيمات الحزبية.. وأخذ بالبحث عن البعـــد الضائع، في كتابه"كلام رجل"... وفيه جرب غارودي العودة إلـــى المســـيحية وأعلن انشداده إلى الإطار الكاثوليكي من الفكر المسيحي الذي كان قد التزم به إيام حركة العمل، وجمع غارودي مابين فلسفة مـــاركس (الماديـــة) ولاهوتيـــة بارت (الغيبية) ... وعن هذه الازدواجية قال غارودي في كتابه المذكور بأنـــه بحاجة دوماً إلى التصعيد أو التسامي وإلى المطلق.. وقال بأن رؤية "المسيحية للعالم كانت صورة عن جماعته،"الطبقة العاملة".

وكان لطروحاته السياسية-الفكرية مؤيدون، مما خوله ذلك إلـــى ترشيـــح نفسه للرئاسة الفرنسية عام ١٩٧٤، إلى أنه انســـحب منـــها قبـــل يـــوم مـــن الانتخابات. ثم بدأ غارودي دراسته التاريخانية في بحوثه عـــن الحضـــارات، وتجلت في كتابه حول الحضارات... وهنا أقترب من عتبـــة الكشـــف (علـــى طريقة أرخميدس).. وفي هذا الكتاب اتبع شرعة غوستاف لوبون التي تفيد بأنه

---

(١) أورد غارودي ذكر الطلبة كطبقة عالمية قادرة على التغيير في محاضرة لـــه فـــي جامعة بلغراد شباط ١٩٧١ عندما كنت طالبا في كلية العلوم السياسية في هذه الجامعة.

إذ أراد الغرب أن يكون حضارياً فعليه أن يدرس حضـــارة الشـرق ويتبنـى الحضارة العربية ويتعلم منها...[1]

وتابع خطواته بالجمع أيضاً بين المسيحية والاسلام فأوضح أن كون المرء مسلماً لايعني بالضرورة أن يتنكـر للمسـيحية. وأن المعتقـد والديـن ليسـا متناقضين. فالدين من حيث الترتيب التاريخي (الزمني) أو الأسبقية التاريخيـة يستوعب الأول. على الصورة التي استوعب بها دين الانجيل مذهب اليـهود. وقال:"إن صورة السيد المسيح في القرآن الكريم رائعة، بل هائلة الروعة، وأن المسيح هو نبي من أنبياء الاسلام.. وأضاف:" إن المسيحية في مجملها تحمـل موضوعا صهيونياً معيناً، لدى حديثها عن الاختيار، وعن الوعد.."أي شعب الله المختار، وأرض الميعاد".. وهذا شيء مرفوض تماماً[2] .

ولغارودي رأي في النظرة المعاصرة حول الأمة الاسلامية عامة والعربية بخاصة-وهو رد على ابن بيلا- فقال بأن فكرة الدولة والأمة هي فكـرة غـير مسؤولة أنها مستوردة من الحالة الجديدة التي هي الغرب.

وتوصل غارودي في بحثه هذا إلى فكرة هي:"أن الحوار بين حضـارات الشرق وحضارات الغرب موجود" وأضاف:"إن الحوار بين الحضارات يبقـى وهماً".. ولم يبق نقده موجها إلى الامبريالية بل تعداها إلـى الغـرب قاطبـة. ونظرته المتعالية ومركزيته الحضارية المصطنعة. وفي هذا المجـال أوضـح بأن:"النموذج الثقافي الغربي الذي خلق مجتمع الاسـتهلاك... هـو حضـارة الجهاز الهضمي.. وهو الآن في مأزق.. كيف لا وهو يبشر بـالنمو المـتزايد على حساب أرض الشعوب وثرواتها الباطنية التي تكونت..(فمثـلاً اسـتهلاك الفحم الحجري الذي بدأ قبل ٨٠٠ سنة، استهلك نصفه وبقي النصف الآخـر).. والمأزق ليس على الصعيد المادي فحسب بل يطال كل الأصعـدة خصوصـاً الصعيد الايديولوجي".. ومن هنا نصح غارودي الغرب بـالعودة الـى ينـابيع الحكمة في كل من مناطق آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. وهي الـدول التـي تنطلق منها حركة التحرر العالمية. وقاعدة النضال الماركسي قبل وبعـد زوال المعسكر الاشتراكي، بمعنى آخر لم يزل يحتفظ بالقواعد السياسـية للماركسـية

---

(١) غوستاف لوبون:"اذا أراد الغرب أن يسيطروا على بلاد العرب فعليـهم أن يتمثلـوا حضارتهم. إذ أنه عندما كان للعرب حضارتهم كان الغرب مغرقا في وحشيته".

(٢) وكتب صديقه جان بول غيثي يقول : أنني سألت غارودي بأن هناك أختيـارا فـي الاسلام أيضا"وكنتم خير امة أخرجت للناس" فأجاب غارودي: بل إن ذلك غير موجـود لشعب بعينه بل الى العالم أجمع".

المعاصرة لكن بفكر آخر، وببعد آخر. وقال:"يجب الحوار.. في عـــالم مــهدد بالانفجار في كل لحظة.. فالسيطرة على العالم التي كلفت ٤٥٠ مليـــار دولار وتسببت بموت ٥٠ مليون انسان، عبر لغة التبادل غير المتكافئ وفي الحروب، والتي تحاول أن تفرض مفهوماً للنمو على جميع الدول والشعوب، إنما تقـــود إلى الانتحار الكلي، وهي التي لاتولد إلا مساواة القهر المتزايدة، مادامت تضع فوق رأس كل أنسان(يعيش على هذا الكوكب الآن) مامقداره خمسة أطنان مــن المتفجرات. ولذا فإن مسألة الحوار هي مسألة حيـــاة أو مــوت.وان مــهمتنا الأساسية هي فتح حوار بين حضارات الشرق والغرب، لوضع حد للمونولــوج "أحادي الحديث" الغربي الانتحاري، ولايتحقق هذا الحوار إلا بالانفتـــاح علـــى الثقافات والحضارات غير الغربية وهو وحده الكفيل بأن ينقذ الغرب من المأزق ويجنبه الموت". وبرأينا يبقى الشرق شرقاً والغرب غرباً وأن هذا الحوار غير ذي جدوى لأن الغرب يفهم الشرق بأنه نتاج روما ويلغي حضارته القديمـــة.. وما اعتناقه للمسيحية إلا دليل على حضارة الشرق-مهبط الفكر والأخلاق...

ويتوقف غارودي في الشرق، كأحد طرفي الحوار، فيحدد هـــذا الطــرف ويسميه. إنه الاسلام.. لماذا؟.. وما الذي رآه مدعاة للتوجه إلـــى الاســلام؟.. ويجيب غارودي على ذلك بتعيين النقاط المهددة للبشر في الغرب فيقـــول:"إن نظام النمو الغربي بدأ مع عصر النهضة الأوروبية، أي مع إبادة الهنود الحمر واستقدام الأفارقة السود إلى القارة الجديدة وبدأ استغلالهم إلى أقصـــى الحــدود الانسانية.. واستمر هذا النظام بجرائم القتل المستبدة بالبشر وتستوعب العالم.. أمام هذه الجريمة التي ترتكب بحق البشرية جمعاء أجد نفســي مدفوعــاً إلـــى المطالبة بحوار الحضارات وليس للبحث عن حلٍ جاهز تقدمه لنا إحدى هـــذه الحضارات. وأدعو الغرب الى الانفتاح على الحوار، ولا أكون أقصـــد بذلــك نكران ثقافته ولا هدفي نكران حضارته بقدر ماهو نقدها وقد أخذت منذ عصر النهضة حتى الآن تتقوقع في فردية خانقة نتج عنها أنظمة حكم تعسفية وهكـــذا فإني أحمل مسؤولية خسارة البعد الانساني للإنسان في الثقافة. من هنا، فـــإنني أعتبر أن المشكلة، بما أنها مشكلة الانسان أينما كان، مطروحة على المســتوى العالمي ولايمكن إيجاد حل لها إلا على هذا المستوى، أي بأن نحـــاور بـــاقي الثقافات في العالم. وعليه فأنا لاأطرح الاسلام كحل بديـــل عــن الرأســمالية والاشتراكية، بل أعتبر أن علينا إيجاد أبعاد تاريخية ضائعة، عبر الحوار الجـــاد مع الثقافات الأخرى، وأعتقد أن الاسلام هو من أهم الثقافات، لأنه لم يفصـــل بين العلم والحكمة، فيما يتحكم عندنا فـــي الغــرب، مفـــهوم وضعـــي للعلـــم والتكنولوجيا أدى بنا إلى الدمار.. ففي العهد الذهبي للعرب كانت هنـــاك كـــل حقيقة واقعية إشارة حضور، فمشكلة العلم والحكمة، والعلـــم والديـــن، الحيـــاة

الاجتماعية والاعتبار الأخلاقي، كل هذه المقولات لم يفصل الاسلام بينها مثلما فصل الغرب بينها منذ ماكيافيلي وحتى أيامنا هذه، وهذا الانفصال ينتج عنه بالطبع انفصال آخر على مستوى الوسائل والغايات..."

وتقوم مسألة رد الاعتبار للحضارات الأخرى لدى غارودي من دراسته المقارنة ما بين الحضارة الأوربية والحضارة الشرقية، والحضارة العربية بخاصة، التي تطاول عليها مفكرو الغرب وأنكروا دورها الانساني وهضموها حقها*.وعقد مقارنته هذه من الخلاصات النهائية للحضارتين. فبين أن اليونانيين اعتمدوا في الرياضيات على المفهوم النهائي في حين أن العرب اعتمدوا في الرياضيات على المفهوم اللانهائي . كما أن المنطق اليوناني كان منطقاً نظرياً، على حين أن العلم العربي كان علماً تجريبياً في أساسه، والهندسة المعمارية اليونانية اعتمدت على الخط المستقيم، أما الهندسة الإسلامية فهي سيمفونية من الأقواس والمنحنيات، كما تبدو واضحة في المساجد. ومن الناحية الفلسفية نجد أن الفلسفة اليونانية ابتداء من "برفيد" إلى الاسطورة هي فلسفة "الفعل" وكذا المأساة اليونانية فلا يمكن تصورها حيال النظرة الاسلامية للحياة. كما أن الشعر العربي(١) لايعقل في التصور اليوناني للحياة بمفاهيمه"النهائية" و"الكمية".

---

*ويتفق غارودي وروسي في هذه النقطة .

(١) أفرد غارودي في كتابه "وعود الاسلام" فصلاً عن الشعر العربي تحت عنوان"الشعر المعلن" تحدث فيه عن تجربة جبران وبدر شاكر السياب وأدونيس"كامتداد للتصوف" شعريا، ثم بين تأثر هؤلاء بالغرب في حواراته اللاحقة فقال:"لاشك في أن ثمة تفاعلاً بين الشعر العربى والشعر الغربي .ت.س. إليوت مثلا ترك أثراً كبيراً على بعض الشعراء العرب، مثلما ترك ابن حزم تأثيرا كبيرا على شعرائنا، وأعتقد هنا بأن أكبر لحظات الشعر هي عندما تعلي الناس وأوضاعهم فالشعر ليس ظاهرة فردية. حتى شعر الحب يولد في زمن من الأزمان، فأراغون تأثر بابن حزم في كتابه"مجلون إلسا" وهو يحكي سقوط غرناطة". ومن كتب غارودي الأخرى: الأخلاق والدين-البنيوية فلسفة موت الانسان-الروح الحزبية في الفلسفة والعلوم-ماهي الأخلاق الماركسية-ماركسية القرن العشرين-الماركسية وعلم الجمال-واقعية بلاضفاف-من السريالية الى العالم الواقعي(رحلة آراغون)-والوجودية فلسفة استعمارية-المساهمة التاريخية للحضارة العربية-نحو واقعية للقرن العشرين(حوار مع فرنسان ليجيه بعد وفاته)-لترقص حياتك(عرض تحليل لفن الرقص منذ الفراعنة حتى موريس بيجان)-وروايتان هما:أنتيس ١٩٤٥-واليوم الثامن للخليقة ١٩٤٦-وفيلم... وفلسطين أرض الرسالات-والاسلام دين المستقبل وغيرهما...

ومن المقارنات بين ما قدمته الحضارات يتجاوز غارودي الماضي ليتحدث في واقع الحضارتين فيعتبر أن المسألة الهامة الحاضرة هي ليست فيما يتعلق بالدور التاريخي لهذه الحضارة، ولابرصد محصلة ماقدمته فيما مضى بل في فهم أهمية دورها الحاضر والمستقبلي وذكر بما قدمته جامعة قرطبة التي اشتهرت في أرجاء أوربة ولعدة قرون. وقال الغربيون بأنهم لم يأخذوا عنها سوى منهجها التجريبي. من ثم قاموا بنسب هذا المنهج لبيكون، رغم أن بيكون نفسه ترجم كتابات ابن الهيثم في البصريات وعلق عليها. أي أن الغرب أخذ إرثه الحضاري عن العرب وهما:الحكمة والوحي.. وأن دراسته الاستقرائية اليونانية قادت إلى الغائية".. وأن تخلي الغرب عن الحكمة وعن البحث عن الغاية، وما الذي يبغيه الانسان من كل هذا وبما يفيد الانسانية من مشروعه هذا فقد تحول إلى تقنية ومنها الى التكنوقراطية، كما تحولت السياسة الى ماكيافيلية". وتجدر الاشارة هنا إلى أن غارودي لم يقصد بذلك أن حكمة الشرق أو المنابع الأصلية للفلسفة والأديان، والعودة إليها تحل الأزمة الكونية. بل أنها أحد وجوه الحل، بحيث يصبح هدف الانتاج وزيادة النمو هو الانسان مركزاً ومقياساً. لأن تسود شريعة الغاب كما هي عليه في الغرب. بل أن تسود قيمة عليا يتطلع إليها الأفراد والجماعات. فمثلاً إن القول بأن خطأ الولايات المتحدة ليس في أنها خلقت حرب فيتنام بل في خسارتها لها، هذا القول يعكس شريعة الغاب وأن الغرب يقوم على سياسة المواجهة بين اليمين واليسار، يمين يرتكز على الدين ويسار يمزج بين الدين والايدلوجيا... ولهذا رفض غارودي مبدأ الحتمية، حتى الحتمية الثورية. ويورد هنا قولاً لماركس حول ذلك يقول:"إذا كانت هذه هي الماركسية(أي الحتمية المحققة سلفا) في نظركم فأنا ماركس لست ماركسيا". ويتابع غارودي :"إذا حددنا كل شيء سلفاً يصبح الانسان"دمية متحركة بين يدي المؤسسات"[1] فيما أن فكرة التقدم هي من حق كل إنسان أن يكون مسؤولاً عن مستقبله ورفض المعطيات السابقة.

اذن نظرة غارودي هذه هي نظرة مؤمنة أو أن إيمانه مسألة فلسفية عقلية.

ووجد غارودي بأن تحدد هذه المسألة بإشارة منه إلى مأثرة لمارتن لوثر وهي:"إذا كان يتوجب على العالم أن يختفي غداً، فما في وسعي سوى زرع شجرة".. والبشرية أناس بعضهم مات وبعضهم مايزال حيا وبعضهم لم يولد بعد.. وهذا هو الإيمان في نظر غارودي، وقال:"لايهمني أن يكون الانسان

---

(1) – وهذا القول لألتوسير .

مسيحيا أو مسلما أو يهوديا أو بوذيا. بل ما يهمني هو ماذا يفعل الإيمان بحياة هذا الانسان".

إن غارودي بذلك ليس مسلماً، بل مؤمناً لايلغي العلم، وإيمانه، كما قلنا، عقلاني، لكن ماحدود العقل الغربي للإيمان الذي رفضه؟... يقول غارودي :"إن منهجية الغرب هي منهجية مريضة. ذلك لأنها لاترى من العقل الا الجانب الوضعي الذي يستطيع أن يمنحها المزيد من التقييد على الطبيعة وعلى الانسان. وأنا لاأضع حدوداً على العقل، ولاأفرق بين العقل والايمان وهو الاتجاه العامل من أجل أهداف تسعد الانسان بدل أن تقهره. كما أنني لاأضع التقدم العلمي والتقني في مواجهة الايمان. فالعلم هائل في أهميته لكن شريطة أن يستخدم بطريقة إنسانية.. مثلاً مايخصص من أجل الطب لايساوي إلا جزءاً ضئيلاً مما يخص من أجل التسلح..".

وكان لقاء غارودي مع الاسلام في الفترة التي كان فيها شيوعياً مناضلاً في إطار حزبه وتوجهاته.. ويروي قصة لقائه هذا مع بداية الحرب العالمية الثانية كتجربة فريدة من نوعها. حيث كانت قوات الاحتلال النازي قد ألقت القبض عليه يوم ١٤أيلول (سبتمبر) ١٩٤٠ ضمن مجموعة من المقاومة الفرنسية التي تم ضبطها في فرنسا، ونقلوها الى معسكر الاعتقال في منطقة"حلفة" في جنوب الجزائر. وبعد بضعة أشهر قام بتنظيم تمرد عام في المعسكر. فما كان من قائد المعسكر، وهو فرنسي مثلهم، إلا أن أصدر الأوامر إلى الجنود الجزائريين بإطلاق النار على أفراد المجموعة التي كانت تتزعم التمرد... ورأى في هذه اللحظة شبح الموت ماثلاً أمام عينيه. لكنه فوجئ بالجنود الجزائريين يرفضون الأوامر.. ولدى سؤال ضابط الصف الجزائري بالمعسكر عن رفضهم هذا أجابه قائلاً:"لم نمتنع عن اطلاق النار حبا فيكم ، بل لأن ذلك يتعارض وشرف المحارب المسلم فنحن لانطلق النار على رجال عزل ونؤمن بأن لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق.." كان موقف الجنود الانساني راقياً وهزه من الأعماق..

وعندما أطلق سراحه ووضعت الحرب أوزارها، عاد غارودي إلى بلاده، وانكب على دراسة الدين.. وهنا يقول :"لقد انتابني شعور، من اللحظة الاولى، شعور بالثورة أمام ماحدث للاسلام.. فمن يدرس التاريخ الاسلامي الحديث يتبين أنه قد بذل محاولات تهدف الى اغتيال أمة كاملة، وحضارة مضيئة، فقد سعت قوى خارجية الى تحطيم الهوية الثقافية للعالم العربي. وكان من نتيجة دراستي لهذا الموضوع أن أصدرت كتاباً (عام ١٩٤٤) هو:"المساهمة التاريخية للحضارة العربية والاسلامية في الثقافة العالمية"-الذي ترجمة أحد الضباط الأحرار الى العربية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢-ولما استقبلني الرئيس جمال عبد

الناصر فيما بعد، وجدت هذا الكتاب عنده فقال:"أترى إننا نعرفك منذ زمن بعيد، ونحن الذي نشرنا كتابك هذا".

وتابع غارودي المسار، والتعمق في دراسته الاسلام، في إطار حوار الحضارات، كمسألة تطرح على أهل كوكبنا ولايمكن حلها إلا من خلال الاستفادة من الحضارات الأخرى، وخصوصاً الاسلام، الذي تميز بحيوية خاصة وأنه-على حد تعبير غارودي-"أقرب إلى الغرب" لأن الاسلام دين لايلغي الديانات السابقة عليه.. بل إنه يضيف إليها إضافتين أساسيتين هما:

أولاً: إنه لايشكل نظريه وحسب، وإنما يقدم نموذجاً عملياً وسلوكياً يمكن الاقتداء به.

وثانياً: يستبعد تماما حياة العزلة والدير، التي تعتبر التأمل فيها أساساً في حد ذاته".

ورأى غارودي في الأمة الاسلامية أنها تقوم على أسس جديدة لم تعرف الانسانية مثلها من قبل، فمثلاً: أنها لاتقوم على وحدة الأرض والأسواق، ولاعلى الوحدة الثقافية، أو الإرث الطبيعي أو التاريخي، بل إنما تقوم على الإيمان والاختيار.. وأن الاسلام ينبذ المطلقات ليجعل كل شي نسبياً، فلا وجود للحكم المطلق ولا للملكية المطلقة لأن "الملك لله" وهو مالك كل شيء.

ويقول: "يروضنا القرآن على اعتبار الكون والبشرية وحدة واحدة يكتسب فيها الدور، الذي يسهم الانسان فيه معنى. وإن نسيان الله يجعلنا عبيداً هامشيين خاضعين لضرورات وصدف خارجية. وذكر الله في الصلاة يكسبنا وعياً بمركزنا وبموردنا الذي هو أصل الوجود(...) وفطرة الدين الاسلامي هي التناسق والوحدة الصادرة عن الله والراجعة إليه"..

إذن إن ذكر الله لدى غارودي يكسب وعياً بالذات وبالحياة، وهي مصدر الوجود، وأنهما صادران عن الله الينا وراجعان منا إليه، وهما يمثلان التناسب مع الخالق ووحدتنا به، أو التوحد بالله، ووحدانية الخالق لاتقابلها الفردانية الأرضية بالطبع، هذه الفردانية التي تجعل الفرد محملاً لكل شيء ومقياساً له، يحملها الاسلام بالتعويض، بمفهوم الجماعية أي التعايش في عالم يشكل الفرد الاخر فيه محور الاهتمام بالنسبة لي والعكس . ومن هذا المنطلق فإن الاسلام عند مولده، كما رأى غارودي، أنقذ العالم من الانحطاط الشامل، ويسوق مثلاً على ذلك بالقول:"إن الامبراطوريات السائدة آنذاك قد تفككت وانحلت:الفارسية والهندية بعد القبطية وافريقيا الشمالية وممالك الفيزقوط باسبانيا..الخ. وجاء القرآن فأعلن بقوة تسامي الخالق وعلوه.. مشيداً على هذا الأساس نوعاً جديداً من الجماعية فأعطى الملايين من البشر وعياً بالبعد الضائع في أوربا اليوم والذي أكسب البشرية روح حياة جماعية جديدة ويمكن للاسلام أن يقدمها اليوم

من أجل اختراع مستقبل يتسامى بالانسانية في عالم أدى فيه القضاء على التسامي وتحطيم الانفرادية للجماعية وإقرار نمط انمائي (كمي) جنوبي أدى إلى جعل الوضع الراهن لايمكن العيش في ظله واستحاله معه قيام الثورات من النوع الغربي بعد خمسة قرون من الهيمنة، هيمنه الغرب المطلقة.

ووجد غارودي فروقات في فهم الحضارات، حضارة الشرق (الاسلامية) وحضارة الغرب الراهنة، وتتجلى هذه الفروقات في أن الحضارة الغربية تدعي حصر الحياة في الضرورة والصدفة كما يفهمها علماء الأحياء أو في عاطفة لاطائل من ورائها(مثلما كتب أحد الفلاسفة) أو إلى اللامعقول(كما أعلنه أحد الروائيين)أي انعدام المعنى وموت الإله[1]. وموت الانسان وموت كل شيء(مثلما يردده علينا دعاة العدم والمتنبئون) ويخلص إلى القول بأنه ليس هناك من حضارةأغفلت، بصفة كلية، التساؤل عن معنى الحياة والموت مثلما هو الشأن بالنسبة للحضارة الغربية الحالية وثقافتها الراهنة، ويقول:"إن هذه الثقافة تعتمد على مبادئ أربعة ولجت بنا خلال خمسة قرون في طريق مسدود وإذا استمرت فيه فسوف يؤدي بنا إلى انتحار الكون بأكمله.. وأن الحضارة الغربية تتميز أيضاً بالفصل مابين العلم والحكمة أي الفصل بين الوسائل والغايات".. ويلخص هذه الوسائل على النحو التالي:

١.إخضاع كل حقيقة واقعية إلى المفاهيم والكمية، مستبعدين بذلك الحب والايمان والمعنى.

٢.الفردانية التي تجعل من الأفراد أو المجموعات المحور والمقياس من كل شيء.. تعتبر كل نظام توازنا مؤقتاً بين أطماعهم المتنامية.

٣.أفكار التسامي، أي امكانية الافلات من هذه المتاهات.. "الاكتفاء".. بالنسبة لحتميات نمو يقتصر على الكم ويستبعد: الخلق(الابداع) -والحرية- والأمل.

٤.وتنهل هذه الثقافة من أصل مزدوج فقد ورثت من التراث اليوناني واليهودي-المسيحي وأغفلت عمدا التراث الثالث أي التراث العربي الاسلامي.

وبهذا المنظار قالوا بأن الاسلام لايمكن أن يأتي بجدية ولايحتوي على أي شيء حيوي. وبالتالي فهو مجرد جزء من ماضينا لايحمل في طياته أية تباشير... فهذا الاتجاه المزودج ينبغي لنا ان نحاربه إذ أنه يمنعنا من فهم

---

(١) يقصد هنا هوبس ونظرته النفعية-وهو صاحب مقولة:"إن الله مات وعلى الإنسان أن يخلق سيدا للكون بالعقل".

الحاضر وبناء المستقبل" ويقصد بجزء من ماضيهم أي بحضارة روما وأن الشرق جزء منها...

وإذا كنا لاننحو باللائمة هنا على المفكرين الغربيين المتأثرين بالصهيونية، في اهمالهم للشرق وحضارة العرب، بل إننا لنجد عند أهم كتابهم وفلاسفتهم قاطبة (مثل هيغل) نقله بطريق القصد العارف خطأ تاريخياً وفلسفياً يصب في خانة هضم الحق التاريخي- الفلسفي العربي، فيهمل فلسفة الشرق العربي، بل ويهمشه، حينما يتحدث عن فلسفة العرب يتحدث عن الفلسفة اليهودية، كما نجد لديه ترجمة غير دقيقة للأزمان والأسماء(مثل المعتزلة فاسماها الانفصالية ووضع بين قوسين معنى الكلمة العبرانية) كل هذا في كتابه تاريخ الفلسفة"[1] .

وباختصار، لقد أوقع الغرب التاريخ فريسة للزيف الفكري والديني وعبر وسائطه الاعلامية المتطورة، فأحيا بذلك صورة الغزاة من الماضي (جنكيز ونيرون) الى الحاضر... حيث يمكن مشاهدتهما كل يوم وفي كل قارة... وصار الانعتاق أو الخلاص الذي دعا اليه عيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله، كما الدين، عدواً لدوداً للغرب(الذي يعتنق المسيحية -بعد أن قلد المسيح سيفاً، ثم بندقية، وأسلحة نووية فتاكة). وأقام السلطة الأرضية القهرية، والقانون وأسماها روح الله..ثم تحول الغرب، حيال العالم الآخر، تحول إلى إله.. فتحولت دعوة هوبس(بأن الله قد مات وعلى الانسان أن يكون الها بعقله) إلى حيز التطبيق لدى الغرب.. مثلما تحولت مقولة ديكارت"السيطرة على الطبيعة وتحويلها إلى عاهرة، واقعاً يحسب على الإنسان ايضا..ونلمس كل هذا في دعوته الجديدة بإقامة نظام جديد عالمي،(والشرق أوسطية تكون اسرائيل محور رحاه). فنظام السوق واقتصاده هو محور هذا النظام، وان اسرائيل هي التي تقود هذا الاقتصاد في الشرق، اذن فهي التي تحدد الحرب وتحدد السلام، كما تعين وحدة العرب وفرقتهم.. وبذا يمثل الغرب يوشع الأسطوري الذي يوقف الشمس ويجفف النهر ليعبر أتباع يهوه من الماضي إلى الحاضر.. من الأسطورة إلى التاريخ، ومن التشرذم إلى الدولة المتطورة ذراعا للغرب في أهم بوابات الشرق(الأدنى والأوسط والأقصى) لتحقيق الحلم الصليبي القديم وهو: إسقاط الشرق...

في قلب العاصفة..

نأتي هنا إلى الحديث عن أفكار غارودي حول الصهيونية واسرائيل، وقد أصدر في هذا المجال ثلاثة كتب هي: قضية اسرائيل-دراسة في الصهيونية

---

(١) راجع كتابنا: علم السياسة عند ابن خلدون.

السياسية[1] -والأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية وفلسطين أرض الرسالات. وطرح غارودي مجدداً المسألة اليهودية في أوربا، والتي ارتبطت في دول بعينها، وبقضايا غريبة بلغت ذروتها إما في إطار الاضطهاد القيصري ضد اليهود، وفي وضع اليهودي-في ألمانيا وبريطانيا وإسبانيا وغيرها من دول أوربا- أو بالشكل الذي طرحه كارل ماركس قبل مئة عام، أو بشأن المحرقة النازية في منتصف هذا القرن.. مما جعل الغربيين ينظرون الى هذه المسألة من زوايا متباينة.. وقد خفت هذا النقاش بعد صعود الولايات المتحدة إلى المسرح الدولي، وقيام "دولة اسرائيل" في قلب هذا الشرق العربي.. فبدأ الغرب يتعامل مع هذه المسألة تعاملاً داخلاً في إطار العلاقات الدولية، والنزاع بين الدول.. مما يسر تحويل الحديث عن المسألة اليهودية وميزاتها العنصرية، وأساليبها التضليلية حديثاً ممنوعاً.. في الوقت الذي تلقى فيه الصهيونية دعم القوى الغربية لتحويلها الى قوة عظمى في الشرق الأوسط، ليس من أجل سواد عيون هرتزل ووايزمان ودايان ورابين وبيغن وشارون حتى نتن يا-هو.. بل لتحقيق مطامعها في هذه المنطقة وعبرها إلى الشرق.. هذا الذي طمع به الغرب منذ أول غزو له في التاريخ على يد الاسكندر المكدوني[2] -الى الرومان والصليبيين حتى الحملات اللاحقة في القرن الماضي وبداية هذا القرن إلى أن جاء عهد انتهاء الكولونيالية بعد الحرب العالمية الثانية طبقاً للاتفاقية التي تمت لايقاف هذه الحرب، فزرع الغرب له ذراعاً في هذه المنطقة على مفترق طرق الالتقاء البرية والبحرية والجوية بين الغرب والشرق.. وهو الآن قد وصل الى مبتغاه بأن جعل حارساً على رأس الرجاء الصالح/نظام بريتوريا/ في جنوب افريقيا، وهمش قناة السويس بعد كامب ديفيد، وحاصر شرق المتوسط بطوق الناتو والذراع الإسرائيلي. كل هذا عبر جهوده ومسعاه"لإسقاط الشرق".

والمسألة الأخرى التي أثارها غارودي في نقاشه للمسألة اليهودية-في الغرب في هذا العصر الذي تلتقي سنواته بالألفين هي في النقاش ذاته لهذه المسألة على الساحة العربية أيضاً... في زمن اللغط على الهوية، والحوار مع

---

(١) وقمنا بترجمته عن الأنكليزية مؤخراً

(٢) عندما جهز الاسكندر هذا حملته واستعد لغزو الشرق ٣٣٢ق.م. عرج على أستاذه أرسطو وقال له: ماذا تريد من جنائن الشر لتصنع منها دواء لمرضاك ياسيدي.. فإنني عازم على غزو الشرق.. ولكن الفيلسوف العظيم نظر إليه شزراً وأجابه هازئاً: أغرب عن وجهي لأرى نور الشمس تشرق أي وجه الحقيقة القادمة من الشرق....

الآخر.. وبكلمة أكثر تحديداً، في زمن التطبيع.. وأخطره التطبيع الثقافي الذي يبتغي، إنتماء اسرائيل جغرافيا للمنطقة.. إلى ماهنالك من دعوات تضليلية تتخذ من أسرائيل مثلاً.. مما يعيد صورة التهافت، بل التهالك الفكري التي أصابت هذه الأمة في العصر العباسي الرابع، إذا استقوى المتهافتون ببني بويه على بني العباس خلاصاً مما هم فيه، من تسلط النظام، فلاقوا ماهو أمر وأدهى على يد البويهيين.. فاستقووا ببني عثمان على بني بويه. حتى سقطت الدولة العربية بيد الأغيار وقبضتهم المدمية.. وبعد أربعة قرون من ظلم العثمانيين استنجد هؤلاء بالغرب وقد انبهروا بنظمه.. فدعوا الى الاقتداء به و"إراقة نضجه فينا" .. وبعد أن رأوا النضج الغربي في ظل الاحتلال.. فإنهم يستنجدون الآن بعدو الأمة التاريخي والجغرافي.. وهكذا يستقوي الساقطون بإسرائيل عبر دعواتهم الثقافية المشبوهة وأصواتهم التي تعلو تارة وتخفت تارة أخرى[1] ....

ومن هاتين النقطتين تأتي طروحات غارودي في غاية الأهمية وملحاً يرش على جراح أبناء هذه الأمة التي ينيخ الوهن بكلكه عليها في هذا الزمن الصعب.. قام بكشف الغطاء عن وجوه القتلة، والمضللين، وعن الأباطيل التي خدع بها الغرب والمتهافتون على ثقافته وأطروحاته المشبوهة...

فأثارت كتاباته معركة ثقافية -فكرية في فرنسا، والغرب عموماً، حول الفهم الغربي للصهيونية والسياسة اليهودية الراهنة، وشكلت هذه الكتابات منعطفاً في الفكر الغربي(وبخاصة بعد غزو اسرائيل للبنان أمام مرأى البشرية ودولها كافة) وقد استطاع الكاتب-الفيلسوف-غارودي ومعه رهط من أصحاب الفكر الحر(ومنهم بييرورسي)، من بلورة اتجاهين كبيرين في الفكر الغربي:

الأول: ويرى في الصهيونية حركة قومية من الحركات القومية الحديثة ويدعو إلى تأسيس دولة يهودية بمساعدة أوربا كما يدعو إلى الاندماج، والمساواة، وكذلك عدم الاندماج، أي التذبذب والتبدل كصورة عن أزمة الفكر الغربي المعاصر التي يحاول الغرب تصديرها الى الشرق.. ولذلك أتت هنا الدعوات متناقضة.

والثاني: هو الاتجاه المتنور-والقارئ الجيد للتاريخ والمجتهد ثقافياً وأيدلوجيا.. وقد مثل هذا الاتجاه من قبل: بييرروسي، وليون فابنشتوك، ومكسيم رودنسون، وإيلي لوبيل، وتوينبي، وكورت فالدهايم.. وغيرهم.. وقد اقتصر هؤلاء على فهم المسألة اليهودية من جهة جذرها السوبرماني والاقتصادي،

---

(١) وقد أفردنا لهذه المسألة بحثاً مفصلاً في كتابنا اللاحق: الاتجاهات الهدامة في الثقافة العربية(من التنوير إلى التطبيع).

والاستعماري (رودنسون).. ويمثل هذا الاتجاه محاولة نقدية لفهم هذه المسألة المعقدة في إطار تعقيدات الفكر الغربي-(وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الشعب اليهودي، والأمة، والقومية .. الخ) فرد في البداية على مقولات "الحسيديين"(التي ترفض وجود دولة اسرائيل لأنها هرطقة دينية ولاهوتية، فأدت إلى قيام فكر وجودي يهودي متحفظ على المفهوم القومي اليهودي، الى الاتجاه العلماني الذي بدأ مع هرتزل فحول الحركة الصهيونية الى اتجاه "اسرائيل شاحال" - كتبريريين وذرائعيين). وبذا صعد غارودي النقاش حول المسألة اليهودية فشكل منعطفا في التفكير الغربي حولها يتميز باتجاهين:

- اتجاه يتميز بالموقف السياسي المعادي للصهيونية وللتوسعية الإسرائيلية.
- وآخر يتميز بالموقف الفكري واستعادة النقاش(الفكري اللاهوتي) للمسألة اليهودية بعامة على ضوء الطروحات الإسرائيلية والغربية الحالية، عبر تحليل للفكر الصهيوني وجذوره اللاهوتية-الأسطورية، وما إلى ذلك..

ويميز غارودي بين شقي الصهيونية، اليهودية والسياسية.. ففي الصهيونية اليهودية وجد أنها تنطلق من المجازية الإسرائيلية، التي كانت متعلقة بـأمل اليهودية الأكبر في انتظار مجيء المسيح اخر الزمان حيثما:"تدعى جميع شعوب الأرض إلى حكم الرب الذي سوف يتحقق"/سفر التكوين ١٢/٣/. وأن هذه الصهيونية الدينية ابتدعت فكرة الحج الى الأرض المقدسة مما زاد من قدوم طوائف روحانية لذلك، وبخاصة وقت الحملات عليهم في اسبانيا وملوكها شديدي التمسك بكاثوليكيتهم دفعوا المتدينين الى الإقامة في فلسطين.. وكذلك كان هدف "عشاق صهيون" إقامة مركز روحي في فلسطين، ويقول غارودي:"والملفت للنظر أن هذه الصهيونية الدينية لم تصطدم بمعارضة المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم منحدرين من ذرية إبراهيم ومنتمين لعقيدته ولم يثر هؤلاء القادمون أية مشكلات مع العرب، السكان الأصليين، مسيحيين او مسلمين.. وحين أصبحت توجهات هؤلاء المتدينين عنصرية هاجرت من بلدانها الى فلسطين ثم بدأت تخلق المشكلات، تحولت هذه النزعة من دينية الى سياسية، أي من جماعة روحية إلى جماعة تبحث عن تأسيس دولة.."

ويبدأ غارودي بالبحث في تاريخ تكون هذه النزعة فيعزوها الى هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤ وأقام في فيينا ١٨٨٢ وأشرف على تشكيل مذهبها حتى /١٨٦٤/ في كتاب هو"الدولة اليهودية"، ووضعه موضع التنفيذ في المؤتمر الصهيوني الأول/بال١٨٩٧/، وقد كان يخالف الصهيونية الدينية لكونه كان من دعاة"اللاأدرية" ومعارضا لمن يعرف اليهودية بأنها ديانة، فيما هي بنظر

الصهيونية السياسية"أمة"... ولذلك فإن قوانين اسرائيل تبين بغموض "من هــو اليهودي"، والتذبذب بين التعريف المبني على أساس العرق وذاك المبنى علــى أساس الدين، ويخلص في تعريفه للصهيونية السياسية الى القــول بــأن "هــذا الطباع إنما هو استعماري ويقوم على أسس وهمية وعواقبــه مضــرة بأهلــها وبالسلام العالمي".

ثم يتحدث عن بدعة اللاسامية وينوه بأن الكشف عن التسلل من الصهيونية الدينية الى السياسية ومحاولة إضفاء القداسة على سياسة معينة بقصد اعتبارها من المحرمات لايجوز المساس بها، ترتب على صاحبها تحمل تهمة اللاسامية، حتى تلصق بكل من ينتقد السياسة التي يتبعها قادة اسرائيل.

ويقول:"وقد برزت أفكار أساسية حــول اللاســامية فــي كتــاب برنــار لازار"اللاسامية" تاريخها وأسبابها لعام ١٨٩٤-في أجواء مشبعة بقضية مقتــل دريغوس الضابط اليهودي في فرنسا، ونشوء الصهيونية على يد هرتزل.وفيــه يرد على أوسع الكتب اللاسامية انتشاراً وهو" فرنســا اليهوديــة-لا../ لكاتبــه درومون (١٨٦٦).

وذكر "لازار) بمسؤولية اليهودية عما يجري عليــها مــن اضطــهاد.(أي خرافة الشعب المختار وتبعية بقية الشعوب الأخرى لها كشعوب حقــيرة" كمــا ينظر الكاتب إلى هذه الكتب المزيفة)، وإلى انكماش طوائفها وتفردها...

ويقول غارودي:"وظهرت تسمية اللاسامية لأول مرة في كتاب صحفي من هامبورغ هو" ولهالم مار" بعنوان"انتصار اليهودية على الجرمانية-١٨٧٣". أما عن معاداة المسيحية لليهودية يقول الكاتب أنها من مخلفات الفكر القســطنطيني الذي تبنته الكنيسة الظافرة، وارثة تقــاليد كهنــة المعــابد اليهوديــة وتقــاليد الإمبراطورية الرومانية وحاربت الوثنية واليهودية.. إذ أن المفهوم المســيحي القسطنطيني (كما ذكره غارودي) يعتبر اليهودية ديانة وثنيــة أيضــاً.. ولعــل ماخلص إليه غارودي بشكل أو بآخر في كتاباته المتعددة، والتي تتركز حــول الاستخدام الأساسي للأسطورة وتوظيفها لغاياتها التوســعية والعنصريــة. أمــا العزلة اليهودية التي قال بها لازار فتجد لها مؤيدين اليوم من يهود دول أوربــا وفي الولايات المتحدة نفسها. ويقتبس غارودي لبحثه قولاً من لازار هو:"مــن الحماقة جعل اسرائيل مركزاً للعالم وخميرة للشعوب ومحركاً للأمم"، وهو يشير بذلك الى بوسويه، ودرومون/ في عرض تاريخ الكون-أن يهودا مركز العالم/ . ولعل انتشار الماسونية التي تهدف الى نسف الأديان وانتصار اليهودية هــو ماجعل أباطرة الغرب منذ :١٧١٧/ يحرفون المسيحية عن أصولــها الحقيقيــة ويدخلون فيها تشويهات شتى منها جمع التوراة مع الأنجيل في"الكتاب المقدس" فيما بعد.

ثم يقول غارودي:"وفي هذا الوقت يجري الاستناد الى مثل هذه النصوص لتبرير أمرين: التوسع المستمر في الحدود- والطرائق التي تتبعها اسرائيل في التقتيل والإرهاب. وقد سبق لبن غوريون أن استند الى نص توراتـــي وحـــدد اسرائيل كما يلي:١-جنوب لبنان حتى الليطاني(وهو شمال اسرائيل الغربية)٢-جنوب سورية - ٣-شرق الأردن - ٤-فلسطين - ٥-سيناء". وقام غـــارودي بشرح هذا التقسيم فقال:"وفقاً لهذا المخطط فإنه كان من المفـــروض أن تمـــر الحدود الشمالية بخط عرض مدينة حمص السورية التي ماثلها بمدينـــة حمـــاه المشار إليها كحد شمـــالي لأرض كنعـــان"لكـــن مادخلـــهم بـــأرض كنعـــان وبالكنعانيين؟. فهذا وجه من وجوه السطو والاغتصاب/ من سرقة التراث الـــى اغتصاب الأرض/. ويذكر غارودي طرفة عن الاستخدام التوراتي مـــن قبـــل دعاة الصهيونية لتبرير عملياتهم الاغتصابيـــة والعدوانيـــة، فيقـــول :"إن ثمـــة صهاينة توراتيين طابقوا بين حماة وحلب فيما جعلها غيرهم في تركيـــا. أمـــام الحاخام"أدرين شتنسالز" فقد طالب خلال ندوة عقدها"سارتر" في اسرائيل،طالب بحقوق تاريخية لليهود في قبرص(....) وأن بيغن أثناء غزوه للبنـــان أصـــدر أمراً بإلغاء رحلات شركة"العال"أيام السبت لتبيان احترامه للعطلة المقدســـة"... كما يفعل اليوم صهاينة الليكود والعمل.. ثم يأتي الى تفنيـــد مقولـــة"اليـــهودي" فيقول إنه"وفقاً لعزرا ونحميا وكما نصت عليه محكمة نورمـــبرغ العنصريـــة: يعتبر يهودياً من ولد من أم يهودية(وهذا برهان عنصري) أو من اعتنق الديـــن اليهودي(وهذا برهان لاهوتي) ولايستطيع أن يفيد من قانون العـــودة إلا مـــن تنطبق عليه هذه المعايير وبالتحليل المنطقي للتاريخ فإن أم ابراهيم مؤابيـــة وأم سليمان كنعانية، حتى أم موسى وغيره.. فهل تنطبق عليهم المعـــايير لو عـــادوا الى فلسطين اليوم؟.. ويذكر الكاتب عن الأساطير العرقية التـــي يســـتند إليـــها الصهاينة في تعاملهم الديني والسياسي فيقول: "والأسطورة البابلية فـــي ســـفر التكوين(١٠/١٨/٢٧) استخدمت كغيرها من الأساطير العنصرية لتبرير الطبقة والتسلط: فأبناء نوح الثلاثة" الذين غمروا الأرض بنسلهم" بعد خروجـــهم مـــن الفلك كانوا أصلاً: آسيويين (من سام)وأوربيين(من يافث) وأفارقة من -حـــام). وجرى تكريس الآخرين للعبودية والعنف. وأن "حـــام" الجـــد الأعلـــى لعبيـــد الأرض، و"يافث" جد الأسياد أما "سام" فجد العلماء ويقف علـــى رأس جميـــع الطبقات"، ومن حق غارودي أن يهزأ لهذه الخرافة وغيرهـــا مـــن ســـخافات الصهاينة، والتي لم تترك للعقل أي دور للنشاط، وللفكر التمدد خـــارج اطـــار الخرافة واللامعقول، وللدماغ أن يتحرك خارج مضمار الانفصامية.. في حيـــن أهمل العرب عدداً من رواياتهم عندما بدؤوا يرتفعون بالروي والنقل الى تعيين الماضي، وتسميه شخوصه ممن لم يذكرهم كتاب، وبخاصة الأنبياء، فرفضـــوا

رواياتهم ونبذوها لأنها نوع من التدخل في شؤون السماء وأن ليس هناك من هو مكلف على الأرض بذلك وأن الله لم يعط بعد محمد بن عبد الله الوحي أو صلاحية من هذا القبيل لأحد.. ومن هؤلاء الرواة كتاب التيجان لوهب بن منبه، فقد أهملته العرب فيما مضى تماماً، وضاع فوجدوه(مخطوطة متهالكة في الهند) ووجد من اهتم بخرافاته وسواه فطبعه، لكنه بقي على قيمته غير الوثوقية من بين الروايات، فيما أن الصهاينة ومعهم رهط كبير من المستشرقين، لم يأبهوا لتزوير التاريخ والحقائق والافتراء على الله والأنبياء والشعوب وهويتها[1] وهذا السطو المقصود لابد أن يدفع أصحابه ثمنه الباهظ،

---

(1) إذ أن الأنبياء في التوراة نراهم عصبة من الأشرار: سكيرين، زناة، لصوصاً، أفاكين، منافقين.. كما نرى الله في هذا الكتاب المزيف وكأنه نادم على اختياره لأنبيائه.. نراه ينام ويستيقظ/"اسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه"-سفر زكريا-الاصحاح الثاني/. واقترف الأنبياء في التوراة المزيف كل الخطايا، اقترفوا كل الذنوب.. فنقرأ عن نوح عليه السلام في توراتهم(أنه شرب خمراً حتى سكر فتعرى داخل خبائه.. ورأى حام ابنه عورته فأخرج أخويه"سام ويافت" فسترا عورته، ولما تيقظ علم بالأمر فدعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين:"يكونوا عبيداً لسام مدى الدهر"- ويقصد الكاتب اليهودي هذا بأبناء حام، الفلسطينيين والمصريين.. وحام في توراتهم هو أبو كنعان إلا أن الأمر لم يتطابق معهم فيما بعد فاقتصروا على (الكنعانيين) الفلسطينيين. لكن هل من شيم الأنبياء هذا الفعل، وهل تستحق رؤيا الابن لأبيه عارياً كل هذه اللعنة أن يكون أبناؤه عبيداً لأبناء عمومتهم؟. إنها أقوال زائفة وسوقية لا ترقى للتحدث بها عن العوام وأبناء المواخير، فكيف يمكن تنسيبها الى نبي.. وعن لسان الله ..؟ ولم يكتفوا بالقذف على نوح عليه السلام بل وعلى كل الأنبياء ... فجعلوا لوط النبي يزني بابنتيه؟!. واسحاق يخادع يعقوب وعيسو.. ويسرق غنمهما. وحينما يشكو الأنبياء يجيبهم يعقوب/ حسب التوراة هذه/:"لقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني". بمعنى آخر/ أن الله مشترك معه بهذه الفعلة كما يصوره كاتب التوراة.. فأي إله هذا وأي نبي ذاك؟.. وفي مكان آخر يبين كاتب التوراة، ولشؤون عنصرية بحتة، بأن كل أسباط اليهود هي من نسل يعقوب؟!.. فأي كتاب هذا المسجل بأقلام ←

أقله النبذ. وأن التزييف عندما يطال السماء فإن شعوب الأرض كلـها تستنفر ولو ضمنياً لاستعادة كرامة السماء على الأرض.. فما بـالك إذا طـالت هـذه التزييفات أهل الأرض كافة وباسم السماء.. بمعنى هل صحيـح أن الله خلـق الإنسان ليقزمه، ويسفه خليقته.. وأن لون البشرة "الحاميـة" بنظرهـم ملعونـة ولذلك هي سوداء ، أليس هذا تقزيما للإله نفسـه؟.. وهـذا مـاتوصلت إليـه تحليلات غارودي ودراساته.. ولهذا يواجه أشكال الاضطهاد والكم، فـي بلـد الحرية والفكر الحر!!؟ لقد اجترح الصهاينة من جملة ما اجـترحوه أن هنـاك جيشاً لله خاصاً بالشرق وبالعالم وهم أفراده. وينقـل غـارودي قـولاً لأحـد الصهاينة يعين هذا الجيش وقوته وأفعاله إذ يقول فـي معـرض حديثـه عـن الخرافة الآرية:"إنه وتمشياً مع التقاليد العبرية أو بـالأخرى الحاخاميـة فـإن للحرب قيمة بحد ذاتها، حتى ولو لم تكن حرباً دفاعية، في مسالك(الخلاص).. وقد بلغنا في لبنان مرحلة حرب الأيام الستة.. فبواسطة حرب لبنان هذه كشفنا عن مدى قوتنا العسكرية.. إننا مسؤولون عن النظام في الشرق الأوسط وفـي العالم على السواء"..

أما الأمة فليست القيمية العليا، بل الله.. والأيديولوجيـة القوميـة أو روح القومية لن تكون مشروعة مادامت تجعل الأمة غاية بذاتها.

⟶

عنصرية مفترية على الله والأ نبياء؟.. وكذلك" يهوذا" نبيهم المفضل لديـهم فقد قذفوه بأقذع الوصوف.. حيث زنى بزوجة ابنه(واسمها ثامـار) كمـا جعلوا من هارون عابد أصنام.. ولم ينج موسى من التلطيخ.. إذ أنه عندما عصاه قومه وعادوا إلى عبادةالا صنام توسل موسى لربه كي يصفح عنهم، وتذكر توراتهم هذه الحادثة بالقول:"ارجع يارب من غضبك واندم عن الشر بشعبك. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه" سفر الخروج ٣٤/. وحاشى الله عن كل هذه الأوصاف، والتي لاتصدر عن نبي.. وبعد موت موسى تحولت التوراة هذه الى بيانات حرب تعلن الحرب على الكلعانيين ومن أجل أرض الميعاد.. وتنصب شـاول ملكا على بني اسرائيل، ثم مايلبث أن يندم على تنصيبه بدلاً من صموئيل لأن شاول يقوم بخطايا من ورائه.. ثم يحاول شاول قتل داوود وتدور بينهما حـروب تنتـهي بانتصـار داوود.. لكنه لم يسلم داوود أيضاً من القذف، فقد جعلوه في كتابهم المزيف هـذا يزنـي بامرأة الضابط (الحثي) فتلد له سليمان.. وهكـذا نجـد أن هـذه الخطايـا مـن فعـل الأنبياء..(ولعلنا سنتحدث عن التزييفات التوراتية في مكان آخر ونكتفي هنا بهذا القـدر، لشرح ودعم غارودي في وضع الأساطير التي ذكرها في صورة أوسع لدى القارئ).

وأن اليهود أبعد من أن يكونوا أمة، بل إنهم أعضاء في جماعـــة" وهـذا القول ينطبق على الجماعة بكل صنوفها، سواء كانت جماعة لعـب بـالنرد أو الشطرنج أو بحياة الناس والشعوب، أم عصابة "مافيا"..."وإذا ماطورت أسلحتها ومكنوا لها في الشرق الأوسط فإنها ستسطو على العالم كله وعلى مـن مكـن لها.. أو لم يقل نتن يا-هو .."أن ليس بمستطاع أميركا تعيين رئيس اســرائيل وهي ليست قارباً أميركياً يحدد له كلينتون الربان والقائد[1]..

ويحمل غارودي الأوربيين سبب هذه التزييفات والتحريفات النابعـة مـن النزعة القومية الأوربية في القرن التاسع عشر والتي جعلت منها اليوم بديـلا للديانة ومذهباً لعبادة الدولة تلك المدعوة:"دولة اسرائيل".

ويذكر غارودي برسالة بعث بها أحد المهووسين بهذه العبـادة الأرضيـة (بوبر) إلى المعلم الهندي العظيم(المهاتما غاندي) رداً علـى ماقالـه غـاندي ١٩٣٩- في تساؤله عن سبب عدم شعور الصهاينة بالطغيان والاضطهاد الذي جرى عليهم في البلدان التي مارست عليهم ذلك في البلدان التي ولدوا فيها بدلاً من البحث عن وطن قومي آخر، أي في أوغندا أو في فلسطين.. "وهل يعقل أن أقول إن الهند للإنكليز لأن لهم فيها أثراً سالفاً وأن فيهم من يعرفون لغتها.. أو بلاد العرب للهنود لأن فيهم من يتكلم العربية؟.." فأجابه بوبر بكل فوقية وتعالٍ مفرطين وأنانية متورمة، قائمة على تلك الوعـود(الربانيـة) المزيفـة فقـال: "الأساسي بنظرنا ليس وعداً بالأرض بل يرتبط تحقيقه بالأرض وبوجود مجتمع يهودي في هذه البلاد" إذن إن لهم مهمة موقتة في هذه الأرض وبواسطة هـذا المجتمع وجنسه، هي هذه الدولة (دولة الـرب) وهـل بـاقي الـدول عظـام مسحوق.. أو بقية الأمم خدام لهم؟..

يذكر غارودي بلسان بوبر الصهيوني:"كنا نأمل أن ننقـذ فكـرة القوميـة اليهودية من خطأ تحويل الشعب إلى معبود فأخفقنا".. يقصد الشعب المختـار.. ويقر غارودي بأن القوة"هي أشد النظريات فساداً وخطأً وخاصة تلك التي تزعم بأن مسالك التاريخ إنما تشقه القوة.. والقوة هي دائماً تغليـب لمـا هـو دون الإنساني على الإنساني، تغليب السخيف على الرصين، والمنحط على النبيل".

واستخدم غارودي في تحليله أسلوب الاقتباس الموثـق لدحـض الكـذب الصهيوني.. فساق صرخة لأحد الصهاينة، بنيامين كوهين، من جامعة تل أبيب إلى فيدال كافيه يوم ٨ حزيران ١٩٨٢ أثناء غزو إسرائيل للبنان وقد قال فـي

---

(١) على طريقة أبي الطيب المتنبي إذ قال:

أعلمهُ الرماية كل يومٍ ولما اشتدّ ساعدُه رماني

رسالته:"اكتب اليك وأنا أستمع إلى مذياعي الصغير يعلن بأننا على وشك تحقيق هدفنا في لبنان... ألا وهو: توفير السلام لسكان الجليل.. إن هـــذه الأكـــاذيب الجديرة بغوبلز تكاد تذهب بعقلي!... إذ من الواضح أن هذه الحرب الوحشيــة والأشد وحشية من كل سابقاتها، لاعلاقة لها البتة بمحاولة القتـــل فـــي لنـــدن ولابامن الجليل.. ترى أيستطيع يهود من أحفاد إبراهيم طالما كـــانوا ضحايـــا الجور والاضطهاد أن يصلوا إلى هذه الدرجة من الوحشية إنمـــا هـــو نـــزع اليهودية من قلوب اليهود؟." وينهي كوهين رسالته الى ابن ملته بالتدخل كيـــلا يبلغ الصهاينة وبيغن وشارون غايتهم المزدوجة في تصفية الفلسطينيين كشعب، وهذه ستقود الى تصفيه اليهود وكائنات بشرية [١].

ومن حق كوهين هذا عدم التمسك بيهوديته وادانتها لأنه يراها خطراً على البشرية.. ويذكر غارودي هنا: أن هذه الأدانات هي بعنـــف ادانـــات الرســـل الغابرين.. كتلك التي لعن فيها (إرميا) اولئك"الذيـــن يتحدثـــون زوراً باســـمي لديك.. خطيئتهم أنهم يجلبون العار لإسرائيل" أو تلك التي أدان بها (ميخا) قادة اسرائيل بقوله:"اسمعوا إذن ياقادة يعقوب، ياقضاة دار اسرائيل، يامن تخشـــون الاستقامة، وتلوون كل مستقيم، بتشييدكم لكيان صهيون وسط الدماء، واشاعتكم الجرائم في أورشليم".. وذكر عن أحد المتحمسين للصهيونية(برنار لازار) بأنه كان يقول بأن التلمود حرف قول التوراة(الأحبار قتلوا الأنبياء) وقال بأنه عندما كان الحاخام (يوشع) يقول:"أختر من غير اليهود أفضلهم واقتله، لم يكن أشـــد وحشية من قتلة اليوم، الذين لايسمحون بمناقشة أوامرهم.

ويتنبأ غارودي بأن تفضيل الصهاينة لاختيار"الأحبار الذين يقتلون رســـل الرب" هو تضليل يقود إلى انطلاق حملة فعليه ضد السامية.

نعم لقد قتلوا رسل الرب.. فطالت أيديهم جسد الأنبيـــاء(الثـــائر والشـــهيد العربي الأول) السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام!. ويتابعون مجازرهم التي تطال أحفاده اليوم!. مثلما حاولوا قتل نبي الله محمد، وتطال أيديهم أرضه [illegible] ومقدساتهم!. لكن الأنكى من ذلك أن يقوم الغرب اليـــوم بجمـــع هـــذه الخرافات العهد القديم مع الأناجيل العهد الجديد في كتاب واحد ويسميه"الكتـــاب المقدس".. فكيف ضموا القتيل وأقواله الى القتلة وأقوالهم؟!..[٢]

---

(١) ونشرت الرسالة في (لوموند) ص٩-١٩/٦/١٩٨٢.

(٢) إذ تدافع الكاثوليكية عن التوراة المزيفة هذه وترى أنها تذكر كـــل شـــيء، الخطـــأ والصواب، فيما ترفض البروتستانتية هذا الكتاب(أســـفار بـــاروخ، وطوبيـــا ويـــهوديت والمغابيين وبعض استير وبعض دانيال) وتقول إنها مدسوسة على التوراة، كما أن اليهود ←

وفي هذا يبين غارودي:"إن العمل في صالح اليهودية والمسيحية ينطلق من رفض الانخداع بذلك التلاعب بالمقدسات وعدم الخلط بين اليهودية وبين ترمت الصهاينة العنصري" وعن التزييف التوراتي يبين غارودي مراحل هذا التزييف وأساليبه ودعاته، فيقول:"إن التفريق بين الحقد الطبيعي والتاريخي، أي الوعد بالأرض، والأسطورة فهو سهل لأنه ليس هناك خارج نصوص التوراة أية أشارة لروايات العهد القديم- قبل القرن العاشر قبل الميلاد-ولافي مدونات شعوب الشرق الأوسط ولافي الحفريات الأثرية. بل إن عالماً كالأب "ديفو" وهو الذي حرص على إنقاذ العهد القديم، يعترف بأنه ليس هناك خارج التوراة أية إشارة واضحة للعبرانيين وإقامتهم في مصر وخروجهم منها .. ولاحتى الى غزو أرض كنعان. ومن المشكوك فيه اكتشاف نصوص جديدة تكتشف أو تبدد صمت ماكان.." من هنا كانت مساهمتنا هذه في البدء من حيث أنتهى المفكر الحر غارودي، لنبحث في سرقات التوراة والقصد الموجه من هذه السرقات عبر العصور وهو احتلال فلسطين.... وربما لم يكن غارودي قادراً على متابعة دراسته نتيجة الملاحقات القضائية له من قبل اللوبي الصهيوني في فرنسا(جماعة الليكرا) لذا وجدنا أن نتابع الدراسة من النقطة التي انتهى عندها غارودي، راجياً تحقيق المبتغى .



أنفسهم يختلفون فيها، فالسامريون لايعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى (من آدم إلى موسى) وينكرون الباقي لأنها:"قصص ومذكرات تروي أحداث بني اسرائيل بعد موسى ولايد له فيها".

الفصل الأول

كشف الحقائق

"إن الربانيين والحاخاميين فسروا التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يلبي غرائزهم الشريرة ونزوعهم للتفوق على بقية أجناس البشر"..
وول ديورانت – قصة الحضارة ..

● لقد كتبوا علي الرمال...

يتفق جميع الباحثين ودارسي التوراة، تاريخا وكتابة وترجمة، على أن النسخة الأصلية للتوراة قد ضاعت من أيدي عسكر نبوخذ نصّر.. فقام رهط من أحبار اليهود بنقلها وجمعها.. وعندما ظهرت هذه النقول المجموعة على يد"عزرا" ضاعت مرة أخرى في حادثة حرق أورشليم، التي قام بها ملك الفرنجة "أنتيوكس" بعد احتلاله القدس، فحرق جميع نسخات العهد القديم وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من هذه الكتب.. وليست هذه الحادثة هي آخر ماوقع لهذا الكتاب من أحداث وواقعات كانت قبل مئة عام من ميلاد السيد المسيح، فقد تكررت هذه الوقائع بعد الميلاد.. ومن نافله القول بأن كل منقول مشكوك بصحته وهذا مايمكن استبيانه من المدونات التاريخية والكشوف الأثرية التي أماطت اللثام عن سرقات التوراة ومغالطاتها سواء من حيث التسلسل الزمني للتواريخ والوقائع المثبتة تاريخيا أم من حيث الأسماء والأماكن والسلالات والهجرات... ناهيك عن الحذف والزيادة التي حصلت بما يتفق ومزاج او أهداف كتبة التوراة.. إذ أنهم دونوا كل ما ارتأوه جديراً بأن يحتويه تاريخ يؤسس للجنس اليهودي، فحذفوا كل مالم ينل استحسانهم، وكتبوا تاريخاً يملكهم فلسطين أو يخولهم العودة إليها.. فربطوا سلالاتهم بابراهيم النبي الكلداني ليكون لهم الحق بامتلاك أرض فلسطين، واختاروا"إبراهيم" لكونه أول أنبياء المنطقة العظماء.. وقبل الغوص في التفاصيل والكشف عن حقائق التاريخ ننوه إلى أهم نقاط الشك والالتباس التي يلحظها الدارس في قراءته للتوراة وأهمها:

١. أسماء المدن والأماكن والمواقع التي ورد ذكرها في مدونات أقدم من التوراة وتعاكس ماورد في التوراة، حيث هي غير محددة.
٢. تواريخ الأحداث والوقائع التاريخية المضبوطة حسب تسلسلها الزمني وعلاقة الأقوام بهذه الأحداث وأدوارها فيها.. وكذلك هجرات هذه الأقوام وثقافاتها ولغاتها، فهي مغلوطة في التوراة.. وربما الغلط مقصود أو النقل توخى ذلك..
٣. وكذلك أزمان الهجرات من الجزيرة العربية بشكل متتابع الى فلسطين وبلاد الهلال الخصيب قبل ظهور موسى النبي ومابعده..
٤. انتحال أسماء ومصطلحات لاتخص اليهود بتاتاً، بل هي من صفات العرب وموروثاتهم ولغاتهم وآدابهم(العبري، يهوه، اسرائيل، صهيون ... الخ).
٥. تعيين زمن الحوادث المذكورة في التوراة بحسب التوافق مع شؤون الكتبة واغراضهم وقياساً على الوقائع الحربية واتخاذ اسماء السلالات الحاكمة في كل عصر وتحويلها الى مقولات دينية لاوقائع تاريخية، مما يجانب الحقيقة ويظهر التزوير بسهولة ويسر.
٦. السرقات... سواء سرقة الشرائع والنصوص من الأساطير والآداب العربية القديمة منذ السومريين وحتى الفينيقيين، أم سرقة التراتيل والتسابيح والأمثال، وتحويرها الى سور وآيات دينية نقلت الى العبرية لتشكل الكتاب الذي يسمونه التوراة-وقد نقلت من البابلية والآرامية والكنعانية والفرعونية ..الخ.
٧. إن التوراة ذاتها تفيد بأن اليهود هم غرباء على المنطقة (كلها) ودخلاء على فلسطين، وأنهم عجزوا عبر وجودهم-ذاك-عن إقامة دولة لهم.. من هذه الملاحظات، ننتقل الى التوثيق والتدليل على صحة مانزعم فيما يخص مسألة التوراة والتزييف الحاصل فيها عبر العصور..ناهيك عن أن يهود اليوم لايمتون بأدنى صلة ليهود الماضي.
يقول الكاتب أدوار كييرا-في كتابه"هنا كتبوا على الطين" إن شرائع وقصص وأساطير التوراة ترجع إلى أصل قديم، وليس لليهود فيه دور، بل انها سومرية واكادية وبابلية وكلدانية وآشورية ومصرية وكنعانية.. وليس لليهود أي أدب مبتكر(ابداع أدبي) أو ثقافة خاصة. وإن مالديهم هو مقتبس من قبل كهنتهم من المدونات العربية القديمة فأخذ كل ما ارتأوه جديراً بأن يحتويه تاريخ يؤسس للجنس اليهودي.. وحذفوا بلا هوادة كل مالم يلق استحسانهم" [1].

---

(١) راجع "هنا كتبوا على الطين" ص ١٥٤- بالعربية.

لذا فإن التوراة هو جمع أساطير وآداب شعوب المنطقة القديمة نقلها عزرا وأحبارهم وحاخاماتهم كشرعة لاغتصاب الأرض والقتل والتدمير.

فالأسماء الواردة في التوراة هي أسماء عربية، ولنبدأ باسم "يهوه".. فهو اسم لإله عربي-هو كبير آلهة الفينيقيين الذين سكنوا أرض مديان.. وقد أثبتت المكتشفات صحة ذلك. والعبري أو العبراني-هو مصطلح أطلق على طائفة من القبائل العربية القادمة من جزيرة العرب شمالاً الى بادية الشام وعلى غيرهم من الأقوام عابرة البادية، قبل ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد.. حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو البادية وقد وردت كلمة الأبري، والهيبيرو، والخيبرو، والعبيرو في المصادر الفرعونية والرقم المسمارية قبل وجود موسى وأي يهودي بعدة قرون[١] وإن نعت ابراهيم بالعبراني(كما ورد في التوراة) إنما اقتبس من معنى العبريين أو العابرين وهم القبائل العربية البدوية ومنها الآرامية التي ينتمي إليها أبراهيم نفسه بعد أن قطع الصحراء غرباً الى فلسطين-كما سنرى فيما بعد. ولهذا نلفت النظر الى التمييز مابين العبري والاسرائيلي والموسوي واليهودي المعاصر، منذ البدء لضرورة الاتساق والدقة.. وذلك لأن عصر ابراهيم هو عصر عربي ليس له أية صلة بعصر اليهود..(وقد نبه القرآن الكريم الى ذلك بالنص:"ياأهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم، وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده، أفلا يعقلون.. ماكان ابراهيم يهودياً ولانصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين" [٢] .

وفيما يخص التمييز مابين"اليهود وبني اسرائيل" فذلك عائد الى أن عصر موسى وعصر اليهود، هو غير عصر ابراهيم ويعقوب(إسرائيل) لأن بينهما سبع مئة سنة على الأقل.. هذا من ناحية.

وإن عصر اليهود لايمكن إرجاع تاريخة الى عهود حيث لم يكن لهم أي وجود.. زد على ذلك أن التوراة المعنية في بحثنا هذا قد كتبت بعد موسى بكثير.. وكذلك إسرائيل (ويقصد به يعقوب حفيد ابراهيم) وأبناؤه-بنو اسرائيل- الذين أوردت أسماءهم الأسفار، فأن دورهم محصور في حران(حاران) حيث موطنهم الأصلي الذي ولدوا وترعرعوا فيه. اما فلسطين فهي أرض غربتهم وقد وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد وهو نفس عهد ابراهيم الخليل، وقد أخذوا لغتهم من لغة المنطقة (الآرامية) الكنعانية والعمورية وهي ذات

---

(١) راجع-تاريخ العرب واليهود لأحمد سوسة-ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لمحمد طه باقر.

(٢) سورة عمران.

الأصل الواحد أو اللغة الأم وقد نطقوا بهذه اللغة لا بالعبرية.. وأن يعقوب هو آرامي ولغته هي نفس لغة إبراهيم وكذلك أبناؤه.. وقد عاشوا جميعاً في عصر إبراهيم ودوره.. وبهذا نرى تناقض الأسفار ونقلها المغلوط.. كما أثبتت المكتشفات الأخيرة ان كلمة اسرائيل كانت اسما لموضع في فلسطين وهي تسمية كنعانية، ووردت في الكتابات المصرية القديمة والتي ترجع الى ما قبل عصر موسى، كما أن أسماء ابراهيم ويعقوب ويوسف وردت في الكتابات المصرية قبل عصر موسى، مما يدل على أنها كنعانية.. وقد انتهى هذا الدور بهجرة أسرة يعقوب الى مصر وانضمت الى يوسف (وهذا قول التوراة) وقد انمجت وذابت فيها كلياً بحكم أنها أقلية وعاشت بين الأكثرية ردحاً طويلاً من الزمن، وهذا منطق التاريخ وعلم الاجتماع على أقل حد.. وإن كلمة اليهود اشتقت من اسم يهوذا ابن يعقوب من أمرأته" ليئة" رابع أبنائها بعد الانفصال، وهو الذي اقترح على أخوته بيع يوسف لتخليصه من الموت.

- اما قوم موسى فهم جنود فاروق، مع بعض الهكسوس، وقد دانوا جميعاً بدين التوحيد المصري الذي دعا اليه أخناتون-وعبادة إله واحد لجميع الخلايق، عن طريق نشر الإخاء العالمي بين البشر، وهو غير الدين التوراتي الذي يدعو إلى عبادة (يهوه) وهو إله خاص بقوم(خاص) من دون كل الأرباب والمخلوقات.. ونسبوه إلها لموسى زوراً.. وقد حصلت كل هذه الأحداث حتى نهاية ١٣٠٠ ق.م. إذن إن قوم موسى هم جماعة محدودة من الناس ودون جنسية وأن موسى قد كتب وصاياه بالفرعونية(الهيروغليفية) ولم يعثر على أي أثر من الألواح الوارد ذكرها.. ولاعلى شريعته حتى الآن. كما أن أسمه هو اسم مصري، اشترك في الحرب ضد الحبشة وتربى في البلاط الفرعوني وتزوج من امرأة أثيوبية(وهذا ماذكره اليهودي المؤرخ يوسفوس والتوراة) وأخذوا بلغة وثقافة كنعان وديانتهم الوثنية وطقوسهم وقد انحرف الموسويون عن ديانة موسى التوحيدية وعن شرائعه وهؤلاء هم الذين عرفوا فيما بعد باليهود أو الذين هادوا.. أما يهوه أو اليهويون فقد أطلقت هذه التسمية على بقايا يهوذا بعد أن سباهم نبو خذنصر الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد.. وهناك قبسوا لغتهم من الآرامية -أيام السبي- ودونوا بها كتبهم السرية وعرفت بآرامية التوراة (التوراة الآرامية) واستخدموا في كتاباتهم الحرف الآرامي المربع المسمى بالربع وهم مقتبس من الخط الآرامي القديم.. وجاءت هذه الكتب مغايرة تماما لشريعة موسى، أو غير شريعة موسى مطلقاً، ولذا أسميت "توراة اليهود" أي ليست توراة موسى.. مثلما نسبوا أنفسهم الى صفوة الأنبياء والأقوام وشخص خليل الرحمن (ابراهيم) وحفيده يعقوب(إسرائيل) والأرض الكبرى أرض كنعان، الذي ولد فيها ابراهيم، والى هذه الأرض ينتمي العرب

العاربة والقبائل الآرامية التي تعود الى أصل واحد. وكـــانت تنسـب جميعـا الى"إرم"-ذات العماد- وقد نبه القرآن الى ذلك-وهو عارف بنية هـؤلاء ضـد الأمة وأرضها-بربط صلة ابراهيم الخليل بالجزيرة العربية وبيـت الله العتيـق وليس بفلسطين (أرض مغتربه)-ومن الحقيقة التاريخية نرى أن لاصلة لابراهيم ويعقوب وذريته بموسى(والفترة الفاصلة بينهما تمتد لأكثر من ٦٠٠ سنة).. وقد أطلق المؤرخون والآثاريون على هذا العصر:عصر الآبـــاء الجواليـن/The Wanderings Patriarchs/.

-وبتحري المكتشفات التاريخية نجد: أن إله إبراهيـم هـو "إيـل" خـالق السموات والأرض وهو غير إله اليهود مشتق من الخل وإيل أي صديق الله أو حبيب الله (١). وهذه عادة عربية قديمة موروثة في التسمية حتى الآن.

-أما اسماعيل (اسمع أيها الإله إيل) وصموئيل (الموسوم إلى الإله إيـل). وإسرائيل: هو من ينتسب إلى أسرة إيل:

- وميخائيل-جبرائيل وتعني: لتحكم أيها الإله إيل المدعـــو ميخـا وجـبرا وعمانويل (عم -مع نا-ما ضمير جمع المتكلم - معنا وتعنـي الإلــه معنـا.) وهكذا فهي أسماء بابلية وكنعانية سرقها كتبة التوراة...

- وبإيل: وهي لفظة عربية الأصل، قرن العرب أسماءهم (فنجـد عبـد الله، جاد الله، فضل الله، فتح الله).. أما صهيون فهو اسم كنعاني لتلة قرب أورشليم تحصن فيها اليبوسيون أبناء عم الكنعانيين وكذلـك بعـل وبعليـم ولـه لـدى الكنعانيين زوجة/وكذا لدى معين وسبأ(عاشيرة) وقد سجد اليهود للبعليـم هـذا وأخته عانات. إلا أن اليهود انفردوا بيـهوه إلـها خاصـا لـهم علـى مبـدأ التفرد(henotheism) وهذا المبدأ ذاته قد أخذه اليهود من البابليين أيضا ومن التوحيدية المصرية..

- وكذلك الإله مولك أو ملكوم وهو إله بني عمون وذكرهم التوراة بـ"رجس بني عمون" وقد عبد اليهود ملكوم هذا، وعشتـار او عشـتروت وهـي آلهـة الخصب البابلية، وقد عبدها اليهود أيضا.. ووجد في مخطوطـات أوغـاريت مطلع ملحمة بعل وعناة وسمي إيلوس وهو أبو السنين، وهو "الله" عند العـرب قبل الإسلام، وإله القمر وهو إله اكتشفته الآثار الصفوية(نسبة للصفاة قرب جبل العرب والرحبة) وبشر الإسلام به كرب للتوحيد الذي لاشريك له.

---

(١) وجاء في القرآن الكريم:"واتخذ الله إبراهيم خليلاً" (خل + إيل= خليل الله الرحمن).

- وبلعام الذي عبده اليهود هو اسم نبي موحد له مكانة روحانية لدى الكنعانية.. وهذه إشارة إلى أن التوحيدية كانت لدى الكنعانيين، ولادخل لليهود بها بل أخذوها عن أهلها العابدين لها وهم الكنعانيون.

- اما البعل وجمعه البعليم: هو أحد الأصنام التي كانت عبادتها شائعة بين أهل المشرق في قديم الزمان(لدى الفينيقيين والكنعانيين ومن جاورهم) وكان يمثل إله الشمس وإله الأماكن المرتفعة ويبنون معابدهم وهياكلهم عليها ويكرسونها للبعل-وتعني الرب. وقد أكد كتابهم (التوراة) بأن اليهود كانوا يعبدون البعليم بين حين وآخر. (١٢خ: ٢-٣ وقضا ٢: ١١- ١٣).

-وكذلك فكرة التكوين والخلق (كن فيكون) نقلوها عن المصرية والبابلية وقد أخذها فيلون اليهودي عام ٥٠ ق.م (يوحنا ١/١ في البدء كان الكلمة. والكلمة هنا (Logos) أي لغة وتعني الذهن أو الفكر أو ماجال في القلب ومنبع الأفكار عند المصريين القدماء).. وأخذت اللوغوس هذه البداية لدى موسى وأتباعه/ وهي محررة في الوثيقة الكهنوتية-الإصحاح الأول والثاني من الوثيقة اليهودية ل -Y- – في الكتاب المقدس- عن اللاهوتية المصرية (ممفيس -إله منفيس-بتاح-دور الإله الشمس (رع) الخاصة بخلق العالم أو التكوين).. ومن وثيقة بتاح اللاهوتية المصرية هذه(حتة هيلوبوليس-عين شمس) في ٣٤٠٠ ق.م – نجد السرقة الواضحة للوثيقة اليهودية من وثيقة بتاح وهي مكونة من أربعة عشر بنداً -مذكورة في فصل آخر من هذا الكتاب.

- ومن العادات والطقوس التي نسبها اليهود لأنفسهم كطقوس دينية خاصة بهم، المسح بالزيت والغسيل، فقد استخدم المصريون هذه العادة في طقوسهم قبل آلاف السنوات من وجود اليهود، في معابدهم ويبدأ هذا الطقس بالاغتسال للتطهير.. وقد نقش على باب كل معبد:"ليكن من يدخل هذا المعبد طاهراً" وكذلك على بوابات المغاسل. والماء في البداية نعمة إلهية تخرج منها كل الأشياء، وكذلك هي لدى البابليين. وبعد الغسل يكون المسح بالدهون أو الزيت للتعطير، إذن فالماء للتطهير والمسوح للتعطير، وقد غسل المصريون الميت قبل أن يدفن، أو قبل رحلته الى قاعة أوزيريس الدنيا(السفلى في البابلية). أو عندما يخرج من عالم أوزيريس ليعيد له الحياة، وفي ترنيمة إيزيس لاوزيريس -زوجها- "فإن الدفق المقدس يخرج من ذات أوزيريس ويحيي البشر وحيوانات الأرض وزواحفهما".. وهذه هي عملية الخلق الأولى..

-وعيد رأس السنة، هو عيد بابلي تتلى فيه قصة الخلق والتكوين البابلية- في اعياد الربيع (وتمثل عذابات الإله تموز)، وهي مأخوذة بكاملها في التوراة وبشكل شبه حرفي مع تبديل الأسماء ووضع أسماء خاصة لها لزمن غير محدد

ومكان غير معروف.. أي أنهم أسقطوا التسلسل الزمني كما هو في الأسطورة البابلية.

-وكذلك النسب للأم-المرأة- وهذا يشكل نظام الاجتماع عند السومريين وكذلك العيلاميين (٣٠٠٠ ق.م.) إذ أن المرأة لديهم هي رأس الأسرة أو ربة العائلة، وكانت المرأة الحورية حرة تتزوج أكثر من رجل، وقد بقيت هذه العادة الى عصر ماقبل الاسلام لدى عرب الجزيرة (الجاهلية) وشكلت أساساً لعادة عرفت بالاستبضاع وقد مثلت المرأة أو البنت لدى السومريين ومن بعدهم رمز الخصب. وقد وجد في منطقة شطل هيبوك في الأناضول-تماثيل نساء خادمات للألهة الأنثى، وهذا تجسيد للمرأة كقوة خارقة، ويعود عصر هذه التماثيل الى سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد.. واتخذ اليهود من هذه القاعدة "سنة" وهي المأخوذة من السومرين الى يومنا هذا لأغراض عرقية بحتة ودوافع أخرى اجتماعية.

-أما الحية فتعني لدى القدماء حماية الحياة. وليستمر المرء في الحياة، كما رأى السومريون ومن جاء بعدهم، عليه أن يصرع الحية.. وقد حرقها اليهود في قصة موسى. واتخذوا منها شعاراً لبعض جمعياتهم ومنها الماسونية (بحرفين متعانقين S وT) وتلتف الحية حول قضيب واستخدمها الصيادلة شعاراً لهم تأويلاً عن البابليين وعقيدتهم في التداوي والحياة.وكذلك استخدام اليهود أسماء بغير دقة، مثل عاموس، وهو إله واحد لجميع الناس أما في التوراة فهو إله خاص باليهود.

-والشجرة المقدسة لدى الكنعانيين-والزهرة(ميلتا لدى الآشوريين) هي من أسماء عشتار أو أشتير فصار لدى اليهود أستير.. مما يشير إلى أن كل مالديهم ليس من إبداعهم ولايخصهم..

-أما مسألة البغاء المقدس فقد أخذه اليهود أيضاً ولم يتركوه دون أن يعتنقوه في ديانتهم حتى اليوم. حيث كان البابليون يمارسون طقساً جنسياً له صبغة لاهوتية في حالات خاصة، وقد دونوا كل هذا في كتابهم المسمى بالتوراة وفي التلمود بشقية المشنة والجمارا عبر القرون والأكوار والأدوار.. وقد بقي كتاب التوراة هذا والتلمود مخفيين يعتورهما الحذف والاضافة الى أن استقر الأمر على صورته الأخيرة التي وصلت إلينا بشكلها الأسطوري المنقول عن تراث الشعوب العربية القديمة حتى عام ٢٥٠ ق.م. فترجم الى اليونانية عن العبرية بناء على رغبة بطليموس فيلاديلفوس(٢٨٠-٢٤٧ ق.م) حيث أرسل الى الكاهن اليهودي الأعلى لموافاته بنسخة من هذا الكتاب مع أثنين وسبعين يهودياً فقيهاً بشؤون الكتاب -التوراة- الى مصر للقيام بترجمته.وكانت التوراة تضم الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى، وأسميت هذه الترجمة بالتوراة السبعينية-أو اليونانية، ويروي سارتون قصة هذه الترجمة بالقول:إنه

قد جاء في القصة التي رواها اليهودي اريسطاس 'Aristas' -أن ديمـــتريوس الفاليروني (Demetros of Phaleron) قد شرح للملـــك بطليمـــوس الثـــاني ضرورة نقل التوراة الى الاغريقية واصطحاب ستة ممثلين لكل سبط من أسباط اليهود، فحظي هذا الرأي بالقبول لدى الملـــك واســتقر الشـــارحون الإثنـــان والسبعون في جزيرة فاروس قرب الإسكندرية. وانجزوا عملهم هذا في المائـــة الثانية قبل الميلاد، ومن ثم أضيف الى هذه الأسفار بعض من الأسفار الأخرى بين عام ٢٠٠ ق.م و ١٠٠ ق.م مثل سفر الجامعة" [١]

وحدث لغط في المـــدارس المســيحية حـــول التـــوراة فقـــالت الكنيســة البروتستانتية بأن الأسفار السبعة(يهوديت-طوبيا-الحكمة-يشوع بن ســـيراخ-باروك والمكابيين) هي مدسوسة وليست لتندرج في إطار الكتاب المقدس لكونها عارية عن الصحة، أما الكنيسة الكاثوليكية فقد أقرتها جميعها.. وعاد الكاثوليك ليقولوا في طبعته ١٩٦٠ "نما من علم الكاثوليك في عصرنا أنـــه يعتقـــد بـــأن موسى ذاته كتب البانتانيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته. لكنه لايكفي أن يقال إن موسى أشرف على وضع النص الذي دونه كتبة عديدون في غضـــون ٤٠ سنة بل يجب القول بأنه يوجد ازدياد تدريجي في الشرائـــع الموســوية ســـببته مناسبات العصور السياسية والاجتماعية والدينية".. إلا أن في هذا القول مخالفة بينه وغير بريئة لأقوال السيد المسيح الذي ندّد بأعمال مـــن أســـماهم بالكتبـــة "الفريسيين والناموسيين" وأنذرهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة وتكالبهم على الدنيا"متى /لو -٥٢/" كما ندد القرآن الكريم بهؤلاء الكتبة المفترين بعـــد ســـتة قرون- بنفس العبارات أو مايقترب من جوهرها فذكر:"فويـــل للذيـــن يكتبـــون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم ممـــا كتبت أيديهم وويل لهم بما يكسبون" سورة البقرة-٩٧/ وفي سورة الأنعام يقول العزيز الحكيم:"قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهـــدى للنـــاس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً" الآية ٩١ / وفي سورة المائدة جـــاء:

---

(١) سارتون: العالم القديم والمدينة الحديثة-ص ٤٨ - ٤٩ / وترجم الى العربية في عهد هارون الرشيد وترجمه أحمد بن عبد الله الإنجيلي حرفياً- كما ذكر ابن النديم في الفهرس ص٢٢ ثم ترجمه يوحنا عن اللاتينية. وقام الأمريكيون بترجمة العهد القديم مـــع العـــهد الجديد سوية عام ١٨٦٠ في بيروت من قبل الإرسالية الأمريكية ستة أعضـــاء برئاســـة جورج بوست. وطبعتها الجامعة الأمريكية على نفقتها ثم قام اليســـوعيون الكـــاثوليكيون بترجمته عام ١٨٨٠ منفرداً ثم بترجمته مع العهد الجديد عام ١٩١٠ .. ولـــهذا الجمـــع قصة، سنمر عليها في آخر الكتاب.

"فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا خطأ مما ذكروا به" الآية ١٣/ وفي سورة النساء:"من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه"٤٦/ وكذلك في الأنعام:"مافرطنا في الكتاب من شيء"٣٨/ وأيضاً:"قل يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله". ولست لأجانب الحقيقة، أو أتجنى على اليهود، وكتبتهم، إذا قلت أنهم كتبوا على الرمل.. فإن الحقائق هي بنت البحث ومن يبحث يتوصل الى الحقيقة ويزيل اللبس والزيف.. وفي تاريخنا العربي صفحات سوداء لهؤلاء الكذبة المنافقين. فقد رعى عمر بن الخطاب (الفاروق) من قعد الدهر من اليهود وضاقت في وجوههم السبل من غير المسلمين، فأجرى عليهم من بيت المسلمين، ومنهم ذلك المتسول اليهودي الذي منحه مرتباً من بيت مال المسلمين ليوفر له العيش الكريم ماتبقى من عمره.. وكيف غدر بعمر.. وكذلك قصة اليهودي مع علي بن أبي طالب، عندما كان علي خليفة المسلمين، وقد رهن اليهودي عنده درعاً.. فشكاه هذا الوغد الى القاضي.. ومثل علي أمام القاضي، ورد على فرية هذا اليهودي واتهامه اياه بالدرع، فقضى القاضي لعلي.. ولم يجد هذا المفتري حجة يخلص بها نفسه من فعلته غير حجة خبيثة مرائية بأنه تعمد إقامة الدعوى على علي خليفة المسلمين ليرى بأم عينه عدالة المسلم الحاكم.. وأسلم.. وما كان إسلامه إلا نفاقاً وتقية مقصودين.. وإن برهان الحق قاطع ناطق بكرم هذه الأمة وتسامحها الذي دخل كل الأوغاد منه ليكيلوا لها المؤامرات والآلام وإذا كانوا افتروا على عمر وعلي، فقد افتروا قبلها على مسيح هذه الأمة وقذفوه بأشنع الأوصاف، وهو يصعر لهم في كل مرة خديه ويعطيهم رداءه وهو عار.. وكذلك فعلوا بعد خمسة قرون بنبي العرب محمد بن عبد الله، مافعلوه من أذى، وهو يقابلهم بالرحمة والتسامح وكم ساعدهم.. وهاهم الان يعيدون التسامح والعون قنابل وقتلاً وبقر بطون الحبالى من نساء فلسطين، من أبناء عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم.. وصدقاً شهد غوستاف لوبون بهذه الأمة إذ قال:"ماعرف التاريخ أمة أرحم من العرب".

● **الوعي الوثني ضد العقل والله ؟!!..**

تقوم كتب التوراة المتداولة بين أيدي اليهود على الفصل بين الأفكار والناس، ليلعب الوعي الزائف دورا فاعلا في الواقع الاجتماعي والتاريخي في المجتمع الصهيوني عبر العصور، وحتى اليوم وتعميم هذا الوعي على الأمم والشعوب.. وهو يقوم على بنية هذه الكتب المزيفة وأصولها وأجناسها وأنواعها وتناقضاتها ولاعقلانيتها وتخلفها الفكري والعلمي..وهي التي دونت-وبشكل قاطع-بعد عصر موسى بمدة طويلة وحرفت بما اتفق لها مع رغبات وغرائز كتبتها وظروفهم أو واقع حالهم، معتمدين على الروايات الشفوية

والمكتوبة المنتخبة من الروايات والآداب لشعوب المنطقة القديمة كما جرى عليها الحذف والإضافة بحسب الحالة والظروف.. وإلا كيف يمكن أن ينزل الله كتاباً يأمر بالاغتصاب والكذب ويقتل الأطفال والشيوخ والنساء سيما وأن الوصايا العشر، التي تؤلف توراة موسى النبي، تأمر بعكس ذلك تماماً.. ويلاحظ الدارس لهذه الكتب بوضوح: الافتراء على الأنبياء -والتفرقة العنصرية- وإباحة الامتياز الخاص لليهود دون غيرهم فيما تقوم ديانة موسى التوحيدية على أساس الوحدة البشرية المطلعة دون تفريق بين الأقوام والشعوب-وأنها تقر بالبعث والنشور وباليوم الآخر والقيامة في حين أن هذه الكتب المزيفة تخلو تماماً من ذكر القيامة والآخرة والجنة والنار، (أو تمر عليها في مواطن عدة لكن بصورة مبهمة في بعض النسخ)-ويلاحظ التناقض التاريخي بين عصر وعصر، والخلط بين دور ودور، وبين قوم وقوم(مابين عصر يعقوب ويوسف، وعصر موسى واليهود-ثم الفترة مابين عصر موسى والكتبة) وسكت عنها كاتب التوراة سكوتاً مطلقاً بل فاضحا.. كما خلط بين الديانات، دون تسلسل زمني مع تجنب الدخول في التفاصيل. وقد انقسم الباحثون في دراسة هذه التناقضات وتعيين التناقضات والازدواجية الحاصلة في هذا الكتاب، فقال بعضهم بأن الأصل الأساسي لهذا الكتاب هو كنعاني- ابراهيم الكنعاني- وعدم ارتباطه بعصر موسى واليهود. وهذا الرأي يخالف ادعاء كتبة التوراة بأن ابراهيم (إبرام) هو شخصية يهودية وأنه أول ابناء اليهود.. وهذا ما أسموه بتيار التسجيل اليهودي، وقال بعضهم بتيار الايلوهيمي(نسبة لإيل) وهذا أيضاً إله كنعاني الأصل وقد اصطدم أصحاب هذا التيار باليهودية.. حيث أن المعادين لهذين التيارين لم يستطيعوا اقتلاع الاله الكنعاني من الكتاب، وأن آثاره باقية فيه رغم كل التحريف والحذف والاضافات أو التحوير.. وإن الإله الكنعاني(إيل) هو تيار ديني صرف، أما اليهيوي فهو عنصري سياسي محرف. ومن كلتا النظريتين، وبالمقارنة مع التوراة، نتبين أن هناك اثنين باسم ابراهيم، واحداً بعد الأخر. وتجدر الاشارة هنا الى أن العبرانيين عندما امتزجوا بالعموريين ذابوا فيهم وعبدوا آلهتهم واشتركوا معهم في كل طقوس العبادات، والإله إيل هو إله العموريين ايضاً وقام اليهود-فيما بعد-إلى تصعيد نسبتهم إليه وعبرنوه إلى جد مدفون في حبرون(الخليل) يسمى ابرام وأن قبره مشترى بالمال من ملوك الأرض الأصلاء.. وقالوا بأن تسمية الحفيد بالجد مألوفة أي أن نسبهم يعود اليه. ويقول تاسيتس(٥٥-١٢٠م) صاحب كتاب "تاريخ تاسيتس": إن أكثر الكتاب متفقون على أن وباء وبيلا كان يترك تشويها فظيعاً في الجسم تفشى في زمان مافي مصر، وفيما كان الملك بوخاريس يفتش عن دواء لهذا الداء الوبيل أشار عليه

كهنة"آمنون" ليطهر مملكته من هذا الجنس الممقوت من الآلهة الى بلد أجنبي. فعمل الملك بهذا الرأي وأخرجهم الى الصحراء، خارج المملكة، ولما استولى عليهم اليأس خرج منهم رجل يدعى موسى بعثته يد القدرة الالهية ليتولى قيادتهم". وقد أخذ بهذه النظرية من قبل بومبيوس وترونمس وليسمارس في القرن الثاني قبل الميلاد، وقبلهم مانثيون في القرن الثالث قبل الميلاد، وخاريمون اواسط القرن الرابع قبل الميلاد، وديودورس الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد، ومع أن هؤلاء يمثلون مرجعا تاريخيا وثوقيا، إلا أن هناك كتابا يكتبون تاريخا أشوه خدمه للصهيونة وضد البشر والتاريخ.من مثل سوكولوف[1] ومن هنا يستحسن أن نعرض الى تطور الأحداث التوراتية عبر الكتب الموثقة الثابتة والحقائق الراسخة.

يجمع الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى(العربي) أن أسلاف هذه الأقوام كانوا يتمتعون بحضارة قديمة عريقة في الطرف الجنوبي من الجزيرة العربية العامرة بالأنهار والأمطار، وقد تعرضت لتغيرات مناخية، من جفاف أنهار وانحباس مطر، فهاجرت الأقوام البشرية والحيوانات الى أماكن الكلأ، ذات موارد دائمة للعيش. فكان أن توجه سكان الجزيرة العربية شمالاً وتوزعت على أطرافها الشرقية (بلاد الرافدين) وغربا الى سيناء والنيل وشمالاً الى بلاد الشام (فلسطين وسوريا ولبنان) وعرفوا بالكنعانيين-الفينيقيين والعموريين فبنوا دولة العمالقة. كما بنى المصريون كيانهم العربي القديم في الغرب فقام الكيان العربي القديم في الشرق بامبراطورياته الأربع: الآكادية-البابلية-الآشورية - الكلدانية، ثم الأنباط والتدمريون فالغساسنة والمناذرة ثم الاسلامية. وقد عمت هذه الامبراطورية الإشراق الثلاثة: الأدنى والأوسط والأقصى..

ولضرورة البحث سنعرض لتاريخ الشرق الأدنى وفلسطين تحديداً...

يبتدئ تاريخ فلسطين-بحسب المؤرخين الغربيين- قبل الألف الثالثة من ميلاد المسيح، وينتهي بظهور موسى على سطح الأحداث...

فقد هاجر الكنعانيون من الجزيرة العربية(في الفترة مابين ٤٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م) إلى فلسطين وأقاموا دولة منيعة وحضارة راقية، وبنوا مدناً كبرى منها:

---

(١) ويقول سوكولوف في كتابه"كيف لما الشعب اليهودي" :"أن الشعب اليهودي نزح الى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود ٤٠٠٠ ق.م بقيادة ابراهيم وكان عددهم بحدود ٤٠٠٠ شخص" وأن هذا الكتاب يدرس في جامعات أوروبية وأمريكية، للترويج للصهاينة وبهذه الأفكار الساذجة التي تعوزها الدقة والمعلومات التاريخيةالصحيحة.فالألف الرابعة ق.م هي العصر الحجري وتبعد عن ابراهيم٢٧٠٠ سنة فقط !!..

أريحا-بيت شان-مجو- جازو.. وهذه الأسماء كنعانية.. إلا أن الآثاريين (حسب الرقم المكتشفة) يرجعون تاريخ مدينة أريحا الى ماقبل ٧٠٠٠ سنة، وقالوا بأنها أقدم مدينة في العالم، وفيها أقدم معابد في التاريخ وكذلك في مجدو(منذ ٣٠٠٠ ق.م) ووجدوا فيها أسماء كنعانية ترجع الى الأسرة الخامسة المصرية(٢٩٥٦ ق.م)[1] وأكدوا ورود كلمات كنعانية في المدونات المصرية من عصر الأهرام (٢٨٠٠ ق.م).

وفي مكتشفات (رسائل) تل العمارنة: أن تحوتمس الثالث(في ١٥٠٠ق.م) استولى على القسم الجنوبي من الشرق بما فيها فلسطين، وكان أسم هذه المنطقة "كنعان-Kanakhan" أما القسم الجنوبي فهو أمورو ولبنان وشرق الأردن[2].

وورد في الكتابات التاريخية القديمة ذكر مدينة بابلية اسمها"كنعان-- Kan nan" وسمي ساكنها كنعاني Kannanai وتشير إلى اسم كنعاني فلسطيني...

وازدهرت الزراعة في كنعان في عهد بيبي الأول (٢٥٠٠ ق.م) . وقد حفر نفقا في بلدة جازر (٣٥ كم شمال غرب أورشليم) للوصول الى منابع المياه تحت مستوى الأرض على عمق ١٠٠ قدم بواسطة درج (٨٠ درجة) وبطول ١٢٨ قدما، وأقام مشروعا مثيلاً له في أورشليم لايصال المياه الى الحصن الذي شيده اليبوسيون سكانها الأصليون على الهضبة الشرقية من مدينة القدس(وهم فرع كنعاني من الجزيرة استقروا في فلسطين أوائل ٣٠٠٠ ق.م وقد سميت باسمهم). وجروا اليها المياه من عين تقع شرقي الحصن، ويمتد ١٧ ياردة وسميت هذه العين"جيحون" (نبع العذراء اليوم). وهنا تقول التوراة رواية بأن داود اكتشف النفق ومدخله الشرقي فأدخل رجاله فيه وباغتوا اليبوسيين وأحكموا قبضتهم عليه بعد أن صمدت اليبوسيون ثلاث مئة عام الى أن سقط على يد داوود-هذا حسب قصة التوراة.

وقد اخترع الكنعانيون الأبجدية . فدالت دولتهم وتمدد انتشارهم وانتشرت لغتهم وأدابهم ودياناتهم.. وكون فرع منهم مدنا عديدة في المنطقة الجنوبية من كنعان، وهم الفينيقيون [3] ومن مدنهم المركزية:عكو(عكا)، أكزيب(الزين)، أحلب(محلبا)، قانا، صور، صرفة(صرفند)، صيدون(صيدا)، بيريتو(بيروت)

---

(١) البرايت"الآثار والدين في اسرائيل" -١٩٤٢- ص:٦٨ .

(٢) Rogers-Cuneiform Parallels To Old Testament ١٩٢٤ - P٢٦٠

(٣) وقد سماهم اليونانيون بهذا الاسم ويعني الأرجوان-لون السلع التي تاجروا بها- أما كنعان فهي من الفعل"كنع" أي انخفض، والكنع هو الذنب أيضاً.

جبيل(بيبلوس)، عرقة سين، صمارة(سومرة)، أرواد ، أوغــــاريت وغيرهــا.. وقضى عليها الاسكندر السلوقي تقريباً.

وعاشت هذه المدن ٣٥٠٠ سنة، وقام من بين هؤلاء الأجداد علماء منهم: زينون الرواقي(٣٣٦-٢٦٤ ق.م) وهو فينيقي ولد في قبرص وقصد أثينا عــام ٣١٤ ق.م وأنشأ فيها رواقا(٣٠١ ق.م) ولما مات كتب على قبره:"لن يضــــير منبتك في فينيقيا ضيراً". وفيلون الجبيلي(٦١-١٤١ ق.م٩ وهو غــير فيلــون اليهودي الاسكندراني بالطبع، فهذا من جبيل ، وأوريــــاتوس الصــوري(٢٠٠ ق.م).. الخ.

وكان الكنعانيون متعددي الآلهة، لكن أكبرها "إيل" (الالــــه العلــي The Superremo Good)، وهو الذي يبعث بمياه الأنـــهر لتجــري فــي الأرض وتحيي الموات، وبالمطر فتسيل الوديان عسلاً، ويمنح الإذن بإنشاء المعابد إلى الآلهة الأخرى، وجميع أرض كنعان هي أرض الاله إيل.. الإله الحامي (The Protection Good) ويقع موقعه في مغرب الشمس عند مصب الأنـــهر فــي البحر وسمي مقامه بمقام "إيل".. وإيل هو بداية ديانـــة التوحيــد(وقــد الملــك الكنعاني ملكي صادق-ملك أورشليم- باسم الله العلي وتعبد له)، وبهذا المفهوم كان الاله العلي مالك السموات والأرض يتجلى واضحا في العقــل الكنعــاني. ومن آلهتهم أيضاً "بلعام".. وإن أحلاف الكنعانيين كما بين تاريخهم لم يكن مهيأً للغزو والقتل والتدمير، ذلك لأن ديانتهم السمحاء وآدابهم تدور حول أبوة الاله الواحد "إيل" ومن صفاته أنه السيد-بعل أو أدون- الخالق الجبار.. فــلا يدمــر الخالق ماصنعت يداه.. وجاء في المكتشفات الفينيقية أن أسمه "ايلوس" وهو أبو السنين (مخطوطات أوغاريت-مطلع ملحمة بعل وعناة- ومكتشفـــات الصفــاة والرحبة قرب جبل العرب السورية).

أما الآراميون فقد كان لهم إلههم "إيل" واتخذ ملــك أربــاد(اســمه تكملــه لإيل"متي- إيل) الذي تعاهد مع ملك آشور نيراري (٧٥٤-٧٤٥ ق.م).

ونرى مما تقدم، أن الآراميين هاجروا الى بلاد الرافدين في ٣٠٠٠ ق.م، وكان مركزهم في حران، ومن عشائرهم : أخلامو والخبير أو العبيرو، وهــي القبائل العربية الراحلة في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية، وصنفت الـــى عبراني-وفي الاشورية آرومو (أرامو) وجمعهم ريمي- وقد انتشرت تجارتـــهم في الأمصار فانتشرت لغتهم وديانتهم وتعلموا فن الكتابة من الكنعانيين.. ومــن آلهتهم الأخرى :حداد-وهو إله الزوابع والعواصف. وكانت معابده في كركميش (جرابلس) وسمأل(في زنجرلي بتركيا) وفي حلب ودمشق. وقد أضاف ثلاثـــة من ملوك دمشق أسمه الى اسمائهم وكانت مواطنهم : آرام النهرين ، فدان آرام ، آرام دمشق، آرام صوبا(في البقاع)، آرام بيت رحوب(عند الليطـــاني)، آرام

معكة(مقاطعة دان بفلسطين)، حشور(بين اليرموك ودمشق)، بيت أغوشي(في حماة) ومركزها أرفاد، وبيت بخياني ومركزها جوزان (تل حلف)، وحلب وكركميش.. وقبيلتيه (سمأل) ولها أسم آخر(يعودي) ومركزها عند جبل أمانوس غربي عينتاب في تركيا ومن ملوكها شعيل، كيلامي، حياني، فنامو، بار، ركوب، وفي العراق: بيت عديني ومركزها بورسيبا.

أما كلدة أو الكلدانيون (وكلدة شيخ عربي) كان مركزها غورني عند العقير، وقد تاجرت مع بابل، استولت سلالة بابل الرابعة على جميع دول سورية وفلسطين في زمن نبوخذ نصر(نيوبولاخير) وابنه(٤٣سنة) من ٦٠٥-٥٦٢ ق.م.

وهنا نبدأ بتاريخ اليهودد القادمين من الشرق الى الغرب أي من وسط آسياء في عصر الجفاف المذكور وقد استوطنوا الى جانب الآراميين.. فقد بدأ أول دور لهؤلاء في هذه الفترة المائة السادسة-الخامسة قبل الميلاد -لأول مرة وبذا يبدأ الدور الأول لليهود مع بداية حملة نبوخذ نصر الأولى على يهودا سنة ٥٩٧ ق.م فاستولى على أورشليم وسبى اليهود الى بابل ومعهم الملك "يهوياكين" وأهله.. ووزعهم هناك أسرى.. ثم سباهم مرة أخرى عام ٥٨٦ ق.م.. وقد جاء هذه المرة بنفسه على رأس الحملة.. ودمر القدس وأحرق بيت الرب وبيت الملك والأعيان وأسر ٥٠٠٠ شخص ونقلهم الى بابل.

وبعد وفاة نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ ق.م خلفه ملوك ضعفاء فغزاهم كورش ملك الفرس الأخميني فسمح لليهود بالعودة الى فلسطين ومعهم الكتاب الذي دونوه خفيه في هذه الفترة-السبي- وقام واحد منهم هو "عزرا" بتدوين حكايات قال أنه توارثها عن رواة ثقة فجاءت بهذا الشكل وقد نعت عزرا كورش بالمسيح اليهودي المنتظر لفضله على جماعته- وقال بأن هذا الكتاب اسمه التوراة.. وتعني كلمة التوراة" تورة" الهدى والارشاد.. وتشكل مع التلمود مصدر الديانة اليهودية. أما مصادر التوراة فهي الأساطير السائدة في المنطقة، والتي شكلت ديانات شعوبها من اكاديين وسومريين وبابليين وكلدانيين وأشوريين وكنعانيين وفينيقيين... ومصريين .. . وتقول التوراة أنها من صنع الله ومنقوشة على لوحي حجر كتب الله على جانبها بإصبعه(وقد كتبها الله مرة ثانية بعد أن غضب موسى فألقى اللوحين على الأرض فكسرهما، بسبب غضبه عندما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله).. إلا أن أصل هذه الشريعة التي كتبت على حجر اختفت من الوجود.. فوضعت في خزانة خاصة(وتسمى تابوت العهد) وكانت لغتها مصرية، وتقوم على ديانة أخناتون التوحيدية أي أنها غير التوراة التي كتبها الأحبار بعد موسى بثمانية قرون.

وذكر أن الفلسطينيين استولوا على تلك الخزانة(التابوت المطلية بـــالذهب كرمز لوجود الله وهي أقدس جزء في طقوسهم يحملونها في حلهم وترحالهم ثم ردوها الى داود الملك ووضعها سليمان في الهيكل فيما بعد.. ثم لـــم يعــرف مصيرها حتى الآن.. ويقول اليهود أن موسى تلقى الوصايا وأحكام الشريعة في عربات مؤاب فكتبها وسلمها للكهنة، وقالوا أنه لقنها لهارون ويوشـــع.. وهنــا نرى، حسب الرواية اليهودية الأخيرة أن موسى هو الكاتب، وهذا يتناقض مـــع الرواية الأولى.. ومع هذا لم يعثر حتى الان على أي أثر لها.. وقالوا بأن لغتها وتسميتها "شفة كنعان" أي لغة كنعان ولسانه.. كما اســـتعملوا حروفــا فينيقيـــة وكتبوا بالسومرية.. حيث أن العبرية لم تكن لتظهر بعد، إذ اقتبست من الآرامية بعد أكثر من ٦٠٠ سنة من دخولهم الى فلسطين، وبها كتبت التوراة في بـــابل بعد موت موسى بـــ٨٠٠ سنة، كما سنرى.

وتتألف التوراة من ٣٩ سفرا وتقسم الأسفار الى ثلاثة أقسام:

الأول: يتكون من خمسة أسفار:التكوين-الخروج-اللاوييـــن "وهـــو ســـفر الأحبار"-والعدد والتثنية. وأطلق عليها كتب موسى الخمسة، وفيـــها الوصايـــا العشر (أنا الرب إلهك فلا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لاتضع لك تمثالاً منحوتاً ولاصورة، لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا، اذكر يوم السبت لتقدسه، أكرم أباك وأمك، لاتقتل، لاتزن، لاتسرق، لاتشهد بالزور، لاتشته بيت قريبك ولاشيئاً مما يملك) "سفر الخروج".

والثاني: يتكون من أسفار :الأنبياء(نبييم) وهي على شكل مجموعتين:

١. خاصة بالأنبياء الأوائل (من دخول نبي اسرائيل يشـــوع حتـــى هـــدم الهيكل).

خاصة بالأنبياء المتأخرين (من موت يشوع إلى ولادة صموئيـــل)وهـــي : القضاة - صموئيل ١-٢ الملوك ١-٢ من موت داود حتى السبي البابلي ســـفر أخبار الأيام(١-٢ وثائق غير مصنفة مع سلالات نسب روائية "من آدم حتـــــى موت موسى"). أما سفر الأنبياء المتأخرين فهم : سفر اشعيا-ارميا-حزقيـــال-يوئيل-عاموس-يونان-ميخا-ناحوم-حبقوق-صفنيا-حجي-زكريا-ملاخي.

والقسم الثالث (كتوبيم): هي أســـفار وكتابـــات: مزامـــير داوود-أمثـــال سليمان-نشيد الإنشاد-أيوب-راعوت-هوشع-مراثي ارميا- الجامعة-أســـتير-دانيال-عزرا-نحميا.

وتكون هذه الأسفار التسعة والثلاثون أقسام التوراة الثلاثـــــة :البنتـــابيك-النبييم- الكتوبييم. وهي كتب كهنوتية إذ أن الكهنة هم الذين فسروها، وهم صلة الوصل بين اليهود وإلههم يهوه، ومنقذو الشريعة، وموجهو الشعـــب وو ارثـــوه وحصروا في نسل هارون وهم اللاويون، وقد لعب مجمعهم الدينـــي الأعلـــى

(السنهدرين)[1] دورا هاما في حياتهم بعد رجوعهم من السبي وخاصة فيما يتعلق بمحاكمة السيد المسيح. ويقول اليهود أنه وجد قبل ٦٠٠ ق.م وأن أول مجلس وجد في عهد موسى عندما دعا إليه السبعين رجلا ليعملوا معه فتذمر أتباعه وقرروا العودة الى مصر وكانت تتمثل فيه فئتان:

١. سادوسي (متمسكة بالدين والزهد).

٢. بيروشيم (وتتمسك بالعمل وجمع المال والاثراء-الذهب).

وصلاحيات هذا المجلس تتسع بحسب الظروف، وقد منحهم الرومان صلاحيات لعدم تأثيره عليهم، ونأتي هنا إلى القول بأن السنهدرين هو الذي قام بمحاكمة السيد المسيح ومن ثم صلبه سنة ٢٩م. وهذا منصوص في سفر الأخبار مر:١٤ (٥٣-٦٤) ومت:٢٦(٥٦-٦٨). كان ذلك من صلاحياته القصوى وكان يتألف من (٧٢) عضواً من كبار الكهنة والشيوخ والحاخاميين. وكان يحصل النصاب فيه بحضور ٣٣ عضواً(وعندما عين غابينوس أول ملك روماني على سورية"٥٧ ق.م" قسم المنطقة اليهودية إلى خمسة أقسام وأقام في كل منها سنهدرين محلياً مؤلفاً من سبعة أعضاء وسمي سنهدرين القدس السنهدرين الأعلى تمييزاً له عن الأخرى..

ويعتنق اليهود كتاباً تفسيرياً للتوراة يعتمدون عليه بل وقد حل هذا الكتاب محل التوراة كلها.. وهو التلمود.. وهو جزء أحكام اليهودية وتعاليمها، ويمثل التلمود جملة الشرائع التي نقلها الأحبار لشرح وتفسير التوراة واستنباط أصولها. وعليه فأصل كلمة التلمود هي آرامية(من لاماد-أي يتعلم أو تلميذ) ويقسم الى قسمين:

١. المشنة: وتعني النص أو المتن: والمشنة هي مجموعة تقاليد اليهود-اليهوديين- في الحياة اليهودية حسب النصوص التوراتية.

٢. الجمارا: وتعني التفسير أو الشرح: وهي مجموعة المناظرات التي جرت بعد وضع المشنة. ويزعمون أن موسى هو الذي ألقى هذا المناظرات على قومه شفاهة وكان عليهم وضعها؟!...

---

(١) ومصطلح سنهدرين يوناني ويعني مجلس: ظهر في زمن خلفاء الاسكندر في القدس وألغي عام ٧٠م بهدم الهيكل والقدس فانتقل المجلس الى "يبنة" قرب يافا ثم الى طبرية، وفي عهد للتونيلس بيوس ١٣٨ ١٦١م أعيد تشكيله في الجليل في بلدة أوشا، وبقي وارثوه محصورين في عائلة "هليل" ٣٠٠ سنة.

وقد دون المشنة في طبريا- بعد قيام فئـــة أو طائفـــة العلمـــاء وتعـــرف بـــ"الثنائيم"[1] وقد بوشر في تحريرها سنة ١٠ من مولد السيد المسيح. وقد فرغ من تحريرها عام ٢٣٠ م في طبريا وقد كتب بلهجة آرامية شرقية هي أقـــرب الى المندائية العراقية كما فيه مصطلحات يونانية ولاتينية، وحجمه أوســـع مـــن الجمارا باربعة أضعاف ويقع في ٥٨٩٤ صفحة ويطبع عادة باثني عشر جزءاً [2] وشرح "الثنائيم" التوراة ودونوه وبوبوا شرائعه في مجموعة المشنة هذه، وقد استغرق عملهم هذا مئتي سنة (من ١٠ ق.م الى ٢٢٠ ميلادية) وقـــد جمعـــت بعناية الحبر الأكبر يهوذا بن شمعون الملقب بالربن الأقـــدس(١٣٥ - ٢٢٠م) وهو الرب الأكبر يهوذا بن الربن عميال سابع رؤساء المجمع اليهودي الأعلى المسى بـــ"السهندرين" جامع المشنة.. وقد صارت هذه أساس التلمود وقامت في فلسطين ، ثم نشأت طائفة أخرى مـــن الربـــانيين: وهـــي "الأمورائيـــم" [3] أي المعلمون المحدثون.. وقد درس هؤلاء المشنة وعلقوا عليها وشرحوها لتكـــون شرائع لليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم وجمعت في التلمود الأورشليمـــي الذي أنجز أواخر القرن الخامس للميلاد[4] وبعد تداول اجتـــهادات الأمورائيـــم وانتهائها قامت طائفة أخرى من الفقهاء التلموديين هي "الســـبورائين" وتعنـــي الأساتذة الشارحين (من ٥٠٠-٥٨٨ م) في بابل . اخذت على عاتقـــها شـــرح وتفسير التوراة بمنهج جديد وتنظيم أبوابه بالشكل المعروف الان. ثـــم قـــامت بعدها مباشرة (٥٨٩ م) فئة شارحة أخرى وقعت على مسؤوليتها تطبيق تعاليم التلمود وتولت إصدار الفتاوى للدين اليهودي في الشرق والغرب هـــي طائفـــة "الغاؤوييم" (مفردها غاؤون وتطلق على الربيين من رؤساء المدرسين). وقامت في (فومبديثة وسورا) ببابل واستمرت من ٥٨٩ حتى ١٠٣٠ ثم انتقـــل مركـــز اليهود إلى الأندلس . أما الأشعار والقصص والأمثال فهي مســـتقاة مـــن آداب المنطقة التي اطلع عليها كتبة التوراة، بابلية أو كنعانية أو مصرية.. وبذا تكون التوراة كتبت بعد ابراهيم بألف وثلاث مئة سنة، وبعد موسى بسبع مئة ســـنة.

---

(١) والثنائيم كلمة آرامية أيضا جمع ثناء وهي المعلم وقام بهذه المهمة الرب يهوذا ابـــن شمعون (١٣٥-٢٢٠ م) وهذا مايطرح سؤالا: أين لغتهم؟..

(٢) راجع أحمد سوسة:"تاريخ العرب واليهود" ص:٩٤ (الدراسات الفلسفية -مجلـــد ٣-١-٩٧٤).

(٣) والأمورائيم كلمة جمع عبرية من أصول آرامية محدثة وتعني شـــراح - مفردهـــا أمورا.

(٤) راجع : I. Ginsburg: The Palestine Talmud.Y١٩٤٤

وهناك طائفة يهودية لاتعترف الا بخمسة أسفار (موسى) وهي السامرية(من السامرة-نابلس-شكيم القديمة و يدعون بأنه توجد لديهم نسخة منها مدونة بالآرامية على رق يزعمون أنها ترجع إلى عهد ماقبل المسيح ، ويرفضون كل ماعداها ويتمسكون بذلك. وقد استقلت عن بقية الطوائف التي رفضتها، لكنها أعانتها وبنت هيكلاً لها في جبل جزريم عند نابلس. وقام بينها وبين بقية اليهود عداء استحكم قرونا .. ولاتلتقي معهم الا في الغزو فتحارب معهم.. ويعتقد أنهم من بقايا الجماعات التي نقلها الآشوريون من بابل وعيلام وسورية وبلاد الغرب ليحلوا محل اليهود الذين تم سبيهم الى اماكن بعيدة ، وعزلهم اليهود بعد عودتهم الى فلسطين من السبي عن المجتمع اليهودي وحرموهم من التزاوج مع اليهود والاختلاط بهم (ويقول الباحثون أن عدد أفراد هذه الطائفة في نابلس اليوم لايتجاوز بضع مئات) ولغتهم هي اللغة العربية، ويقول البيروني عنهم في الآثار الباقية في القرون الخالية-طبعة ليبزيغ ١٩٣٢ ص:٢١):"انهم أعانوا نبوخذ نصر ودلوه على نقاط الضعف عن اليهود حين غزا يهوذا وسبى اليهود الى بابل ولم يمسهم بأذى. وأن السامرة هم المعروفون لدى اليهود باللاساميين وهم الأبدال الذين بدلهم بختنصر بالشام حين أسر اليهود.. وكان السامرة قد أعانوه ودلوه على عورات بني اسرائيل فلم يحركهم ولم يقتلهم ولم يسبهم. وانزلهم فلسطين من تحت يده وجعل عامتهم يكونون بموضع في فلسطين يسمى نابلس وبها كنائسهم، ولايمسهم الناس وإذا مسوهم اغتسلوا ولايقرون بنبوة من كان بعد موسى من أنبياء اسرائيل"، وتلخص عقيدة السامريين في وحدانية الله-ونبوة موسى وقداسة جبل جزريم-والايمان بالتوراة ذات الخمسة أسفار الأولى من العهد القديم على أنها منزلة من الله-والايمان بيوم الدنيوية والبعث فإنه لاريب فيه، وننتقل من طوائف اليهود ومعتقداتهم التي هي شكل من أشكال تناقضات التوراة الى التكوين التاريخي للتوراة. ويقسم الى ثلاثة أدوار:

الدور الأول:

وهو دور ابراهيم ١٩٠٠ ق. م وكانت اللغة الأم هي الآرامية الكنعانية (قريبة من الأم) وحفيده يعقوب كانت لغته أرامية كنعانية ، كابراهيم، وكذلك أولاده- كلهم أراميون.. وقد انتهى هذا الدور بهجرة ابراهيم وأسرته الى مصر وانضمت الى يوسف وذابت بالمجتمع المصري وبالمصريين. وتدّعي التوراة أنهم بقوا ٦٠٠ سنة ولم ينصهروا بالمصريين؟!.

الدور الثاني:

في هذا الدور (بعد ستة قرون من الأول) جاء موسى وجماعته الى أرض كنعان، ومعهم بعض الهيكسوس الذين دانوا بدين التوحيد الأخناتوني وسميوا بقوم موسى وكانت لغتهم مصرية. وقد نسبتهم التوراة الى أسرة يعقوب

وابراهيم، كما نسبت موسى الى كهنة بني لاوي ابن يعقوب ، وتقول التـــوراة عن موسى أنه"تربى في بلاط أخناتون واتخذته ابنة فرعون ابناً لها ثم تزوج من امرأة كوشية(أثيوبية)"واسمه مصـــري صميـم تسـمى بـــه أبـاطرة عصــر الامبراطورية الفرعومية(أحمى أو أح موسى-تحوتمس-أو تحـــوت موســـى- وتحوت إله مصري تعني رب الحكمة) كان عبداً ثم شكل الطائر ايبيـــس(أبـــو منجل) في الدلتا وبعد أن وجد لنفسه موطنا جديدا في مصر الوسطى طار الى القمر وهو الذي يدير الزمن ويشرف على نظام العالم المتجدد لذلك ظهر أسمه مسطورا في قصتي خلق العالم والاله أوزيريس)[1].

الدور الثالث:

ويبدأ من السبي الى بابل ٦٠٠ ق.م الى ٥٨٦ ق.م ويهود هذا الدور هـــم بقايا جماعة يهوذا المنقرضة، وهم الذين كونوا الديانة اليهودية وكتبها في بابل ومارسوا طقوسهم هنا وأشرف عليها الكهنة ودونوا أهم فصول التوراة والتمهيد لتدوين التعاليم باسم التلمود البابلي. وقد صور السبي هذه الديانـــة بالهوديـــة.. وعليه صاروا يسمون باليهود واليهودية.. ولغتـــهم آراميـــة مقتبســـة (آراميـــة التوراة) إذ كانوا يعرفون السومرية والهيروغليفية-وثبتوا في أســـفارهم التـــي كتبوها نسبهم لابراهيم وقصة الأرض الموعودة. ولما قدم اليونانيون وضعـــوا اصحاحين في فلسطين هما: المكابيون ١-٢ وأضافوهما الى التوراة اليونانية ثم ترجما الى اللغة الجديد"العبرية" (١٦٧-٣٧ ق.م) وهما يشرحان وقائع وأحداثاً وقعت في عهود آشور وبابل والإغريق ولادخل لموسى وكتابه بها..

أما طائفة الصدوقين (نسبة الى مؤسسها ورائدهم الأول الكاهن "صدقة أو صدوق" وهم يشبهون السامريين في معتقداتهم وظهرت فـــي عـــهد المكـــابيين وتنتمي الى طبقة الكهنة وبعض الكتبة من اليهود الذين يميلون الـــى مســـالمة الرومان وكان لها ممثلون في السنهدرين (٢٠عضوا من أصل ٧٢)، واعتنـــق الصدوقيون البعث والنشور واعتقدوا بأن العقاب يحصل في الحيـــاة وخـــالفوا الفريسيين الذين يعتقدون بأن الصالحين من الأموات ســـينشرون فـــي الأرض ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر ويدخل في دينه. ولايقبلون من التـــوراة الا خمسة أسفار ومنهم خرجت طائفة القرائين: وقامت هذه الحركة علـــى انكـــار التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات وتمسكوا بأسفار العهد القديم التي نـــادى بها السامريون والصدوقيون والاكتفاء بالتوراة. وظهرت في القـــرن الســـادس الميلادي في بغداد وفي فارس واشتهرت بترمتها بالطقوس ويوم السبت... ثـــم

---

(١) أرمان-ديانة مصر القديمة ص:١٣-٢٦.]

ظهرت على لسان يهودي من أهل سورية يدعى"المسـيزنيوس" عـام ٧٢٠ م ودعا اليهود بأن "اتركوا تعاليم التلمود" وصار أتباعه يدعونه بالمسيح المنتظر، حتى ضاق به يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ - ٧٢٤ م) ذرعا فأمر بتسليمه لليهود أنفسهم ليتدبروا أمره، ثم ظهر داع يهودي آخر من أصفهان هو "عوباديا بـن عيسى(٧٥٠م)" ونادى بنفس الاصلاحات السابقة وتعديل عديـد مـن أحكـام اليهودية وعرف أتباعه بالفرقة العيسوية نسبة لابن عيسى هذا ، ويقر أتباعـها بنبوءة عيسى ومحمد.. وفي القرن الثامن الميلادي قامت طائفة يهودية أخرى- اصلاحية- أسسها الحبر داوود بن عنان دعت لرفض التلمود، وقد اصطدمـت هذه الفرقة وغيرها من الفرق الاصلاحية من القرائين مـع الربـانيين درجـة القطيعة ورفض الربانيون الزواج منهم أو إزاجتهم بنسـائهم، وقـام الخليفـة المنصور بسجن عنان هذا بعد أن شكاه الربانيون.. وبعد أن أطلـع المنصـور على أبعاد القضية عفا عنه.. ونفاه الى القدس.. وهناك بنى ابن عنان كنسا لـه ولاتباعه من جماعة القرائين، وقام بتأليف كتابين يدعو فيهما الى تحرير التوراة من التلمود هما(كتاب الفرائض - وكتاب الفنلكة)[1].

وبالقاء نظرة سريعة على التلمود نجد أنه أقر حق تسـلط اليـهود علـى الأرض والبشر بالحرب . وذلك "لتتم لهم السلطة والثراء، وعندها يتهود الناس أفواجا" [2]. ونظر الى الأديان الأخرى نظـرة حـاقدة موتـورة فقـالوا عـن المسيحيين "أنهم سافلو الأخلاق ولايستحقون المحبة والعدل" كما شتموا السـيد المسيح ووصفوه بالمنافق والدجال.. وما الى ذلك من كلام قبيح.. وقال التلمود البابلي(الأمورائيم والسبورائيم) بالتناسخ وهي فكـرة بابليـة هنديـة، أخذهـا حاخامات بابل وثبتوها في كتابهم هذا، وليست موجودة فـي التنـائيم. وذكـر التلمود في تعاليمه الحياتية: الفلاحة والزراعة-الأعيـاد والمواسـم- النسـاء ومايتعلق بهن من زواج وطلاق وارث- النواهي والعقوبات-الذبائح والتقدمات والقرابين ومراسم الهيكل- التطهير، وهي ستة أقانيم يقوم عليها التلمود، وهي مقرونة بظروف الأحقاب السالفة وحياتها البدائية، أي أنها غير صالحة للخلود

---

(١) وبقي أتباع هذه الطائفة الى اليوم في فلسطين وفي تركيا وروسـيا ومصـر، وبعـد احتلال فلسطين قام الصهاينة باختطاف آلاف من هؤلاء واقتيدوا الى اسرائيل فسـاوموا البعض وصفوا البعض عن طريق الجواسيس والعملاء، وذلك لأنهم رأوا فيـهم خطـرا شديدا على مشروعهم الصهيوني السياسي والعسكري.. ويعيـش القـراؤون الآن فـي اسرائيل كرهائن للمساومة والحجز كيلا تنتشر أفكارهم...

(٢) و هو الأساس أو السر الأكبر في الماسونية.

الانساني ولامقياس أبدي. وقد أخفي هذا الكتاب مدة طويلة (أربعة عشر قرنـا) كيلا يطلع عليه المسيحيون خاصة بعد أن أصبحت ديناً عالمياً فخشيـوا نقمـة العالم المسيحي عليهم.. ولكنه انكشف عام ١٢٤٣م. فأمرت الحكومة الفرنسـية باحراقه علناً بعد أن أطلعت على مايحتويه من عبارات طعن وقذف واهانة ضد المسيحية خاصة والأغيارعامة، ثم حرق عدة مـرات فـي مختلـف الأقطـار والأزمان، وتجدر الاشارة هنا الى أنه في عام ١١٦٨ م. قام اليهودي موسـى بن ميمون بوضع تفسير للمشنة بالعربية(بالمصرية الدارجة والكتابة بـالحرف العبري) اسماه "السراج" كما وضع مصنفا آخر في الفقه العبري اسـتمده مـن التلمود وأسماه "تثنية التوراة" أعتمد فيه على التلمود البابلي وشيء من التلمـود الأورشليمي، بحسب الحاجة.. كما وضع كتاباً آخر هو "دليل الحائرين" بحـث فيه امكانية تدعيم المعتقدات اليهودية بأدلة معقلنة لانقلية. ثم قام بترجمة السراج الى العبرية، ومن ثم انتقلت حركة الطوائف الى اوروبا ومنها: طائفة القبالـة والزوهر:

بعد انتشار التلمود ظهر رهط من الأحبار الذين تأثروا بالمعتقدات والأفكار الشرقية(ديانات فارس-والزرداشتية) فخرجوا بمجموعة باطنية مـن الأحكـام حول أسرار الكون والاله والكائنات، وأنشأوا حركة عرفـت باسـم "الحكمـة المستورة" في البدء وتسمى لدى اليهود"القبالة" (وتعني القبول أو تلقي الروايـة الشفوية)ويرى القباليون هؤلاء أن هذه الروايات قد نزلت على القديسـين مـن قديم الزمان، وتتنبأ بظهور المسيح المنتظر، وأن كتاب التكوين عندهم مسـتمد من موسى وهذا استمده من ابراهيم.. فيما استمد هؤلاء رواياتهم من القصـص والحكايا الباطنية التلمودية ومذهب التصوف الذي راود الغاؤونيم، وكذلك مـن الفلسفة العربية الأفلاطونية، ومن تعاليم القبالة التي انتشرت في أوروبـة فـي القرن ١٢ وإن الله فيها كائن مطلق وأن روح الانسان تنتقل من جسم الى جسم حتى تعود في النهاية الى الله وتفنى فيه. واندمجت تعاليمها في وثيقتين: السـفر جزء (الخلق) على لسان ابراهيم، والسفر هازوهر أو الاستنارة وقـد جمعـت روايات الاستنارة في كتاب واحد جامع سمي الكتاب المقدس الجديـد وعـرف بـ"الزوهر" وتعني النور أو الضياء أو الاستنارة وهي مأخوذة مـن التـوراة: "والفاهمون يضيئون كضياء الجلد"(دا: ١٢-٣) وقد وضعه "موسـى الليونـي ١٢٥٠ - ١٣٠٥ م. بالآرامية- في اسبانيا وتعود نصوصه الى زمن الحاخـام

سمعان بن يوشي من القرن الثاني عشر الميلادي [1] وتتصل الزوهر بالتوراة من حيث التأويل والألغاز بحيث أن كل حرف فيها يحمل معنى باطنيا- كما يعتقدون- وأن لاأحد غيرهم قادر على فهمها.. ومن أساطير وبدع الزوهر أن الحروف الاثني والعشرين من الأبجدية العبرية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلا وأنها نقشت بناءٍ ملتهبة..(علما بأن العبرية مأخوذة بكليتها من الآرامية وأن معجميا واشتقاقاتها مأخوذة من الكلدانية والآشورية والكنعانية. وبمقارنة بسيطة بين الآشورية والكلدانية والعربية نرى أن هذه اللغات هي الأصل وأن العبرية مشتقة منها.. كما مر معنا فيما مضى). أما الحياة في رأي الزوهر فهي صراع بين الخير والشر وكلاهما يخدمان غاية مقدسة.. ومن مشاهير الزوهر: نجمان، وموسى بن ميمون(في الأندلس).. وتعتبر القبالة المصدر الذي استقت منه الجمعيات السرية الصهيونية تعاليمها ورموزها مثل فرسان المعبد، والبنائين (الماسونية) وكلها تقصد هدم النصرانية وازاحتها من طريقها من أوروبا وخاصة في بولونيا وتحدد الزوهر المسيح المنتظر (اليهودي)بأنه أما من نسل داوود أو من نسل يوسف.. ومن إشارات ظهوره قيام العالم الجديد الذي لن يكون كالعالم الحالي. وأن الناس سينضمون إليه.. ولايقبل الزوهر المهتدين أيام هذا المسيح (وهذه القصة مأخوذة من أساطير الشرق الزرادشتية) ، كما ذكر الزوهر بأنه سيقوم بمحاكمة يشهدون فيها أعداء اسرائيل الارضيين، وهذه البدعة مستمدة من حياة التشتت اليهودية في الفترة الرومانية فولدت لديهم الحقد، وسجل كتبة الزوهر هذه الخرافة كباعث للأمل في نفوس معتقديه، وقالوا بنهاية العالم لخدمة مصالحهم في عالم آخر مادي (أرضي) للانتقام من أمم الأرض التي عادتهم . وهناك من يقول إن فكرة المسيح المنتظر قد برزت بعد سقوط يهوذا وأسرهم في بابل وكل هذه البدع مستمدة من الزردادشتية- في سفر اشعيا:٩/٦-٧: يولد لنا ولد.ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً ويكون الها قديراً وأباً وأبدياً رئيس السلام. تنمو رياسته. يجلس على كرسي داوود وعلى مملكته يثبتها ويعضدها بالحق والبر من الان وإلى الابد. غيرة رب الجنود تفعل هذا" -ولما حلت بهم المطاردات والملاحقات (في عام ١٥٥٣ حرق التلمود في إيطاليا.. وفي بولونيا اشتدت حملات الملاحقة بهم) فقالوا بأن هذه الفترة هي فترة ظهور المسيح ١٦٤٨، فظهر في أزمير بتركيا يهودي آخر هو ساباتاي زيوي، فقال

---

(١) وقد اختفى بن يوشي هذا في مغارات فلسطين ثلاث عشرة سنة وفيها انكشفت له أسرار السماء والأرض معا كما يحصل للأنبياء المرسلين ولله في خلقه شؤون !! ..

بأن المسيح هو"قبالي" وكون له أتباعاً ألغى تعاليم اليهودية ودعا الى شطب أسم السلطان محمد الرابع من الخطب في المساجد واحلال اسم ســاباتاي المسيح محله.. ثم أضاف الى أسمه ابن داوود وسليمان ١٦٦٦. ثم عاد الى اسـتنبول ولكن الباخرة التي أقلته منيت بعاصفة هوجاء... كادت تودي بحياة هذا المسيح المنتظر ابن داوود وسليمان الى قاع البحر فيغدو طعاماً لأسماك البحر.. ولكن القدر أنقذ "السيح المنتظرهذا" من الموت وسيق مكبلاً الى الوزيــر الأعظـم محمد كوبريلي.. وانتصر لساباتاي هذا روفائيل يوسف جلبي في مصر. وناثان بنيامين لاوي في غزة، وأمداه بالمال... وهنا ساومه السلطان محمـد الرابـع وأقنعه.. فقبل هذا"المسيح المنتظر" العرض وأعلن اسلامه وصار اسـم "هـذا المسيح المنتظر" (محمد أفندي) وخصص له السلطان راتباً شهرياً..

غريب أمر هؤلاء الخطائين، فما أن تكشف حيلهم وألاعيبهم حتى يتوبـوا ويعلنوا دخولهم في دين الخصم.. وهذا ماحصل مع اليهودي الذي افترى على عمر وعلى علي.. والحبل على الجرار... ولم يكن ساباتاي الأخـير.. وهـو دخول تآمري بطبيعة الحال.. وأخذ ساباتاي يدعو خفية في طائفة الدونما(اليهود الذين خرجوا من اسبانيا واعتنقوا الاسلام تقية في الظاهر، ويمارسون طقوسهم في الخفاء ولايتزوجون من غير الدونما) وادعى كذباً أنه يبشر بالاسـلام بيـن اليهود.. فنفاه السلطان الى مدينة دلسيكنوا في ألبانيا وتوفي فيها سنة ١٦٧٦م. ولم تمت دعوة ساباتاي.. فقد قامت في بولونيا في القرن الثامن عشـر حركـة أخرى مشابهة قادها "اسرائيل البدولي" فاسس طائفة تدعى"الحسـيديم"[١] عـام ١٧٤٠، واستمد تعاليمه من الزوهر لكنه لم يعتقد أن الكون صورة من صـور الله بل إن الكون كله هو الله. وأن الشر عنصر فيه لأنه ليس خبيثاً في ذاته، بل في علاقته بالانسان، وبذا فليس للخطيئة وجود مادي.. وهذا يشير الى ناحيـة هامة هي أن إله اليهود يمثل الشر وإله البشر يمثل الخير فكان يهوه الطـرف الآخر لله ولهذا يجب التدقيق في تعاليم هذا المذهب من هذه الزاوية.

وقد استخدم طرائق السحر والشعوذة للاقناع، وتبعه مريدون كثر.. وفـي إثره قام داعية آخر هو"حويل بن أوري" اعتمد على السحر باسم الله.. ورفضوا القرابين والملكية الفردية، ودعوا الى التعايش بين الشعوب.

---

(١) أي المتقون.. وقدم أفراد منها استوطنوا قرب البحر الميت في الكهوف والمغـاور وأتباعهم من الرجال والنساء بينهم لأن بقية الطوائف تؤمن بالبغاء المقدس كما هو مبين في التوراة وفي التلمود فرفضوهن في حركتهم هذه. وقد انقرضت هذه الفرقـة أواخـر القرن الأول الميلادي عند تدمير الرومان للقدس.

وقد انتشرت الجمعيات والتيارات القبالية كطائفة الفرنكين(نسبة ليعقوب فرانك ١٧٥٥م) ودعيوا بالزوهريين أو"إخوان الشعلة" في بولونيا. وعاش فرانك هذا في بذخ ترفي لايعرف مصدره وانتهى الأمر به الى اعتناق النصرانية (هذه المرة). وعلى أية حال فقد عدت طوائف اليهودية اثنتين وسبعين طائفة حتى الآن. وعندما وقع هذا الكتاب الممقوت في دائرة الملاحقة فطن بعض من أحبارهم الى خطورة الموقف، فقرر المجمع الأعلى الكهنوتي في اجتماعه المنعقد عام ١٦٣١م في بولونيا، حذف العبارات المهينة للغير "الغوييم" وخاصة تلك التي تدعو المسيحيين "بالسفلة وعديمي الأخلاق" والقذف على السيد المسيح.. وعلى إثر ذلك قامت فئة من بينهم تدعى"الهكسلاة"[1] أو حركة الاستنارة، في أوروبا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، فنادت بسيادة العقل في النشاط الحياتي. وقد اعتمدت هذه الحركة على فلسفة"جون لوك" الليبرالية، وعلى التجريبية الروسية القائلة بأن العالم تتحكم به قوانين وعلاقات يمكن لعقل الانسان تفهمها والتحكم بها، وأن الانسان ليس مخلوقاً صوفيا عجيب الأطوار غير خاضع للقوننة والتقويم بل أنه يتأثر بالبيئة الاجتماعية والحضارية.. وأن يكون العيش بحسب مايمليه عقله بين الناس.. ونادوا باختلاط اليهود وترك عزلتهم الغيتو وادخال التعليم العام في مدارسهم وأن ينفض اليهودي عن نفسه قشرة العنصرية القومية المتخلفة والاندماج ببقية الشعوب وأن يكون ولاؤه الأول والأخير لبلده الذي يعيش فيه لا لانتماءاته الدينية.. ثم قالوا:"بأن اليهودي يهودي في منزله وإنسان عادي خارجه" ورفضوا الشخصية اليهودية المتخلفة-البدائية-الغارقة في طقوس لاعلاقة لها بالزمان والمكان... وقد هزت الهسكلاة المجتمع اليهودي برمته وحركت اليهودي الذي يعيش على هامش التاريخ والعصر.. خاصة وأن أحد أعضاء الثورة الفرنسية أعلن عام ١٧٨٩:"أننا نرفض منح اليهود كأمة أي شيء، أما اليهود كأفراد فإننا نمنحهم كل شيء"... فأعاد الهكسلاة تقويم رؤيتهم، وصياغة أنفسهم ليواكبوا العصر..

وكانت فلنا في شمال روسيا وأوديسا جنوبها مركزاً لهذه الدعوة وانبثق عنها نشاط أدبي يهودي في ألمانيا بلغة جديدة(اليديش الألمانية القديمة) ويعتبر موسى مندلسون (١٦٢٩ - ١٧٨٦) الألماني اليهودي، فيلسوف الهكسلاه ومنظرها الأول، فحاول تحطيم الغيتو العقلي الداخلي وعزا تخلف اليهود إلى الحاخامات والكتب الخرافية، وسيطرتها على اليهود -في كتابه:"أورشليم أو

---

(١) الهكسلاه كلمة عبرية تعني :الفهم.

انعتاق اليهود المدني"١٨٧٦، وقال:"إن هناك أسسا ثلاثة لليهود: ١-وجـــود الله ٢-الايمان بالعناية الالهية. ٣-خلود اليهودية".. وترجم أسفار موســى الخمســة للألمانية. وقد أثر مندلسون في التوصل الى صيغة يهودية عصريـــة تجـــانب المنطلقات اللاتاريخية واعتبر التلمود جامداً في عصره ويجـــب التكيـــف مـــع العصر الحالي إلا أنه وبعد حدوث المجزرة القيصرية لليـــهود ١٨٨١ حولـــت الهكسلاه من الاندماج إلى الانبعاث القومي والانعزالية ونمو الحركة الصهيونية بديلاً عن الهكسلاه كمنظمة علنية. والماسونية كمنظمة سرية تدعو إلى المحبـــة والاخاء في الظاهر.. وقد كانت هذه الحركة تبريرية أو وجها من وجوه التقية في أوروبا لتجاوز ظروفهم الصعبة آنذاك. وعقدوا مؤتمراً لهم في بطرسبورغ ١٨٨٥ تقرر فيه:

"أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله، بل هو وثيقة من صنـــع الانســـان" ومن أعضائه هولدهايم[1]، ومن زعماء هذه الحركة ابراهـــام غـــايغر(١٨٣٠-١٨٧٤)، دافيد فرايدلندر (١٧٥٦-١٨٣٤) وقد نجح اليهود بهذه البرغماتيـــة-التبريرية من تحقيق بعض الانجازات الدولية لصالحهم منها: دستور الولايـــات المتحدة الذي سمح بالعمل بغض النظر عن الدين (١٧٨٧) ولعـــل فـــي هـــذا الدستور أثراً كبيراً في صالح اليهود. وإعلان حقـــوق الانســـان فـــي فرنســـا (١٧٨٩). حيث كانت الماسونية منتشرة بين صفوف رجالاتها ومفكريها-وفـــي ١٧٩١ منحهم المجلس الوطني للثورة الجنسية الفرنسية. وألغـــي الغيتـــو فـــي ايطاليا ١٧٩٧-١٨١٢ ومنحهم فريدريك وليم الثاني حق المواطنة البروســـية-وإعطاؤهم الحقوق كاملة في النمسا والمجر ١٧٦٧ - وفـــي ١٨٧٠ ســـقطت روما في أيدي القوات الاتحادية وكان لأموال اليهود دور كبير فيها مما منحهم كامل الحقوق. واستفادوا من ثورة ١٩١٧ في روسيا من الحرية التـــي منحتـــها الثورة البلشفية والمساواة بين الناس في الحقوق والوطنيـــة..[2] . وبعـــد هـــذه التحولات مالبثت الاصلاحية اليهودية"الهكسلاه" أن عادت الى ســـابق تخلفـــها وخرافاتها العنصرية.. فقامت حركة مضادة تزعمها الحاخام مســـون روفـــائيل هرش (١٨٠٨-١٨٨٨) وزكريا فرانكل (١٨٠١-١٨٧٥) وقالا بالتطوير مـــن داخل اليهودية لامن خارجها. رغم ايمانهما بأن التوراة خرافات شفهية "ابتدعتها

---

(١) اسماعيل راجي الفاروقي:"الملل المعاصرة في الدين اليهودي" القاهرة-معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ - ص:٥٢.
(٢) دائرة المعارف الأمريكية - ١٩٦٩ .

الربانية لكي يضيفوا لونا من الحقانية على ما أقـــره الاجمـــاع الشعبـــي" [1]، واقترح الحاخام الصهيوني سلومون شيخـتر (١٨٤٧-١٩١٥) علــى اسـرائيل المجمعة على هويتها "كلال اسرائيل" بدراسة التراث والخرافات اليهودية.. ومن هذه الطائفة بن غوريون الذي أعلن: "بأن أسطورة الوعد الالهي بمنــح اليــهود أرض كنعان، سواء أكانت حقيقة أم لا فالمهم أنـــها مغروســـة فـــي الوجـــدان اليهودي ويجب أن تبقى سارية المفعول حتى بعد أن يثبت أن الوعد المقطـــوع هو مجرد أسطورة شعبية ليس لها أي مصدر إلهي [2].. ولم تكن هذه الصـــورة من التقلبات والنزاعية هي الأولى والأخيرة في التلون اليهودي عبر التاريخ.. فقد سبقتها حركات قديمة في إطار التلمود نفســـه أي أن الحركـــات اليهوديـــة قسمان: قسم سياسي، وآخر ديني، ولضرورة البحث نعود الى بحـــث الجـــانب الديني من تطور التوراة تاريخيا، أو التلفيق التوراتي لحقائق التاريخ بــــالمعنى الأدق. وتقوم هذه الحركة الدينية على مصدر أساسي هو التوراة والتلمود وبعد كل هذه التحولات فقد اقترح توينبي على اليهود رأيا بل حـــلاً مفـــاده: "إذا أراد اليهود أن ينجوا من الكذب، عليهم بكتابة تاريخهم من جديد وبما ينطبـــق مـــع الحقائق بعيداً عن اغتصاب أرض فلسطين.. وإن اسرائيل برمتها مهما كـــانت وماتزال وستبقى من الوجهة القانونية ملكاً للعرب الفلسطينيين الذين أجلوا عـــن ديارهم بالقوة". إلا أن هؤلاء الملفقين المحتلين لم يقبلوا بفكرة توينبـــي لأنـــهم خدام الدول والامبراطوريات ولأن مشروعهم هو مشروع استعماري غربي وقد تعهدوا أن يكونوا خدام هذا المشروع ومنفذيه.

(١) الملل المعاصرة -مرجع سابق -ص: ٩٦ .

(٢) الملل اللمعاصره - مرجع سابق ص ١١٨

الفصل الثاني ...

الأساطير العربية في النصوص التوراتية

«لـ "يهوه" رقعة محددة من الأرض(من النهر الى النهر) ولله السموات والأرض .. ولـ"يهوه" فئة من البشر... ولله كل الأمم وكل ذي كبد حي...»
ن . ش

● تجسيد الوهم..

يقول غارودي:"يبدأ الايمان من حيث ينتهي التفكير العقلي" وهذا يشير الى أن الايمان انما هو عملية عقلية خالصة أي أن الله يكون عندما يكون العقل، والعقل دليل الحق وعندما يشاء يكون الفعل(أقرب من الكاف الى النون)، والفعل والمشيئة صفتان متلازمتان للأرادة الالهية غير محددتي الزمان والمكان.. أما الانسان فهو محكوم بالزمان والمكان.. عبر الأكوار والأدوار وفي كل الحضارات والكيانات، ولدى الأمم كافة من بدء الخليقة وبصورة مطلقة.. وعبرت عنه الديانات والمذاهب والمعتقدات وأقرت جميعها بأن الله خلق الانسان والكائنات كلها من العدم في زمان غير معلوم وهو، مايزال، موضوع بحثه ودراسته دون نتيجة قاطعة...

وقد مثل الايمان في كل الديانات الترسيخية على أنه تحقيق لأماني العقل البشري وإقرار بوجود قدرة خارقة مسيطرة حاضرة على الدوام، وتتعدى قدرة الانسان في الكم والكيف، فتوسل اليها وقدم لها القرابين وأقام الصلوات والعبادات التي تقربه من هذه القوى التي تمثل الخير المطلق والقوة المطلقة وفيض الكمال في كل شيء.. وبقي مرتبطاً بها، بأشكال متعددة عبر تاريخه الطويل، يستدر عطفها.. وكم خلق الانسان آلهة وهمية ليحقق ذاته، عبر قيم وعبادات وديانات خلقت آلهتها، وبقيت منعكساً لإنسان هاتيك الأمم والحضارات القديمة الى أن ارتقى بفكرة الايمان الى وحدانية الإله فغدا الايمان طمأنينة للعقل وهاديا لكشف سر الوجود ودافعا للأمن النفسي والأمل المطلق بالحياة وبالعقل وقدرته على الابداع..

وكان الايمان في الحضارات القديمة مزدوجاً في الوجود وثنائيا في وحدة الصورة الالهية(أنثى وذكرا) وكانت الصور الخرافية للخلق لدى السومريين، والبابليين، والمصريين والكنعانيين والفينيقيين، ثنائية أو متعددة، تجسدت في كائنات ثنائية الهيئة، وجميعها صور عقلية وهمية ترمز الى قدرة العقل على الخلق، بل خلق وهمي للاله أو لنقل خلق الانسان لذاته، فكانت الآلهة لديهم منعكساً للانسان، وان الايمان هو تحقيق لأماني العقل البشري في مناجاة هذه القدرة الخالقة...

وعلى عكس هذه التصورات فالايمان لدى يهود التوراة موضوع بحثنا هو ايمان وثني يقوم على تحقيق الرغائب، والاله لديهم فرضية منسوخة عن صورة الاله المزدوج في الهيئة والجنس ومرتبط بزمان ومكان بعينهما، ومحصور في شعب خاص. أي أنه اله جزئي حصروا فيه جميع القوى الطبيعية من عمق التاريخ في زمن محدد هو زمن ابراهيم، فنسبوه اليه كما نسبوا هذا الاله لابراهيم، بعد أن كان اسمه ابرام ودفعوا اليه كل من تبعهم فمثل الطابع العنصري القومي وجاء هذا الرب الها مميزاً من البشر وخلق من أجليم فتملقوه وتملقهم، وكان منعكسا لهم وكانوا على شاكلته: عنصريين، وبهذا فقد أصبح الاله مخلوقا أ ي أن اليهودي يخلق الهه على صورته ومصالحه، بل على هيئة رغباته وأمانيه وتحقيقا لها وتشبها بخالقه.. فانحرفوا عن العقل وكان دليلهم على مرالحقب باطل الأباطيل.. وقبض الريح.. والاله في التوراة، يختلف عن الله ذي العزة والجلال، فهو خلافا عن كونه متميزاً لأناس بعينهم، فهو يفعل الفعل ويندم، ويختار رسوله ثم يكتشف أنه أخطأ الاختيار، أو كأنه لايدري من أمر نفسه، علما بأنه ايعرف ماذا يخبئة الغيب؟!.. وتجدر الاشارة هنا الى التناقض الحدي مابين الالهين، إله البشر وإله اليهود.. فالعرب مثلاً-كغيرهم من الأمم-يعبدون إلها خيراً واحداً منذ أن لاحظوا أن المطر ينزل من السماء على الأرض(وهو الخير) فينبت العشب وتمرع الحياة، جمعوا مابينهما وحدة الوجود بإله واحد هو ذات الخير وجاء اليهود ليكون إلههم(شراً) في مواجهة اله العرب تماما.. وعليه لا بد أن ننفذ الى جوهر هذا الأمر بقراءة متمعنة للتوراة وكذلك الأساطير العربية لنجد كل عجيب..

"اسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه"(سفر زكريا-الاصحاح الثاني).

وبذا فان الاله جثماني في توراتهم.. يستيقظ ويراه البشر ويقفون أمامه ساكتين.. يرونه ويراهم..

أن قراء عابرة للتوراة، هذا، تؤكد بأن الأقلام التي كتبته من اليهود(الذين ضرب عليهم السبي في بابل) قد تأثروا لنسائهم السبايا وأبنائهن العبيد الزنادقة،

وبناتهن العرايا تتوشهم أيدي الآخرين فيقدموهن للمتعة في قصور فارس، فراح هؤلاء الكتبة يلطخون كل شيء.. ويلقون كل القذارات على وجـــه التـــاريخ.. زيفوا صورة الآله، وقزموه.. ولطخوا الأنبياء وقزموهم بل وأكثر مـــن ذلـــك: قتلوهم.. وهذا نبيهم أرميا يؤكد القول ويصرخ في وجه شعبــه:"أكــل ســيفكم أنبياءكم كأسد مهلك"(سفر ارميا-الاصحاح الثاني).

وكل أنبيائهم في كتابهم هذا هم زناة.. وقتلة، ويخادعون.. من موسى حتى يهوذا- المفضل لديهم (مات ابنه فزنى بكنته"تامار" التي جلست له على الطريق وخلعت ثيابها وتغطت ببرقع فظنها عاهرة داشرة وزنى بها..) فصـــار الزنـــى لديهم مقدساً وهو مرسوم في الآيات.. ترتل في الأعياد وفي احتفالات الزواج- ومنها نشيد الانشاد- وتوضع بين شرائع النبي موسى ولوائحه وضمن أســـفار التوراة.. ولكن ماعلاقة هذه الأناشيد الجنسية بالاله وبالأنبياء والنبوة؟ ويأولونه على أنه أنشودة زفاف العريسين، أو أغاني الحب التي تؤلف لحفلات الـــزواج الشرقية.. وأنها كانت تتلى كطقس ديني في هيكل أورشليم في زمن الملـــوك.. وتتخلل أعياد الفصح السنوية لمعناها الديني الرمزي، وأنها تعبر عـــن علاقـــة الحب الروحي بين الله وشعبه هي الأصل.. وهذا يعني أنها علاقـــة طـــاهرة.. ولنقرأ هذين المقطين من نشيد الانشاد:

١. في الليل على فراشي طلبت نفسي من تحبه... طلبته فما وجدته.. إني أقوم وأطوف المدينة والأسواق والشوارع، أطلب من تحبه نفسي.. طلبته فمـــا وجدته..

٢. وجدني العريس الطائف في المدينة فقلت : أرأيتم من تحبـــه نفســـي.. فأمسكته، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي، من حبلت بي.. وأحلفكـــن بالظبـــاء وبأيائل الحقول: يابنات أورشليم لاتيقظن الحبيب.. لاتنبهنه حتى يشـــاء.. بيـــن ثديي يبيت.. أنعشوني بالتفاح فاني مريضة.. شمالـــــه تحـــت رأســـي ويمينـــه تعانقني.. أحلفكن بالظباء وبأيائل الحقول: يابنات أورشيلم لاتيقظن الحبيـــــب.. حتى يشاء..الخ

٣. خدّكِ تحتَ النقّابِ كفلقةِ رمانٍ..
ما أجملَ ساقيكِ بالنعلين يابنتَ الكّريم..
دوائرُ فخذيك مثلُ الجواهرِ صنعتها يدا صناعٍ،
سرتُكِ كأسٌ مدورةٌ لايعوزها شرابٌ ممزوجٌ،
بطنُك صرةَ حنطةٍ مسورةٌ بالسوسِ الأسودِ،
ثدياكِ كحشفتي توأمي ظبية،
عنقكِ كبرجٍ من عاجٍ،
قامتكِ شبيهةٌ بالنخلةِ وثدياكِ عنقودانِ ،

قلتُ إنّي أصعدُ الى النخلةِ وأمسكُ بعذوقِها [1] ".

والسؤال من هو الانسان هنا.. ومن هو العريس والعروس، بل من هو الاله ومن هو الانسان هنا، حسب تأويل التوراة آنف الذكر؟.

فالخد والفخذان، والساقان، والعنق، والسرة، والثديان عنقودان متدليان على النخلة، وهو يصعد اليها ليمسك بالعذوقين.. فأين هي العلاقة الروحية أو الحب بين الاله والانسان هنا؟.. وهل هذه الآيات أو الخطاب هي آيات ربانية وخطاب إلهي؟ أم أنها نص جنسي إباحي شبق وليس غير؟. ثم حاشى الله أن تكون هذه آياته وهذا كتابه.. وخسئ الكاتبون.

ولعل هذه الأناشيد وغيرها مأخوذة من الطقوس والعبادات البابلية وغيرها من الأديان القديمة (الوثنية) التي كانت تسود المنطقة وشعوبها في ذلك الزمان.. وتجدر الاشارة الى الطقوس والأديان القديمة (العربية) للتعرف الى الجذور التي أخذ منها كتبة التوراة مادتهم...

١- الديانة السومرية:

فقد كانت، في البدء، الآلهة "نمو" وتشير الى الحياة الأولى التي انبثق عنها كل شيء، كانت وحيدة لاشريك لها، ثم انجبت "نمو" ولداً هو"آنو Anu" وهو اله السماء.. ثم انجبت بنتاً هي "إنكي Enki" وهي آلهة الأرض.. وقد كانا ملتصقين بأمهما، لم ينفصلا عنها الى أن تزوجا(آن بانكي) فأنجبال ابنهما البكر "إنليل" وهو اله الهواء.. وهو محصور بينهما في حيز ضيق لايسمح له بالحركة. ولم يطق أنليل هذا الحصار فثار على أبويه وبقوته الخارقة قام بابعاد أمه عن أبيه، فصارت أمه سماء وصار أبوه أرضاً وأقام هو في الوسط، بينهما. الى أن أنجب ابنه"إنانا" اله القمر فأنار الظلمة عنها.. وأنجب أنانا ابناً هو"أوتو" اله الشمس. وهنا، بعد ابعاد السماء عن الأرض وبزوغ الشمس وطلوع القمر، قام إنليل ومعه بقية الآلهة بخلق الحياة ومظاهرها الأساسية، الماء، وكتلة يابسة على شكل قبة، والهواء.. وعدوا القمر ابناً للهواء، كما اعتبروا الشمس ابنة القمر.. وقد ظهرت الحياة بعد الانفصال الذي تم.. ووجدت عقيدة السومريين هذه على رقعة حجرية تقول:

"إن الاله الذي أخرج كل شيء نافع هو الاله الذي لامبدل لكلماته: أنليل الذي أنبت الحب والمرعى وأبعد السماء عن الأرض وأبعد الأرض عن السماء .

---

(١) العذوق:حلمة الثدي-والنخلة والعذوق مذكورة في أسطورة آدم وحواء السومرية كما سنلاحظ في هذا الفصل عند الحديث على السومريين.

وخلق الانسان من الأرض عند السومريين كما رأينا وصور علـــى شكــل الآلهة ليكون عبدا لها... وتقول انكي لابنها:"أي بني انـــهض مـــن مضجعــك واصنع أمرا كليما.. اجعل الآلهة خدما يصنعون لهم المعاش.. فنظر الابن الى أمه وقال:"إن الكائنات التي ارتأيت خلقها ستظهر للوجود.. ولسوف تعلق على صورة الآلهة افرجي حفنة طير من فوق مياه الأعماق وسيقوم الصناع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين.. ثم كوني له أعضاءه وســتعمل معــك "تنمـاخ"(وهــي الأرض الأم عند السومريين. وصورة الآلهة هي على صورة إنسان) وكان لهم عيد رأس السنة ويسمى زاكموك Zakmuk)وهو شبيه بالعيد البابلي ويرمز الى صراع القوى وانتصار العناصر الخالقة وتقام في بيت زاكموك). (١)

٢- ديانة الأكاديين(٢٣٦٠ - ٢١٨٠ ق.م):

وإلههم "سن" وهو نفسه إنانا.. وارشيكيال. وقد قامت هذه المملكة منذ البدء الى انتهاء فجر السلالات فقام الملك لوغال زاكيزي - بعد قضائه على ســلالة مدينة "لجش" قرب "أوما" ووحدها فـــي مملكــة واحــدة كــبرى.. ثــم جــاء سرجون(ويلفظ شروكين -ويعني الملك الصادق) وكون مــن العــراق مملكــة واحدة ٢٣٥٠ ق.م. بعد قضائه على لوكال زاكيزي-ودامت السلالة الاكاديـــة زهاء قرنين ٢٣٥٠-٢٢١٠ ق.م. واتحد القسم الأوسط مـــع الجنوبـــي فكــون مملكة سومر. وعن سرجون تقول المكتشفات أنه ولد لأم فقيرة ولايعرف أبوه.. تولاه عمه وخاله من سكان الجبال(في تــلال باديــة الشــام) وكــانت مدينــة أزوفيراني- على شاطئ الفرات مكان تربيته. ولما ولد وضعته أمه في "ســفط" من قصب مدهون بالقير ووضعته في النهر. لم يغرق فرآه فلاح"آكـــي" وقــام بتربيته ورعايته، وهو بستاني فكان سرجون بستانيا، وإذ بالآلهة عشتـــار قــد هامت به وأحبته فجعلته ملكا(بقي في الملك أربعا وخمسين سنة)(٢) وقد وجدت نسخة من هذه القصة في تل العمارنة في مصر في القرن الثالث عشـــر قبــل الميلاد وتحمل عنوان: ملك الحرب. كما عــثر علـــى رقــم مكتوبــة بــالخط المسماري في جنوب العراق لقصـــة منقولـــة عمـــا رواه ســـرجون الأكـــادي الأول(٢٣٨١-٢٣١٦ ق.م) وتقول القصة أن سرجون يحكي عن نفسه بأن أمه كانت إحدى عذارى الهيكل ولايعرف أباه، حبلت به وولدته سرا ثم وضعته في صندوق من البردي وأحكمت بابه بالقير وألقته في الفرات، فعثر عليـــه آكـــي الفلاح ورباه ليكون ابنا له، ثم صار سرجون اللقيط بستانيا فساقيا لحاكم كيــش

---

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات - مرجع سابق.

(٢) L.W.King Chinicles Concerning Early Babylonian Kings.٥.

وقد عشقته الآلهة عشتار ثم صار ملك سومر وأكاد، وأن أم سرجون كانت كاهنة عليا من صنف النساء المحرم عليهن الزواج وانجاب الأطفال. ونتضح من أسطورة الخلق السومرية أن الالهة تتعاون فيما بينها. فقد تعاون ثلاثة آلهة كما مر معنا: آنو-أنليل-أنكي، وهؤلاء الثلاثة يشكلون الثالوث أو البانثيون السومري. وقد جددت هذه القصة(الخلق أو التكوين) خلق المدن الخمس التي سبقت الطوفان. إلى أن يقوم الاله'جيليما' بالخلق، ومن هنا أخذ كتبة التوراة سفر التكوين حرفيا مع تعديل طفيف على الاسماء.

٣- ديانة البابليين:

بعد أن بسط البابليون نفوذهم على جيرانهم السومريين في بلاد الرافدين، توسعت رقعة بلادهم ودالت دولتهم في عهد حمورابي. وقد تجلت ديانتهم في ملحمة التكوين(اينوما ايليش Enuma - Elish) وملحمة جلجامش، ويعود تاريخ كتابتها الى ٢٠٠ ق.م. وقد وجدت هذه الملحمة موزعة على سبعة ألواح فخارية في الحفريات المكتشفة للملك آشور بانيبال. وتعني اينوما: عندما، وايليش: في الأعالي.. وتعني أي عندما لم يكن في الأعالي سماء، ولافي الأسفل أرض.. وتفيد الأسطورة:'إنه لم يكن في البدء سوى محيط مائي شاسع ممثل في الإله(أبسو Apsu وهو الماء العذب) والآلهة(تهامةTihamat زوجته وهي الماء المالح) والإله(ممو) وهو الأمواج الناشئة عن المياه الأولى أو الضباب المنتشر فوق المياه والناشئ عنها. وهذه الكتلة المائية التي تملأ الكون هي العماء الأول (غيم رقيق يحجب بين الناظر والشمس) ثم انبثقت عنهما فيما بعد بقية الآلهة وكل الموجودات الكونية. ولما كان الثلاثة يمزجون أمواجهم معاً، لم يكن هناك زمان ولامكان، وتكونت الماء والأرض من جسد الآلهة التي شطرها مردوخ الى شطرين قاد الى الصراع المرير بينهما. ومن ثم خلق الانسان من دماء الإله (كينغوKingo زوج تهامة بعد مقتل زوجها الإله'ايو')وهو الذي حرضها على الثورة. وقد مثل بعد مصرع زوجته عقاباً لها. وأعطي الحياة ليكدح على الأرض ويقدم للألهة طعامها ثم بنت الآلهة مدينة بابل(وتعني بيت الآلهة) تكريما للإله الأكبر مردوخ وخالق الكون[١]...

وقد أنجبت الألهة عدة أنواع من الالهات ثارت على أبويها: أبسو و تهامة.. وبعد مقتل تهامة واصل أبسو المعركة دفاعا عن نفسه، فولد انساناً بشعاً ذا أنياب كبيرة وسامة، عقاباً له على غرار الوحوش مثل: الصل، التنين،

---

(١) العبارات بين قوسين تفسير مدخل على النص من قبلنا.

الأسد، الكلب المسعور، الرجل العقرب، الذبابة الطنانة، وقد تتطحح لمردوخ ودارت بينهما المعركة.. وتقول هنا الأسطورة:

"وتقدما للقاءٍ تهامةُ ومردوخ، أحكما الآلهة
وتدانيا للقتالِ واقترباءوطوقها بها
وأطلقَ في وجهها ريحَ الأذى الذي كانت تتبعه
ولما فَغرت تهامة فاهَها لتفترسه
أطلق ريحَ الأذى لئلا تستطيع إطباقَ شفتيها
وملأت الرياحُ الهائجةُ بطنَها فانتفخ جسمُها وفتحت فاهها
وأطلق سهمًا مزّق بطنها وهتك أحشاءها وشق فؤادها
فصنع من شطرِ جسمها قبعةً السماء ومن الآخر الأرضَ
ووضع النجومَ ثم بدأ بخلق النباتات والحيوانات
وأخذ الترابَ ومزجه بدم الإله كينغو..
وصنع الإنسان على أن يكون خادما للآلهة.. "

وعند تمام الخلق احتفلت الآلهة بانتصار مردوخ وبنيت له مدينة بابل.. وخلعت عليه خمسون اسما من ألقاب التشريف العظيم". وعدد الألواح التي تحمل هذه الأسطورة سبعة وهي عقيدة البابليين(السبعية).. وسنرى هذه الألواح والرقم سبعة منسوخة تماما في التوراة ويمكن أن نجد تفسيرات عديدة بصيغ العصر من مذهب البابليين، منها الطموطمية (Totemism) والمبدأ الحيوي (Animism) والقوى الخارقة. وتعدد الآلهة (Polytheism) والمشبهة (Anthropomophism) إذ أنسن البابليون آلهتهم وأعطوها صفات بشرية روحية ومادية كالصورة والأعضاء والفكر والعواطف الانسانية.

وكان لكل زمن إله خاص يحميه وشفيع يتوسط له عند الآلهة. كما جعلوا أسماء الالهة تدخل في أسمائهم مثل:(إيلي-دوري "الهي خصني"إليما-أبي"الهي أبي" أسماء الملوك مثل:(فرام-سين "محبوب الاله القمر"، أدد-نراري"الاله أدد مساعدي"، بنور كدوري أوصر (نبوخذ نصر)"اله نبو يحمي الحدود".. الخ.).

ومن عادات البابليين وطقوسهم الدينية:أنهم كانوا يخشون الآلهة ويخافون منها. وهذا هو الملك نصر(الحدود) يتضرع الى "إلهي أبي قل: هكذا يقول-أدد خادمك: لماذا أهملتني هكذا يا الهي؟! فمن سيزوك غيري، ويحل محلي؟ أكتب الى الإله مردوخ الذي يحبك لكي يزيل عني عبوديتي(علتي)وعندئذ سأرى وجهك وأقبل قدميك.. وراع أيضا عائلتي، الكبار منها والصغار، وارحمني من أجلهم ودع عونك ومددك يصلني".

كما أن الموت لديهم قانون شامل للحياة، وقد قدرته الآلهة عندما خلقت البشر (ونلاحظ ذلك في ملحمة جلجامش الذي خاب أمله في السهوى والخلود

فواسته صاحبة الحانة المقدسة ونصحته بأن يكف عن طلب الخلود لأنه وقف على الآلهة وأن قدر البشر الموت).. لكنهم لم ينهوا الحياة بالموت دوماً، أو اعدامها كلياً، إذ أنهم لم يعتقدوا بالفناء المطلق بل بانقسام الكائن الحي الى قسمين:

١. الجسد عن الروح: تنفصل الروح وتنتقل الى طور جديد من الوجود أو الحياة

٢. قسم ينتقل الى عالم الأرواح (من القبر) الأسفل الى الأبد حيث لاقيامة ولارجعة. إلى أرض سفلى يحرسها مردة الشياطين -منهم "كيجال"(والأرض السفلى هذه تسمى :أرضه لاتاري-وبالسومرية تدعى:كو-رنوجي) وتسكنها آلهة شديدة هي: ايريش -كيجال العالم الأسفل(وسميت الملاتو-يعلة أرصيتم -سيدة الأرض).

أما الكون لديهم فهو دولة أو مملكة تحكم فيها الآلهة وتتدرج السلطة فيما بين الآلهة وفي مبدأ أو نظام الطاعة(طاعة القوانين والسير بموجب أنظمة المجتمع وهي عندهم رأس الفضائل.. وعليه تخيلوا أنه بفضل هذه الطاعة يظهر عهد ذهبي بين البشر تسود فيه الطمأنينة والاستقرار وبالتالي السلام. وتقول إحدى التراتيل البابلية في هذا الصدد:

"ستأتي أزمان لايبين فيها شخص شخصا آخر، والولد يبجل أباه.. وستأتي أيام يسود فيها الاحترام والطاعة في البلاد، كل هذا يكون حينما يمجد المتواضعون العظماء[1] .

ونفهم من هذا أوامر السلطة العليا المتمثلة بالآلهة، وهي بشرية، موجهة إلى المواطنين ، أو الى وجه من وجوه القانون والدستور في أيامنا هذه. وهذا مايوضحه النص الاخر التالي:

"الجنود بلا ملك كالخراف بلا راع، والعمال بلا رئيس كالمياه بلا جداول ولامراقب، والفلاحون بدون رئيس (سركال) كحقل بلا حارث(...) وأوامر القصر، مثل أمرآنو، لايمكن أن ترد. كلمة الملك هي الحق وكلمة الاله لايمكن تحديها"[2].



(١) Jacobsen "Before Phylosophy" ١٩٥١.Ch.VIII
(٢) نفس المصدر السابق.

وكان البابليون يحتفلون في آذار ونيسان بعيد رأس السنة ويستغرق هـــذا الاحتفال اثني عشر يوماً*، وفيه يمر موكب الآلهة من باب عشتـــار، ويرتـل المحتفلون فيه أيات ملحمة الخليقة البابلية، ويتلونها تلاوة غنائية.

وقد نظمت لتمجيد الاله مردوخ وتعظيم شأنـــه... ويسـمى هـذا العيـد بـ"أكيتو" وتقام هذه الطقوس في بيت "أكيتو" (كما أن هناك مـن يقيمـها فـي الخريف في معهد الوركاء أو "أور" وفيه يتعبدون للاله تموز الذي يمثل الربيع ويموت في الصيف ويحبس في العالم السفلي..فيطلبون منه الغفران.. ويسـمى بعيد الغفران..

ولا بأس في أن نفصل قليلاً في سرد طقوس البابليين، لضـرورة البحـث واستشفاف مدى السرقات التوراتية منها-كما سنرى-بالدراسة المقارنة..

من ١-٤ نيسان: التهيؤ للعيد وغسل المعابد، في ٥نيسان: يوم الكفارة عن الملك ويحزن الشعب على الاله المعذب المأسور في عـالم الأرواح، وتـهيج المدينة باحثة عن إلهها مردوخ(الذي يمثل الحياة والطبيعـة والخصـب)، فـي ٦نيسان" تتجه جملة من الالهة في قارب الى بابل ومن بينهم "نبو" إلـه مدينـة بورسبا وابن مردوخ، ليثأر ثم يستقر في بابل، في ٧نيسان: يتمكـن نبـو مـن تحرير مردوخ من جبل العالم السفلي، في ٨نيسا: بعد تحرير الاله يستريح الاله ويشرع في تقدير مصائر الكون والناس والعالم أو النظام الجديد، ثـم تجتمـع الآلهة وتمنح مردوخ السلطان..، في ٩نيسان: يسير موكب مهيب يمثل انتصار الآلهة إلى معبد رأس السنة (بيت أكيتو) ويدير الملك الموكـب مـع المجتمـع البشري بنفسه وعلى رأسه قوس العماء، في ١٠ نيسان: يحتفل مردوخ مع آلهة العالم العلوي والسفلي في وليمة في المعبد (أكيتو) ثم يرجع الى معـابد بـابل للدخول بعروسه في تلك الليلة منفرداً وينعم بـالنوم واللـذة معـها.. فتنطلـق القوس.. المبعوثة في الطبيعة والحياة. في ١١ نيسـان: يجـري تقديـر ثـان للمصائر والحياة للمدينة أو العالم الجديد. وفي ١٢ نيسـان: ينتـهي الاحتفـال وتعود الآلهة الى مواضعها وأعمالها.. ونشير هنا الى الرقم(١٢) لأهميتـة إذ يمثل شيئاً في التوراة التي أخذت عنه أو كذلك الى أن أسماء كثيرة تطلق على الأطفال تيمناً بمعاني هذه الأعياد مثل :ياسمين-سري-عام-الشعر(شيرو) وهو

---

* الخطوط الموضوعة تحت السطور هي أشارة منا الى اهميتها ووجودها فـي التـوراة كما هي في النص البابلي.

من الاسم الآكادي ايضا ومعناه النشيد والغناء-وشور (آرامـي)[1] . وتتكـون ملحمة الخلق البابلية من ١٠٠٠ بيت- كتبت جميعها على سـبعة ألـواح وقـد وجدت محفوظة في خزانة الملك الآشوري :آشور بانيبال في نينوى عام ٦٦٨- ٦٢٦ ق.م. وهي من الطين وتعود الى عصر حمورابي. وقد لاحظنا أن هـذه العقيدة مصبوغة بصبغة الآلهة وقد اشتهرت من بين هذه العقائد العقيدة السبعية المسماة برقم الخليقة السبعة... وتمجد سيد الآلهة مردوخ: (الذي أصبح اسـمه يهوة في التوراة).

*قصة الخلق أو الخليقة رقم ٧ البابلية:

وتتلخص هذه القصة بأنه لم يكن في البدء سوى العماء(Ohaos) المكون من البحر الأول أو المياه الأولى. والعماء يمثل المـادة المكونـة للموجـودات وتتألف من عنصرين: الماء العذب (العنصر المذكر) والماء الصالح(العنصـر المؤنث) وقد جسدها البابليون في إله أو في إلهين وهما: أبسووتيامه أو تهامة.. وهي تعد أصل الآلهة الأخرى وجميع الأشياء وولدت آلهة أخرى. وقد حدثـت حروب بين الآلهات القديمة والطالعة أو الجديدة التي قتل فيها الإله أبسو.. وفي حرب أخرى جرت بين تهامة زوجة العالم (السماء والأرض) وأطلقـوا علـى ذلك مصطلح (آن-كي السماء والأرض) وآن ذكر فيما أن كـي أنثـى. ومـن اتحادهما ولد:إنليل-اله الهواء-ثم فصل إنليل وأخذ أمه الأرض وهيـأ لخلـق الانسان والحيوان والنبات وأسس المدينة. أما الأجرام والإله الشمـس(أوتـو- شمش) هي أولاد سين الاله (القمر).

ويشير المعتقد البابلي إلى أن المادة قد سبقت وجود الاله. وقـدد وجـدت المادة منذ الأزل ولكنها كانت ذات صفة ميتة لأنها مادة فولدت مـن الخليقـة البابلية صبغة تعدد الآلهة(أو الشرك) وهي أبرز ميزاتها... وأن إلهها يمـوت ويعود في الربيع وأن مساكنها البيوت والمعابد ولها معشوقات وبنـات وأولاد وزوجات ومنها ما يتصف بالخلود أما الانسان فهو المخلـوق الميـت علـى الأرض أي أن الالهة مخلوق سماوي والانسان مخلوق أرضي. ولذلـك كـان عليهم الحصول على رضاء الآلهة، والتملق لها، وهو مايتوق إليه البابلي، وأن غضبها مدمر ويجلب الويلات، ونذكر هنا أن في تدويـن الأسـاطير البابليـة

---

(١) والشعر لدى البابليين ومن سبقهم مكون من مصراعين (الصدر والعجز) ويتشابهان في المبنى والمعنى والتأليف ويتكون كل منهما من مقطعين أو ثلاثـة مقـاطع طويلـة ولايقاس بالتفعيلات بل بالمقاطع الطويلة أو القصيرة.

والكنعانية والسومرية والأكادية تكراراً وإعادات كثيرة، وفي الحديث عن البعث والنشور والانبعاث في حياة أخرى بعد الموت. فقد وصفت العالم الآخر على أنه عالم الظلام والرهبة وهو المكان الذي إذا ما آل اليه الانسان فإنه لايخرج منه أبداً، وأسماه السومريون بالعالم السفلي الذي يحكم من قبل الاله "نرجال" وينعتونه أحياناً بعالم أو مدينة الأموات. كما أسماه البابليون"أرالوا" والناس فيه متساوون(وهذا تفسير من جلجامش) وورد في القصيدة التي تصف نزول عشتار الى هذا العالم في بداية الربيع من كل عام لتخرج زوجها تموز الاله الخضرة وقيل أنه موضع مخيف مسور بسبعة أسوار ضخمة يحرس كلاً منها مارد من مردة الشياطين وتتولاه الالهة "ايرشكيكال" آلهة الظلام والدجى والموت وليس فيها مايعد الانسان بآمال دينية لذيذة بعد الموت أي لاتوجد لديهم جنة ونار أو نعيم وجحيم.. وكان أقرب مثال واقعي لديهم هو النوم.. واعتقد البابليون كما السومريون بأن الميت تمثل في شبح أسموه"أدمو" ينزل مع الميت الى العالم السفلي ويبقى معه هناك في حال دفن الميت وفق المراسم والطرائق الدينية المقرة أو المرسومة. وإذا لم تتوفر هذه الشروط انقلب الشبح روحاً خبيثاً يخرج من عالم الأموات في الأرض السفلى أو يكون ديدنه إلحاق الأذى بالأحياء ولاسيما بأقارب الميت ولذلك عني الناس بدفن الميت بموجب القواعد الدينية منعاً لخروج "أدمو" من عالم الأرواح.

وقال السومريون بالجنة أيضا، وأخذتها عنهم الشعوب القديمة، وقد وجد نقش سومري بعنوان" قصة آدم وحواء وإغواء الحية لهما"، فأفادت بأن حواء أغرت آدم بتناول ثمرة من شجرة معرفة الخير والشر، وتشير الى عدم الأكل منها لأنها تمثل الشر، وقد رسم على النقش رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين، وامرأة حاسرة وقد نبتت بينهما شجرة تشبه النخل تتدلى منها عذوقان من الثمر، من طرفيهما، ويده اليمنى نحو العذق الذي أمامه ليقطف من ثمره[1]. ومدت المرأة يدها اليسرى نحو العذق والحية خلفها منتصبة على ذنبها تغريها في الاكل من هذا الثمر المحرم (وشجرة معرفة الخير هي شجرة النخيل بالنسبة للسومريين) وموضع هذه الجنة حسب القصة السومرية في "دلمون"(البحرين اليوم) أو في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس ويقول السومريون فيها:أن دلمون كانت جزيرة مقدسة وفيها آلهة يعبدها أهل الطرق، وأرض الخلود التي

---

(١) كرايمر: الأساطير السومرية ص:٢٣٩ – ٢٤٠ . ولاحظ تشابهها مع نشيد الانشاد سابق الذكر، وكذلك السطور التي تحتها خط إذ نقلها كتبة التوراة حرفياً كما سنرى فيما بعد.

لاتوجد فيها مرض أو موت أو حزن ولاينعب فيها غراب ولاترفع فيها الطيور أصواتها، بعضها فوق بعض، ولاتفترس أسودها الحيوانات، ولايأكل ذئب فيها حملاً، إلا أنه كان ينقصها الماء العذب اللازم للحياة، الانسان والحيوان والنبات، فأمر اله الماء السومرية العظيم"أنكي" الاله"أوتو" (إله الشمس) أن يملأها بالمياه العذبة النابعة من الأرض. وهكذا تحولت دلمون الى حديقة إلهية غناء مملوءة بالأثمار والمروج والرياض[1].وتجدر الأشارة هنا الى أن المكتشفات الأثرية بينت أن العموريين قد عينوا دلمون الجنة على ضفاف الفرات جوار عانة " وهيت" حوالي ٤٠٠٠ ق.م. وبهذا يكون هذا التاريخ سابقاً على السومريين بألف عام. وحدد العموريون هذه الجنة عند رأس دلتا نهر الفرات حيث تبدأ تفرعات النهر الأربعة" فيشون، جيحون، حداقل مجرى الصقلاوية، والرابع أي المجرى القديم المعروف بنهر"كوثا"[2].

*أما قصة هابيل وقابيل فهي موجودة في ملاحم السومريين.. وتمثل النزاع بين الفلاح والراعي، وتعود إلى زمن موغل في القدم وتتألف من ٣٠٠ سطر وتدعى هذه القصة بالسومرية(ايميش وأينتين).. ومفادها أن اله الهواء اينيل أراد أن تنمو الاشجار والحبوب وأن تحل الوفرة في البلاد فخلق مخلوقين :ايميش -وأنتين/ ليعنيا بشؤون الزراعة وتربية الحيوان. ونشب بينهما نزاع، فاحتكما الى انليل، فاختار اينتين وجعله فلاح الآلهة، ولأن بعض الألواح مكسورة فقد فهم منها أن ايميش قتل اينتين. وفي رواية ثانية (سومرية) بعنوان الراعي والفلاح(وهذا رمز الى البدو والحضر) وبطلها "لهار" اله الماشية، واخته إنشان آلهة الحبوب. نزلا من السماء وخصهما الالهان انليل وانكي بالرعي وعينا الخضار لانشان وبنيا لها بيتاً وقدما لها المحراث والنير.

ثم نشب خلاف بين الأخ الراعي والأخت الفلاحة، ثم ظهر خلاف بين البدو والحضر-أحل المدر وأهل الوبر- (أي بناة الطين وبناة الشعر) وذلك عندما شربا الخمر وثملا فبدءا بالشجار.. وأخذ كل واحد منهما يقزم الآخر ويمدح نفسه، فاضطر انليل وانكي الى التدخل. والى هنا ومابعده مفقود من الألواح.

ورواية ثالثة سوومرية اسمها"أنانا" تفضل الفلاح ، وأبطالها أربعة: أنانا وأخوها أتو -إله الشمس وانكيمو وتموز أو دموزي) ودموزي إذ كان أخوها يحثها على الزواج من تموز وهي تفضل أنكيمو، ويأتي تموز لمعرفة السبب إلا

---

(١) راجع المرجع السابق.
(٢) راجع أحمد سوسة "تاريخ العرب واليهود".

أنها لم تبد جوابا وراح انكيمو يسعى لمرضاة منافسه الراعي تموز الذي أبـى الانثناء حتى يعده انكيمو بتقديم الهدايا لإرضائه. وفي النهاية يتغلب تموز على أنكيمو.. (راجع كريمر -الأساطير ص: ٤٩ - ٥٣ /ج١١).

* قصة الطوفان:

وتقول الأساطير السومرية والبابلية أن طوفانـا هـائلا وقـع فـي وادي الرافدين في أحد مواسم الفيضان الخانقة المعتادة، وقد اندفع الطوفـان فغمـر منطقة دلتا الرافدين كلها وقضى على معالم المدينة والعمران فيها ولم ينج أحد سوى زعيم ديني وأفراد أسرته والحيوانات التي حملها معه فـي الفلـك التـي أوحى بها الاله إليه من قبل. وتشير هذه القصة الى فساد البشر وعدم طاعتـهم لارادة الخالق وآثام الانسان وخطاياه. وقد حدد الآثاريون هذا الطوفـان عـام ٣٠٠٠ ق.م. تحديداً عرفياً كحد فاصل بين أحداث ماقبل الانتقال من العصـور الحجرية الى مدينة العصور التاريخية ببداية فجر السلالات السومرية . وحددوا موقعه بين سيبار -وتقوم بقاياها في تل"أبو حبة" جنوب غـرب المحموديـة ٢٠ ميلاً من بغداد في الشمال وأور في الجنوب موطن الأكاديين والسومريين. وأن مواد الفلك هي من نفس مواد العسبية في هيث وتطلي بالقـار. وهـي شبيهـة بقصة نوح الذي لم ينج من سفينته سوى الأتقياء والأخلاقيين وقد رمـى مـن السفينة كل أمرأة زانية أو زان.. وبهذا تتناقض قصتا الطوفان البابلية وقصـة نوح عن التوراة تمام التناقض(من حيث المبدأ الأخلاقي والهدف الفاضل)..

*والملاحظة الأخرى في الأساطير البابلية أن آلهة البابليين تحـب الأكـل والشرب والموسيقى والرقص وأن الأنسان خلق من أجل خدمة الآلهـة، كمـا لاحظنا فيما سبق، وتقوم بتقديم المأكل والمشرب لها والمتعة ومن الأسماء التي تقول بذلك" دلو Dullu" ذل. كما كانوا يتعطرون ويتزينون ويخرجون الى خارج المدينة على مركباتهم.. ويقوم الانسان بتقديم اللحوم المشوية من غزال وسمك وغنم وعجل وأفخر المأكولات- لمقام الآلهة- والخبز والكعك، ويقـوم بذبـح الحيوانات وتزويد الآلهة بالقرابين لكي تظل في مزاج حسـن فيتجنـب آثـار غضبها أو لتهدئة كبد الآلهة.. وتفضل الآلهة الزبد والسمن والعسل والحلويات التي لها أثر مرغوب في تهدئة الالهة كما كانت لديهم مقولة"البـدل" أي جعـل الحيوان بديلاً للإنسان المريض، لأن كل مرض هـو غضـب مـن الآلهـة، واعتبرت هذه العادة رمزا لتموز. أما إذا كان المغضوب عليـه ملكـا فيؤتـى بانسان بديلاً عنه. اما الذبح: فكانوا يأتون بالذبيحة فيمرغون رأسها بباب الحرم أو جداره أشارة لامتصاص كل خبيثة ونقلها الى الشاة المذبوحة ثم تلقى الشـاة في النهر لتحملها المياه وترمي الخبائث بعيداً. ومن آلهة البابليين أيضاً: لحمو- كامو-وولد لهما ولد هو عنشار أو كيشار، وأرنو وكان له ولد على صورتـه

خو: نود مود-إيا، وكان هؤلاء الأولاد معاندين صاخبين، أزعجوا أبويهم(أبسو وتيامه"تهامة أو تيامات") فعزموا على القضاء علـــى أبويــهم طبقــاً لنصيحـــة ممو(وزير أبسو) لكن إيا يرتاب ويحبط مؤامراتهم بقوته السحرية الخارقة. لكنه يقتل أبسو ويصفد يدي ممو بالأغلال ويغادره. ويجعل من حجرة أبسو العميقـــة مقدسة وفيها يولد ابنه مردوك العظيم، فتضطرم تيامة غضباً من أبنائها فتـــهجم على آنو ومن يحيط به من صغار الآلهة ثم تمنح زوجها الثاني كينغـــو قـــوى سحرية وتعهد إليه بألواح القدر وتخلق جيشاً من كائنات مهولة لها هيئة التنانين والأفاعي مجهزة بمخالب مسمومة وتسند إلى كنغو أمر قيادتها. وتمسح الآلهـــة الخير فيهب بهم الرعب، وتخفق إيا وآنو في السيطرة على هذا الجيش، فيقترح عنشار تعيين مردوخ(أو مردوك) مقاتلاً عن الآلهة ومنازلة تيامة وقد اشـــترط مردوخ أن يكون أول الآلهة وأن له الكلمة الأولى فـــي مراســـيم آنـــو فيقبـــل المجمع[1] بشرط ويمنحه شرط الملكية وشارات الملك، وتسلح مردوخ بســـلاح لايباري بقوس وسهم ومدقة الشوك وبالعاصفة.. وملأ جسمه لهيباً وضفر شبكة يقنص بها تيامة وأمر الرياح السبعة سد منافذ اللهب وأهاج الرياح الســـبعة أن تتبعه ثم امتطى مركبة العاصفة.

وأقام مردوخ الملك، وأنشأ النظام الجديد، ورتب التقويم وأطوار القمر(أي الزمان أو التاريخ)، وقصدت هذه الأسطورة الى تحرير الآلهة من القيام بالمهام الحقيرة، وفي هذا الصدد يقول مردوخ في خطابه أمام مجمع الآلهـــة." إنســـاناً سوف أخلق، يقوم بخدمة الآلهة حتى ينعموا بالراحة". وهنا الاشارة الى البديل، موت وحياة جديدة، أو الوجود.. وكان البدل كنغو الآثم وقد حكم عليه المجمـــع بتهمه العصيان بتحريض من تيامة فقتل وخلق الإنسان من دمه بقوة الاله" إيـــا" ثم وزع السماء والأرض الى فريقين " فريق تحت إمرة آنو مع ٣٠٠ حـــارس للسماء و٣٠٠ حارس للأرض، ولما فرغ من بناء المعبد أقام الأنوناكي (كبـــير الآلهة) مأدبة فخمة لمردوخ وأعلن آنو أسماء الخمسين أمام مجمع الآلهة. وكان ذلك منتصف الألف الثانية قبل الميلاد[2] وسنرى التطابق الكبير لهذه الروايـــة في التوراة.

*جلجامش:

---

(١) نلاحظ هنا مصطلح المجمع البابلي وهو ذو أهمية قصوى لـــدى التـــوراة والريـــاح السبعة أيضا وكذلك النظام الجديد...

(٢) ســـبايزر: Near Eastern Texts Relating To The Old Testament (ED.J.B.Pritcherd Princiton University Press ١٩٢٠) شيكاغو.

وهي أن ملكاً حكم إيريل (الوركاء)-من ملوك سومر من الأسرة الثانية بعد الطوفان خليفة لتموز صائد الأسماك-ثلثاه إله وثلث إنسان. شكاه أهل الوركاء للألهة لغطرسته وطغيانه فاستجاب الاله لشكواهم. وأوعز الى الآلهة فخلقت أنكيدو (إنسان متوحش) يضاهيه.. ويقتات بالحشائش مع الوحوش. سمع به جلجامش فطلب من إحدى بغايا المعبد أن توقعه في شباكها وهو الذي لم يذق طعم المرأة ولم يعرف لذتها. فانطلقت العاهرة الى الغابة وجلست قرب منهل ماء تنتظره، وهي تبدي مفاتنها(وكل ما أبدع الله).. وجاء أنكيدو بصحبه الوحوش ليشرب .. ففتن بهذه البغي ووقع في حضنها، ونال كل ما اشتهى وقطف كل لذة وبقي معها سبعة أيام، ولما أراد الرجوع بصحبة الحيوانات هربت الحيوانات منه، مبينة له أنه قد تغير قائلة:"إنك ياحكيم يا أنكيدو قد أصبحت مثل إله.. ولم تعد صديقا للغزلان.. وهنا أخذت العاهرة تحكي له عن قوة جلجامش وحثته على منازلته[1]، وفي الرقيم الثاني يدخل أنكيدو الى الوركاء ويتصالح ويتصادق مع جلجامش. وفي الرقيم الثالث تبدأ أول مغامرة للصديقين: اقتحام غابة الأرز ومهاجمة حارسها الرهيب الذي ينفث ناراً (الهولة حواوا-وفي الرواية الآشورية أسمه: همبابا).. وقد قتل حواوا بعون ومؤازرة الاله شمش والالهة ننسون أم جلجامش. وفي الرقم من ٦-٧ تؤدي الحوادث الى وفاة أنكيدو. وتدعو عشتار جلجامش عشيقاً لها-فيزدريها ويذكرها بمصير كل عاشقيها. فتغضب وتطلب من أنو خلق ثور السماء فتعم الفوضى الأرض. ويصارع جلجامش... فتطلب الألهة التي لم تهزأ بالظلم من أنليل القضاء عليه. إذن يموت أنكيدو ويرثيه جلجامش.. ثم يحدث الطوفان ويكون الناجي الوحيد منه"أثنا بشتيم(وتعني وجدت حياتي) وهو هبة الخلود. ويقوم جلجامش بالبحث عنها ليكشف سر الخلود في الجبل. فيجد رجل العقرب زوجته.. وبعد مسير "١٢" فرسخا من الظلمة الى فردوس أرضي ويتحدث مع"سيدوري" بائعة الخمور وهي تشبه عشتار. فتنصحه بعدم اجتياز مياه الموت"لأن الآلهة خلقت الانسان وخلقت له الموت، واحتفظت بالحياة لنفسها. فرفض وشاور أورشنابي -ملاح اثنا بشتيم.. فأدخله الغابة وقام بقطع ١٢٠ (مئة وعشرين عامودا..) وصنع منها قاربا ليقطع مياه الموت.. وبعد شهر ونصف يطلب منه أوشنابي سوق القارب.. ورمي الأعمدة واحدا بعد الاخر دون أن تلمس يداه المياه حتى وصل الى مصب الأنهار حيث يقيم اثنا بشتيم وزوجته..(وفي الأسطورة

---

(١) هنا نهاية الرقيم الأول من الأواح، وسنلاحظ سرقتها كاملة في حوادث التوراة في (رحاب وراحيل واستير).

الأشورية أن "إيا" فشى بالسر عن طريق نشر كلام الآلهة على كوخ القضيب ليصل الى مسامع أتنا بشتيم، فصنع فلكاً له هيئة وأبعاد غريبة على شكل مكعب قائم الأضلاع له ستة أوجه ومقسم من أسفله الى تسعة أقسام تشبه القفة وأخذ معه أهله وحيواناته ووحوشه ورست السفينة الى جبل نيصير) وبعد انتظار سبعة (٧) أيام أطلق اتنا بشتيم-بالتتالي حمامة وخطافاً وغراباً.. ولما لم يعد الغراب فتح باب الفلك وأطلق كل ما يحمله ثم نحو ذبيحة قرباناً للآلهة. وماكادت الآلهة تشتم رائحة الذبائح والشواء حتى تجمعت حولها كالذئاب.. ونلاحظ هنا سرقات التوراة: المكعب قائم الأضلاع الرقم (٧)، الغراب، والشواء الذي تحبه الآلهة... الخ).

*ومن القصص البابلية الست(الخلق-جلجامش أو الطوفان-وأدبا-والنسر-ونزول عشتار إلى الجحيم) نأتي على ذكر أسطورة آدابا(وقد وجدت في تل العمارنة بمصر): وفيها أن الإله "إيا" خلق آدابا(ربما هي آدم) وهو مملوك ملحد(وفي السومرية أسمه أريدو) وكان يصطاد السمك في خليج البصرة فهبت عليه رياح جنوبية وقلب القارب لكسر جناحاً فتوقف عن الهبوب سبعة أيام. وقد علمه أبوه أن يتأدب بحضرة الآلهة وأن يدهن نفسه بالزيت الذي تقدم له ماء الحياة فرفضها طبقاً لما علمه أبوه(إيا). فغضب منه آنو. ومنذئذ صار المرض والموت من نصيب الانسان... وبقيت مسألة :لماذا يموت الانسان قائمة. ونلاحظ هنا سرقة المسح بالزيت، وماء الحياة، والمرض والرقم ٧ كلها مأخوذة من هذه الأساطير حرفياً.

*أما أسطورة أينانا: فهي أسطورة عن المُلكية . وتوضح أن الملكية من السماء، من الرب هو الذي يمنحها وهو الذي ينزعها. إذ نصب الاله اينانا أول ملك على تلك البلاد. ولم يكن له ولد يرثه، فحمله النسر الى سماء آنو فحصل على الولد وهكذا صار الابن وريثاً لأبيه وملكاً يورث الملك عنه والبلاد والعباد.. ومن الأساطير الأخرى ، زو-الاله الطير أو النسر، وهي الملكية في السماء.. وامتلاك ألواح القدر.. يسرق زو-النسر شارات الملك فتذعر آلهة السماء.. فيأمر آنو (وهو حدد لدى الآشوريين) بالتصدي للطير.. فيخاف الجندي الأول والثاني أما الثالث فيحالفه الحظ ويأتي بالطير الى المحكمة ويسترد منه الألواح[1].

ومنها أساطير العالم السفلي: الدودة والسن: وتقول الأسطورة: أنه بعد خلق آنو السماء، خلقت هذه الأخيرة الأرض، وخلقت الأرض الأفقية، ثم

---

(١) هذه القصة لها مثيل متكرر في التوراة.

خلقت الأرض المستنقع وخلق المستنقع الدودة. فذهبت الدودة الى الشمس تبكي ... انهمرت دموعها أمام إيا وقالت: ما الذي تعطينه اياه طعاماً. ما الذي تعطينه كي أمتصه؟- سوف أعطيك التين النضج (المشمس)- ما الذي يفيدني التين النضج، إرفعني الى الأعلى واجعلني بين الأسنان واللثة أقيم، فأمتص دم السن وأقرض اللثة من جذورها.

*ونرى من الأساطير أن المرأة كانت لدى السومريين وكذلك لدى العيلاميين(٣٠٠ق.م) رأس العائلة أي أن مجتمعهم كان أنثويا كما كانت المرأة حرة تتزوج رجلين أو أكثر في ان معاً. والمرأة والبنات تمثلن الخصب وقد وجد في شطل هيبوك في الأناضول تماثيل نساء خادمات للآلهة وتجسيدا لهن كقوة خارقة منذ ٨٠٠٠ ق.م. وقد بقيت هذه الأسطورة طقسا دينيا مقدسا لدى اليهود حتى الآن.

*أما الحية:

فتعني حماية الحياة.... فقبل أن يصل الانسان الى الشجرة تصرعه الحية. وقد مر ذكرها معنا.

*وكان البغاء(الزني) مقدسا إذ أنه مشروع للآلهة ميلتا وهو نوع من الرعاية، من قبل الآلهة للعاهرة وبيوت البغاء- كانت تسمى زهرة ميلتا لدى الآشوريين وهي اسم من أسماء عشتار- أو اشتار أو أستير.. ويرمز الى ذلك بالخصب، ويتمثل بالشجرة الخضراء (وهي كذلك لدى الكنعانيين وتسمى أيضا عشتار وعشيرة وترمز الى الخصب) ويبقى من التاريخ البابلي عهد حمورابي (أبي الشريعة) وهذا يختص بالنظام السياسي والاجتماعي للبابليين ولأن هذا الجزء من التاريخ يقترب من شكل الدولة فقد أرجأنا البحث فيه الى حيث نصل الى المقارنة مابين الأساطير والاداب والنظم العربية القديمة مع النصوص التوراتية وهو موجود في باب الشريعة-شرائع حمورابي وشريعة التوراة في هذا الكتاب.

*ومن ديانة الكنعانيين أيضا:

أعتقد الكنعانيون نفس معتقدات البابليين أو أنها شبيهة تماماً بها وهي لمجاورتهم لبلاد الرافدين ولتشابههم باللغة وتقول الأسطورة الكنعانية: أنه لم يكن في البدء سوى ريح عاصفة فوقعت الريح في "حب" معتقدها الخاص، والمزجت به فنشأ عنهما ماء ما لبثت أن اتخذت شكل البيضة، ثم كانت "الرغبة" وهي مبدأ خلق جميع الأشياء، ولم تدر الريح مافعلت فنتج عن تمازجها هذا الاله" موت" مكان كتلة من طين أو جملة عناصر مائية متخمرة، وكانت بذرة الخلق على شكل بيضة، وانشقت البيضة فظهرت السماء والأرض وبتأثير حرارة الشمس انفصلت الأشياء وتطايرت لتلتقي في الهواء وتتصادم

فتشأ البرق والرعد، وقد أفاقت على أصواته الحيوانات مذعورة وراحت تجول على سطح الأرض وتحت الماء ذكوراً وإناثاً. ونلاحظ بدائيـــة الأفكـــار لـــدى السومريين وهي لدى البابليين أرقى ثم هي أكثر رقياً لـــدى الكنعـــانيين وكـــذا الفينيقيين الذين احتفظوا أيضاً بنفس أسماء الأسطورة الكنعانية فيمـــا اتخـــذت أسماء أو ألفاظا أخرى لدى البابليين والسومريين إلا أن دلالاتها واحـــدة، وقـــد كانت هذه الأساطير قائمة في زمن الهجرات الأولى قبل ٣٥٠٠ سنة ق.م الـــى بلاد الرافدين والى الساحل اللبناني(وقد عرف هؤلاء بالفينيقيين) وإلى الأراضي المنخفضة (وعرفوا بالكنعانيين والأرض الكانعة تعني المنخفضة)، وأكبر آلهـــة كنعان مقاما هو "ايل" أو الاله العلي العظيم "Supromo God" وهـــو يبعـــث بمياه الأنهر لتجري في الأرض وتحيي مواتها، وكذلك المطر الـــذي يســـخره فتسيل الوديان عسلاً، ويعطي الإذن بإنشاء المعابد للآلهة الأخرى ويجمع كنعان أرض الاله ايل سيد الآلهة ومافيها (The Protction Of The Lord God) ويقع موقعه في مغرب الشمس عند مصب الأنهر في البحر وسمي مقامه بحقول ايل وهذه هي بداية التوحيد في الديانات القديمـــة. وهنـــا ارتقـــاء بالأســـطورة الآلهية(السومرية والبابلية والكلدانية والأشورية) المتعددة الى جمعها أو وحدتها باله واحد أحد لاشريك له هو "ايل" وقيل نطق الملك الكنعاني ملكي صادق(ملك أورشليم) باسم الله(العلي ايل) وأسماه العرب الله فيما بعد والله العلي هو مـــالك السموات والأرض ويتجلى واضحاً في الأداب والطقوس والديانة الكنعانية بـــل وفي العقل الكنعاني ومن آلهة كنعان"بلعام" ومن الاشارات الواضحة في العقلية الكنعانية هي أن أخلاق الكنعانيين لم تكن مهيأة للغـــزو ولا للقتـــل. ذلـــك لأن ديانتهم التوحيدية الايليوية وملامحهم الأخلاقية كما آدابهم تدور كلها حول أبوة الوالد المعظم (ايل) ومن صفاته الخالق الجبار-السيد بعل، وفي الآداب الفينيقية اسمه"ايلوس" وهو اشتقاق لغوي-كما مر معنا-وهو أبو السنين-أي الخالد فـــي الزمن- أو أنه غير محصور بزمان وقد أطلعتنـــا مكتشفـــات أوغـــاريت(فـــي محافظة اللاذقية السورية) على ملحمة بعل وعناة وعلى تفاصيل هذه الديانة فقد كانت للاله ايل حسب اعتقادهم زوجة هي عاشيرة -عشتار-وهي الآلهـــة الأم وآلهة البحر ومن أولادها بعل إله الخصب والأفكار، وعاناة أخت بعل، والالـــه مولك أو ملكوم وهو اله بني عمون، وتقابل عشتاروت الفينيقية عشتار البابلية. ومن أؤلادها أدونيس وهذا يموت في الصيف ويعود في الربيع بعـــد المطـــر. وكذلك الاله يم-اله البحر- وموت، وقد قتل الاله موت بعلا فتقوم عاناة بحمل جثمان بعل وتدفنه في موكب تشييع هائل يليق به وبعد عودته تفيض الأنـــــهار وقد صار مذاقها عسلاً وهي تتطابق وقصة تنازع مردوخ البابلي مـــع تيامـــة. ومن آلهتهم المشتركة مع الأراميين"حداد" اله الزوابع والعواصف وكان معبـــده

(حيث يعبد) في كركميش(جرابلس) وسمال(زنجرلي بتركيا) وفي حلب ودمشق وقد أضيف اسمه الى ثلاثة من ملوك دمشق وكما أن ايل كان الـــه الآراميين أيضاً فكان من آلهة الكنعانيين داجان. وبعل هو نفسه إلـــه التدمريين. ومن المكتشفات الأوغاريتية هذه القصة(بعل وعناة) اله المطــــر وحبيبته وتلقب بالعذراء وحورية الحب والجنس والخصب والحياة والحرب والدمار والكوارث ويسرها ذبح الرجل وهذه القصة هي ترتيلة تمثل انتقام عناة من خصم زوجها (موت):

" تقترب منه عناة العذراء
وكما يهفو قلبُ البقرة الى عجلها
كذلك يهفو قلبُ عناةِ الى بعل
وتمسكُ بموتِ ابن ايل
وبالسيف تشقه وبالمذراةِ تذروه
وبالنار تحرقه.. وبالرحى تطحنه
وفي الحقل تبذره
فيأكل قِطَعَهَ الطيورُ
وتفني العصافير أجزاءه جزءاً جزءاً.. "

وزوجة إيل هي عشيرة-وتسمى باسم ايل مؤنثاً "ايلات" وباسمها اســـميت المدينة الواقعة على البحر الأحمر-حيث كانت امتداد امبراطورية الفينيقيين.. ومن آلهتهم أيضاً شبش إله العمل وأبوه بعل وتحول الـــى إلـــه بحـري عند الفلسطينيين. (وقد صورته الرواية التوراتية على شكل اله لـــه ذيـل سـمكة)، وبارات، اله مدينة بيروت الفينيقية، والتي سميت باسمه.. وتقـــول الأســـاطير الفينيقية أن عشتروت قد حملها الفينيقيون عبر مضيق-جبل طـــارق واعطـــت اسمها لجزيرة بيروتانيا. وأدونيس (إله المطر) ومعناه السيد(يقابله تمـوز فـــي بابل) وهناك اسم آخر لبعل الكنعاني.. وقد كان يعتقـــد أنـــه لـــم يمـــت الا أن مكتشفات أوغاريت اثبتت أنه مات.. وقد قتله خنزير بري في غابات لبنـــان.. وكانت حبيبته في هذه المأساة عشتارت التي بحثت عنه حتى وجدته ونهض من بين الأموات الى عالم الحياة. ويرافق رجوع الاله الى عالم الحيـــاة احتفـــالات عظيمة يتمثلها رقص وشراب ومأكل كما تتخللها ممارسات جنسية، تخليداً للقاء عشتارت وأدونيس والايحاءات للتربة بالخصب والنمـــاء.. فيـــتزوج العشـــاق ويلتقي الحبيب بحبيبته في ذلك اللقاء الممرع بالخصب.. كمـــا والحـــال عنـــد البابليين، وقد نقلت هذه الطقوس والأسماء (أسماء الأعـــلام والأمـــاكن) فـــي التوراة كما سنرى.

٤- الديانة المصرية القديمة -الفرعونية:

امتدت مملكة الفراعنة المصريين منذ ٣١٠٠ ق.م وقد تعددت لديهم الآلهة كما هي لدى أشقائهم المشارقة، إلا أن عددها وصل الى ٢٠٠٠ اله وكان مركزها عين شمس (هيليوبوليس) وعبد الفراعنة الشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء والماء الخ.. ويجتمعون الى أصل مجمع الأرباب المنتسب الى الإله "أوزريريس" وكل مجمع من هؤلاء يتكون من تسعة أرباب. وقدست جميعها الثالثوث:أوزريريس(الأب) ايزيس(الأم) حورس(الإبن) وهؤلاء جيمعاً أصلهم واحد.. ثم انتقلت العقيدة الفرعونية من تقديس هذا الثالثوث الالهي الى تقديس التاسوع الإلهي(٩) وترمز الي قوى الطبيعة المؤثرة في تحولات الأشياء (الماء-الهواء-التراب-الريح-الشمس-القمر-النار-الرطوبة-الحرارة)[1] ...

ويعتبر أوزيريس إله القيامة والآمر بالخلود ورب الموتى، وديانتهم وأصلهم، أما ايزيس أم حورس -فهي أخت أوزيريس وزوجته وتلقب بسيدة السحر، ولها رأس امرأة وهي آلهة الشمس بعد غروبها. وحورس Horis هو الاله العظيم - ويرمز إليه بالصقر الذهبي وتتكون روحه بثلاث شعب: ١-الروح الدنيا: وتجلت في فرعون الزمان ثم تنتقل الى من يليه.٢- الروح العليا: وهي الحاكمة في السموات والأرض.٣- الروح التي تبقى في الجسد-جسد فرعون) الميت وتقدم النصح لفرعون الحي ولاتبقى هذه الروح الا إذا بقي الجسد متماسكاً. ومن آلهتهم وطقوسهم أيضا: سب Seb ابن شو- وهو الرئيس الوراثي للألهة الأربعة ووالدها (وهم: أوزيريس-ايزيس-ست-نفتيس) كان اله الأرض وكان له رأس انسان ثم صار آمر الآلهة الموتى وهو صانع البيضة البدئية التي انبثق عنها العالم.

ونوت Nut زوجة سب- وأم أوزيريس- آلهة الليل. وتمثل مبدأ التانيث في قصة الخلق وتعد أم الألهة والأشياء الحية-وهي على شكل أنثى تسافر الشمس على جسدها-وأحيانا تمثل على شكل بقرة لها رأس امرأة-ولها شجرة مقدسة: الجميز..

تمو Timo: اله الغروب، صانع الآلهة والبشر وقد اغتصب مكانه رع من الآلهة . وهو على شكل رجل وعلى رأسه تاج الشمال والجنوب.

---

(١) ونذكر ايضا بأهمية الجمل الموضوع تحتها خطوط للاشارة الى وجودها في التوراة.

شو Sho: أول مولود لتمو-رمز النور نهض من الأرض حاملا قـــرص الشمس على كتفيه[1] ويمسكها كل يوم(ظهره للشمس وله رأس إنسان).
تفنوت Tifnut: هي أخت توأم لشو -قوة طبيعية-الرطوبة وربة المونـــى، تزودهم بالشراب وتشكل العين اليسرى لتمو وأخوها شو العين اليمنى، وتبـــدو بمظهر القمر ولها رأس أسد، ويمثل هذا الثالوث الآخر: تمو-شو-تفنوت-بـــدء الخلق. يقول تمو:"وهكذا غدوت ثلاثة بعدماكنت إلها واحداً".
ستSet: ابن سب ونوت نفتيس -يمثل الليل- الشر.
وحورس يمثل النهار: الخير. وقد تحاربا فانتصر حـــورس علـــى ســت مرتين. ويعد هذا الانتصار رمزاً لانتصار النهار على الليل، في المرة الأولى، وانتصار الحياة على الموت والخيرعلى الشر في الثانية [2]. ويرمز اليه برأس حيوان يشبه الجمل.
نفتيسNiftis: أخت ايزيس ورفيقتها وتمثل الشفـــق وأم أنـــو بيـــس مـــن ايزيس..
وتحوت:Thote: كاتب الألهة . ونوه No: والد الآلهة- والحبر الأعلـــى لمجمع الأرباب العظيم ويمثل الكتلة المائية البدئية التي خرج منها الخلق.
بتاح Bitah: فاتح النهار وعند الموتى فاتح الأفواه وهو ذو شـــأن عظيـــم وقصته وتعاليمه منسوخة في التوراة. خنمو:Khinmo: صانع الكائنات -ومـــا سوف يكون وجموع المخلوقات ووالد الآباء وأم الأ مهات وصانع الانسان على شكل دولاب الخزاف- حسب الأسطورة الفرعونية-ومئات الآلهة غيرهم ومنهم أخناتون.. ومايهمنا من ذلك هنا هو الاله في مصر واحد، فرد، كامل، شـــامل، بصير، لايدرك بالحس، قائم بنفسه حياء له الملـــك فـــي الســـموات والأرض، لايحتويه شيء، أب الآباء، وأم الأمهات، لايفنى ولايغيب، يملأ الدنيـــا، ليـــس كمثله شيء ويوجد في كل مكان.. ومن تراتيل المصريين الى رع إلهـــهم(مـــن كتاب الموتى) "إليك التجلة يامن أتيت ملكاً على الآلهة.. الا أن أمك نوت تلقاك بالترحاب مفتوحة الذراعيـــن وتســـتقبلك أرض "مـــانو" بـــالرضى وتعتنقـــك الربة"ماعت" صبحاً ومساءً.. تعالوا واهتفوا لريح سيد السماء وخـــالق الآلهـــة ومجدده بطلعته البهية حين يأتي الصباح على زورقه المقدس، تبتهج الآلهة حين

---

(١) وعلى غراره حمل يوشع الشمس كما سنجد.
(٢) ونلاحظ أن آلهة العرب القدامى من البابليين الى من جاء معهم أو بعدهم هي آلهـــة خيرة، وان الخير دوما ينتصر على الشر، على عكس إله اليهود.

يرونك تشرق يارع.. وحين تغمر اشعتك العالم بالنور" من بردية آني -ص٨٦/ عالمِ الأديان، ومن قصائد أخناتون التي نظمها في الاله آتون:

"أيْ أتون الحي مصدرُ كلِ حياةٍ
حين بزوغِك في أفق السموات
فأنت رائع عظيم.. مشعٌ وعالٍ فوق الأرض
تغمر كلَ بلدٍ بجمالك
تقبل بشعاعك الكونَ وكلَ بلدٍ خلقتَ
وعندما تغيب في الأفق الذي في السماء
تغمر الكونَ ظلماتٍ كما تغمر الميتَ
ويهيج الناسَ في أنحاء العالم
وتخرج الآساد من عرائنها
تعم الظلمةُ ويغمر الكونَ سكونٌ
وأن من خَلَقَها ذهب ليرتاح وراء أفقه
إنك أنت الصانع الذي صنع أعضاءه
تعطي الأشياء ولم يعطِكَ أحدٌ".

اتخذت الديانة المصرية القديمة مما اتخذته آلهة الطوطم وكان لكل قبيلة حيوان يتخذ طوطما وقد وجدت الحيوانات منقوشة على أواني فخارية مثل التمساح العقرب وكلها تشير الى نظام الطوطم، وكذلك اتخذت من الأدوات أدوية مقدسة(كحل العيون-الوشم-القلائد من قشور بيض الحمام-وحجر العقيق الأخضر) الى أن جاء الحاكم الأعلى فرعون(فير: البيت-عون:العظيم) وأول ماعمله هو بناء الهرم رمزاً لألوهية الملك، وفيه يخدمه النبلاء والأشراف حيث ينالون السعادة في عالم ما بعد الموت جراء خدمتهم هذه. كما أن خدامهم سعداء، فلاحين وصناعا.. واستخدام المصريون الخرطوش Cartoche وهو ختم اسطواني للملك باسمه ولقبه.. وهكذا ثبت النظام أركانه ودالت الدولة، فغزا (سنفارع) سيناء ونحت نقوشا بارزة في الحجر، ودفن في الهرم الكائن في "ميدوم" وأعقبه "خوفو" ثم ابنه"خف رع" الذي بنى أبا الهولSphinx(وأم الهول يونانية ليست مصرية قلدها اليونانيون بتأنيث الإله) وصفته المخلوقة الخاصة بطيبة هي لغز ومن كان يمر فيها دون أن يحل اللغز يقتل. ولكن أوديب حزره فانتحرت أم الهول.. واللغز هو:"ما ذلك المخلوق الذي يمشي في الصباح على اربع وفي الظهر على قدمين، وفي المساء على ثلاث" والجواب هو:"أنه الانسان في الطفولة يحبو وفي الشباب يسير على قدمين وفي المشيب على عكاز" وسنرى مثيلاً لهذه الخرافة في أقاصيص التوراة.

ونتوقف هنا قليلاً لنذكر شيئا عن الهيكسوس: فـأصل الاسـم جـاء مـن المصطلح المصري القديم "هيكوشوسـويت Hekushosowet" وتعنـي سـيد الصحراء وقد فاضوا عن بودقة انصهار الشعوب من شرقي المتوسط وانجرفوا بعدها الى مصر وكانوا يتكلمون احدى اللغات العربية القديمة الغربية (الفينيقية) في ٢٠٠٠ ق.م. وجاءوا نتيجة الهجرات من براري آسيا الوسـطي وأوروبـا وغزوا سورية وفلسطين، واختلطوا بالشاميين، وكان مركزهم في قطنا بالشام. وغزوا مصر مع الكنعانيين الأموريين فسموهم المصريـون أمـراء البـدو أو امراء الصحراء وأسماهم الكاهن المصري فيثو (عام ٢٨٠ق.م) بالملوك الرعاة تارة وبالفينيقيين وبالعرب تارة آخرى، وذلك لنطقهم باللغة الفينيقية. (وسـتكون لهم حكاية مع اليهود في الخـروج) ومـن آلهـة مصـر الملـك الفرعـون الرابع:أمنوفس-وهو اخناتون وأسماه ملك بابل بورنا بورياش بـ نفخوريريـا (نفر-خفيرو-رع) ويذكر فيما يذكرأن قائدا خلص حياة الفرعون طحموطمـس الثالث عندما كان يصطاد الفيل الذي كاد أن يقضي على الملك وهذا القائد فتح يافا بطريقة عجيبة إذ خبأ رجاله في صناديق حملها علـى الحمـير وأدخلـهم المدينة بصفة بضائع(وهي شبيهة بقصة علي بابا والأربعين حراميا، أو طروادة وكذلك لقصة غزو أريحا التوراتية) ومن معتقدات المصريين القدامى : التقمص -وفكرة البعث والقيامة والحساب بعد الموت، واله الحساب في المـوت هـو أوزيريس الذي يقوم بوزن روح الميت في كتب عليها أدعية وصلوات ورقـى تساعد الميت في العالم الأخر. وكانوا يضعون معه(هذا الكتاب ويسمى كتـاب الموتى) وتوزن النفس. وهنا وجدوا فكرة الخلود ليس في المماة بل وفي الحياة أيضاً وأن أهم صفة للديانة المصرية القديمة هي فكرة التوحيـد (الـه واحـد لاشريك له). وقدمت أدوات دينية عديدة، منها تلك التي قـام بـها الفرعـون امنحوتب أو أمنوفس الرابع وهو اخناتون وقد اعتقد اخناتون بالـه واحـد وأن قرص الشمس مظهر من مظاهره وقد تحمس لدينه وإلهه واسماه أتون ووجـه غضبه على الألهة اله طيبة أمون مشيد معبد الكرنك واسمه يدخل في تركيـب اسم الفرعون اخناتون(أمنوفس)-أمين يستقر-(وعمد الى تغيـير اسـمه الـى اخناتون كممثل للإله أتون وأخذت أفق أتون الشمس). اذن لـم يظـهر مذهـب التوحيد في مصر إلا في عصر اخناتون . فطابقوا الالهة كلها في الـه واحـد يتركب اسمه من كل الألهة(أتوم-رع) ولم يكن المذهب التوحيدي هذا توحيديـا بالمعنى الاسلامي بل كان مذهب تفرد "Henotheism" ويمتد أصل هذه الديانة الى عصر الأهرام حيث نشأت من عبادة معبد مهم فـي هيليوبوليـس-مدينـة الشمس للعبادة اله الشمس والقوى الطبيعية المؤثرة في سكان النيل فجسـموها وعبدوها وهي تشبه البشر روحيا وجسمياً ولكنها تتصف بـالخلود (الشمـس-

الأرض-الحيوانات ذات المصادرة الاقتصادية - غنم وماشية (العجل الذهبي) ويرمز الى الشمس محمولا على بقرة سماوية خفرع-وهو من أسماء الاله الشمس بأنه الجعل والخنفساء. الشمس رع أتوم الكل خفرع هو اخني(أي هو رأس الأفق) ويحمل في مسيره الى السماء على جناحين كالطير. والجعل يدحرج كرة من القذارة ويسيرها في الفضاء. وسنجد فيما بعد مثل هذا التوصيف لدى يهوه في التوراة. وساعات الظلمة هي غياب الشمس في العالم السفلي(دات) في سفينة قبل أن تعود في الشروق. والسماء مؤلفة من جسم الإله"نوت" الممتد على الأرض بهيئة قوس فتبلغ الشمس كل مساء وتمر داخلها في الليل حتى تولد من جديد. وكان الإله الشمس أول ملك كالـه خالق، وأن الفرعون خليفته وأول من ظهر من المياه الأولى هو"نون" أو"نور" فوق تل الخليقة حيث خلق رابية كانت أول ماظهرت من اليابسة من المياه الأولى، ويرمز إليه بالعدل.. بالضبط كما في وادي الرافدين فجسموا العدالة وجعلوها ابنة الاله الشمس وسموها "مات" وقرص الشمس الظاهر"آتون" ورأى فيه أخناتون الاله الواحد.

من هنا جاءت فكرة التوحيد لديه ومع هذا فقد كانت هناك آلهة عديدة منها البشري ومنها الحيواني {العجل المقدس- ابيبش- جعفي(تجسيد للاله فتاح- اوسيريس- فغيس وبوخي (بوخس) هاتور (الثور) وتشبه عشتار اله الحب. وأنوف (أنوبيس) للأدوات والكبش(خنوم) الهة الأرض}.

ومن أساطيرهم الدينية أسطورة أوزيريس (الابن الأكبر لاله الأرض جيب Geb وإلهة الجو والسماء نون وصار ملكا عادلاً يحكم الأرض وعلم البشر الفنون والحرف فتحولوا من همجيين الى حضاريين، فحسده أخوه سيت Set وبغضه فقتله غيلة: إذ أولم سيث لأخيه وليمة بعد عودته من سفر ودعا إليها اثنين وسبعين من أصدقائه (٧٢ لاحظ هذا الرقم) . وأحضر سيث صندوقاً مصنوعا بدقة وقدمه الى الضيوف على أن يهديه الى من يدخل في داخله ويكون مطابقا لحجمه، وبموجب المؤامرة هذه جرب الضيوف الدخول في الصندوق فلم يستطع أحد منهم. وأخيرا دخل أخوه أوزيريس فوجده بمقدار جسمه. وفيما هو في الصندوق قتله وأغلق الصندوق عليه ورماه في النيل (رافد الدلتا) فحمله البحر وطاف الصندوق به الى أن آل المطاف به الى الرسو في جبيل (بيبلوس ومنها أسمى الاغريق التوراة بـ بيبليا Bible، لأنهم وجدوها مكتوبة على أوراق من جبيل التي كانت تصدر الورق وكذلك أسموا مدينة جبيل بالاغريقية بيبلوس وغيرها من المدن) ولما علمت زوجته (ايزيس) بقتله راحت تبحث عنه فوجدته في جبيل وجثمانه في الصندوق، فأخذته وعادت به الى أهواء الدلتا وانتظرت ولادة طفلها هورس، وكان سيت هناك يتصيد قريبا

منها فعثر على الصندوق وأخرج منه الجسم وقطعة الى ١٤ أربع عشرة قطعة أو ست عشرة ١٦ - وبعثرها في جهات الأرض من وادي النيل. فأخذت ايزيس تبحث عن قطع جثمان زوجها فوجدت قطعة منه فدفنته في الموقع: رأسه في أبيدوس ورقبته في هيلوبوليس. عدا عضو التناسل فقد رماه سيت في البحر وابتلعه نوع من السمك وذلك كي لا يلد ويتكاثر.. وفي رواية ثانية أن الاله رع أمر بتحنيطه ثم رفرفت ايزيس بجناحها فوق جسمه وعاد حيا، وبعد قيامه من الموت صار ملكا على الأموات ومواطنهم، ثم عاد هورس، لكن هذا انقلب على عمه وقتله واعتلى العرش وأعيدت عينه المقلوعة ، أعادها له الاله توت وهو اله القمر وصادق على خلافته لأبيه الها لمدينة هيلوبوليس. وصار المثل الأعلى لحب الأبن ومضرب المثل في التضحية كما صارت عينه الهلال.. وجعل الاله رع الخنزير محرما لأن سيث اتخذ الخنزير في قتاله مع هورس عندما فقأ عينه.. فحرم رع الخنزير من أجل هورس. وهذا أول تحريم للحم الخنزير، ودفن المصريون أمواتهم في قبور مرموقة لأن أرواحهم ستذهب الى العالم السفلي. واعتقدوا بأن عالم ما بعد الموت اشتق من عبادة الاله أوزيريس، وأن هذا العالم هو عالم الخلود وموضعه في حقل السلام الذي هو جزء من حقل القصب(وسماه الاغريق الحقل الاليزي Elysian Field وخلود الآلهة والسعادة الأبدية . وفيه قاعة الحساب حيث توزن النفس بحضور توت أمين السر وكاتب الآلهة- ويوزن قلبه بكفة والريشة في كفة(والريشة رمز العدالة والصلاح). فإذا لم يرجح القلب يرمى الى وحش(آكل الموتى نصفه تمساح ونصفه أسد أو فرس النهر). واعتقد المصريون أن السماء رفعها الاله شو، اله الهواء، واقامها على أربعة أعمدة، أما الأرض فهي على هيئة صحن ذي حافة مضلعة. وقعرها أرض مصر والحافة المضلعة هي سفوح الأراضي الجبلية التي تكون البلاد الأجنبية ويقوم الصحن في الماء. وتوجد مياه سفلى(الأولى) الى أسفل المياه الظاهرة وتدعى نون وهي التي ظهرت منها الحياة، أما الهواء فهو ثابت على الأرض ويحمل السماء، كما أن النجوم خالدة، وأنها موطن الحياة الأزلية وموضع الأرواح الخالدة. وقد يتعرض الاله شمس في سيره الى السماء لمخاطر، مثل ثعبان هائل يتربص به فتنشب المعركة بين الاثنين، وعندما يتغلب يقع الكسوف، أم قصة الخلق المصرية، فتتلخص في أن الآلهة جاءت الى الوجود في رابية الخليقة(تل الخليقة) ومنها بشائر الحياة بعد فيضان النيل، ولهذا نشأت فكرة الحياة من التراب والطين(على غرار البابليين

والكنعانيين). وأول إله هو الشمس وقد خلق من تلقاء نفسه، أي أنه هو الـــذي أوجد نفسه ثم الآلهة الأخرى تباعا له وكان أول ملك على الكون[1].

وفي رواية أخرى أن الآلهة الأولى كانت موجودة من مادة المياه الأولـــى وكان عندها ثمانية(آلهة ذكر –لكل زوجة، وهي: نون ونوت ويمثـــلان الميــاه السفلى ويقابلها آلهة عماء وفوضى يرأسها الاله شمس وعائلتـــه ومجموعـــهم تسعة، وتمثل هذه الآلهة السماء واوسيريس وايزيس وســـيت ونفثـــانيس (زوج الاله سيث)، وأتوم اله الشمس خالق كل شي. وفي رواية ثالثة إن الاله أتوم قد بصق –وهو في طريقه فوق تل الخليقة يصعد فظهر الهواء ثم نفـــخ بصاقــة فظهر اله الرطوبة وعطس فظهر هذان الالهان ثم ولدا الأرض والسماء والجو ثم اتحدت الأرض (وهي مذكر هنا) مع السماء فولدا أربعة آلهة هم: أوزيريس وزوجته إيزيس وسيث وزوجته نفثانيس).. وفي نصوص من منفيس تفيد بـــأن عملية الخلق مادية صرفة. أي أن الاله ومعه الآلهة قاموا بعمليـــة الخلـــق. أي تفكير الاله بالخلق ثم عملية الفعل بالإرادة. ومن ثم تحقيق "كلمة" الله أو فعلـــه والكلمة هنا هي الفعل فتحولت الفكرة الى فعل الخلق Logos فكـــان المنطـــق اللاهوتي"الكلمة كان الله" وبهذا يكون الله مقترنا بالعقل أو أن العقل هو احـــدى صوره ثم الفعل والكلمة ومن بعده يأتي دور الانسان.. فقد خلقه الالـــه علـــى صورته وأحسن بمخلوقاته التي يسميها "ماشية الله".. وقد اختص الالـــه خنـــوم الكبش بعملية خلق البشر بواسطة دولاب الخـــزاف الخـــاص بـــه.. وقســـمت أسطورة الخلق الفرعونية الى أربعة أعراق : ١–عرق الرومت–أي البشر وهم المصريون.٢– عرق العامو–سكان الصحراء الشرقية.٣–الثميمو–الليبيون. ٤– النجيسو أي السود الزنوج.

وتكون الصف الأول من دموع سقطت من عين الاله رع علـــى أعضـــاء جسمه فتكون منها الرجال والنساء. وأوجد الأجناس الأخرى من جسمه بطـــرق أخرى. وأيضا: صنع الاله الرياح الأربعة وجعل لها فيضان النهر الذي يكـــون فيه حق للفقير مثل حق الغني. وصنع الانسان الواحد يشبه الآخر. وأنـــه لـــم

---

(١) نلاحظ هنا ازدولجية هيئة الاله، فهو مَلِكٌ وهذا يعني ان كلمة الاله في لغة الأقدمين لاتعني الله في لغتنا الحالية– ولعل يهوه هو كذلك في التوراة إذ أن هذا الكتاب الوثني لم يحدد الإله أكثر من ملك اسطوري على غرار أبسو أو مردوك.

وقد خلق ماخلق على تلة الخلق التي ذكرها التوراة مرة في سيناء ومرة فـــي فلســـطين /حسب الكاتب/ وفي أيام معدودة (هي بابلية ولم تأخذ من الارقام الفرعونية) كما نلاحـــظ هنا.

يصنع شرا ولكن قلوب البشر هي التي تعصي. أما خلاص البشر من الدمـــاء فقد فلسفته الديانة المصرية بأن البشر يجدفون باسم الاله ويقـــترفون الذنــوب فجمع الآلهة وشاورهم في الأمر فكانت نتيجـــة الشـــورى أنــه ارسـل مــن البشر(عينة) هي التي خلق فيها البشر وهي بصورة "هاتو" لتهلك البشر. فجاءت هذه الآلهة وفتكت بالبشر وهم مهزومون في البادية. وكون شكلاً آخــر لـهاتو بهيئة آلهة اسمها"سمخت" لتساعد هاتو في الخوض بدماء البشر. وبعد مضــي مدة من الزمن ومن القتل هدأ غضب الاله فأوقف القتل ولكن بأسلوب طريــف (صبياني): أمر باحضار "مغر" أحمر خلطه بالجعة فصار مظهره مثل دم البشر وملأ منه ٧٠٠٠ جرة ووضعها في الحقول أني تمــر الآلهــة لتدمــير البشــر فامتلأت الحقول بهذا السائل الأحمر وشربت الآلهة منه وسكرت حتــى فقــدت وعيها فلم تعد ترى البشر وكفت عن قتلهم.. وهذه القصــــة يســمونها بقصــة الطوفان، وسنرى مثلها في سفر الخروج وسيمر ذكرها لاحقاً.

وللآلهة المصرية أسماء سرية ولايعرفها غير الاله الخاص. كما لها أحكام وأمثال.. ومنها قصة"سينوهي" الذي هرب الى فلسطين على أثر اكتشافه مؤامرة لاغتيال الملك.. ثم استبد به الحنين الى وطنه عند تقدم السن رغم ثروته وغناه في بلاد الغربة. فبث لواعجه في سفر حزيـــن.. وطرقــت عباراتــه أســماع الفرعون فأرسل بطلبه وعاد الى الوطن... وهنا أقيم له استقبال حافل في بلاط الفرعون .. وكان الملك مع زوجته وبناته الأميرات.. فلم يعرفنــــه.. وأنكــرن حال سينوهي للباسه الغريب فقال الملك لزوجته: انظري سينوهي تري أنه قــد جاء وكأنه آسيوي من نسل قوم"السيتو"... فصرخت صرخة قويـــة وصــرخ الأمراء الأطفال جميعا وقالوا لجلالته: حقاً انه ليس هو يا ذا الجلالة والسلطان فأجابهم جلالته: نعم انه هو... وهناك قصة الملاح التائه والفلاح البليغ: فقد تاه فلاح وتحطمت سفينته فالتجأ الى جزيرة جرداء. ولاقى فيها الأهــوال. ثعبانــاً هائجاً فتحدث اليه.. أما الفلاح البليغ فقد شكا له كيف ســرقت منــه بضاعتــه (فطلب العدل) وكان يعيش في "نطرون" وعزم على الذهاب الى المدينــة فــي مصر العيا ليختار بضاعته. وحمل بضائعه على الحمير وبدأ برحلته.. فلما بلغ نصف الطريق التقى برجل في شاطئ النهر وهو وكيل الأرض الخاصة بــأحد الأثرياء فلما رأى بضاعة الفلاح سول له الطمع سلبها، وتحجج بأنه يسير على زرعه ثم قضم الحمار عشباً ثم تحجج باهانة سيد الصمت والعدالــة(أوزيــرس ملك الموت) ثم سمعه أسد مدينة هيراكيلوبوليس وسجل شكواه. ثم قدمــه الــى الملك فصادر أملاك الوكيل وجرده من وظيفته وسلمها الى الفلاح البليغ. ومن أمثالهم أن أبا اسمه دواف ينصح ابنه (خيتي) الطالب في المدرسة(ترينا) بــأن يتعلم الكتابة ليصبح كاتباً فيدخل في سلك القضاة وهو وافر العيش مــن بيــت

الملك. وهذه الأمثال منسوخة في التوراة من لسان (أمينوبي).... وقد وجدت هذه القصص على رقم مكتوبة بالخط الهيروغليفي كما أسماه الاغريق. وأخذ اليونانيون عنهم الكتابة . ومن بين الرقم الحكم والأمثال وتسمى "أفم أوفت" أي الارشاد.. وهي من القرن العاشر حتى القرن السادس قبل الميلاد أي قبل سليمان بقرن تقريبا.. وهي جميعها موجودة في كلم وأمثال التوراة..المجموعة من القصص المصرية في جزئه الخاص بمصر.

● باطل الأباطيل وقبض الريح..

قبل أن نبدأ بكشف الغطاء عن السرقات التاريخية والوعي الوثني ، نشير هنا إلى أن علم الانتربولوجيا قد أثبت بأن الانسان ارتقى في تطور حياته ببطء عبر العصور حتى وصل الى هذه الدرجة من التطور.. وأن الانسان لم ينحط من درجة راقية الى درجة منحطة.. إلا في التوراة فإن الانسان فيها لم يزل متوحشا ووثنيا، وينحط من الدرجة السامية التي توصل اليها الى عصور الانسان البدائي المتوحش والوثني، عقليا ونفسيا، انسان الأسطورة، انسان الحجر.. المرتبط بالعزلة والمحاجر، يحمل الحقد تجاه كل الناس وينظر الى الشمس من بين ثقوب أصابع يده.. ويملي عليه، هذا كله، كتاب: هو صدى لمراحل مغرقة في بدائيتها عبر تاريخ البشرية.. كتاب صنعه غائيون ذوو نفسيه مخلخلة حاقدة، هي أقرب الى الشخصية الانفصامية منها الى الشخصية السوية.. وإذا كانت صورة المخلوق تشبه صورة خالقه، فإن يهوه الذي صوره كتبة التوراة بطلا لروايتهم هذه، إنما هو أصل هذه الشخصية المتوحشة المنفصمة المتعطشة للدم.. ودم العرب أولا... وإن مخاليقه وأنبياءه هم على شاكلته بالطبع.. زناة وقتلة وعنصريون ومغتصبون..

وقالوا أنه كتاب منزل.. وإذا كان كل كتاب سماوي يملك أساسا متناسقا(فكريا وأخلاقيا) يحوي القيم، والفضائل القيمية، مترافقة مع هذا الأساس وهو: الوحي.. الذي رافق كل الديانات، التي قدمت فلسفة جديرة بالدراسة والبحث، فأن التوراة لم تحو هذا الاساس ولاذاك الاتساق، ولاتلك الفلسفة، ولاتملك عناصر الدرس والفكر في شيء منها، بل انها تمثل روح الشر الكلي بعكس كل الديانات السماوية(سواء في بنائها أم في إلهها وشخوصها و أبطالها الروائية) فإلهها دنيوي التصق بها عبر مسيرتها بنزعته الدموية والغريزية الجنسية (فصار مقدسا) وهو ملهم شخوصها الأسطورية ذات السمة الوثنية التي لاعلاقة لها بالتاريخ ولابالفلسفة.. وقد عرضنا لهذه المسألة في متن البحث..وقد لقيت قبولا، في أوروبا وأميركا، حيث النظام الذي يقف على النفعية(فيما تعتبر الشعوب الأوربية(ومفكروها) اليهودية واتباعها المسؤولين الوحيدين عن كل الرذائل والنقائص التي رافقت تطور هذا النظام والمجتمع).

بحيث أنى وجد اليهود، تواجدت الإباحية والفوضى. وفي كل المجتمعات التي تواجدوا فيها قاموا بتدمير القيم الانسانية-على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسايسية على حد سواء-وهذا يتطابق مع ما ينص عليه التوراة ومايعد به ويمكن ايجازه بالنقاط:

١. سحق الأوطان وفكرة الوطنية والقومية أي سحق الهوية، وهذا هو الجوهر التوراتي.

٢. سحق الشرائع وهدمها (والاسلام والمسيحية بخاصة).

٣. قيام الدولة العظمى الوحيدة الجديدة والنظام العالمي الجديد(ملكوت يهوه ونظام دولته).

ولايتم ذلك إلا بالأساليب القهرية: الغدر والقتل والنار والسم والزنى والإغواء والإغراء.. وهذا هو منطوق التوراة كما سنرى.

قلنا أن هذه الخرافة النفعية لاقت قبولا، وأوجدت لها أتباعا في الأوساط الحكومية والشعبية.. فقام هؤلاء بتفسيرات تأويلية تتصيد قيم وتعاليم الأديان السماوية.. ومن هذه التفسيرات الدعوات السياسية والثقافية والفلسفية والفنية (الرسم-النحت-السينما-المسرح.. الخ) .. فمثلا نمت الصهيونية فكرة العلمانية-فصل الدين عن الدولة-مندسة في ظل النظم الديمقراطية لتقزيم هذه القيمة، أي باختصار تجريد الدولة من الأخلاق.. وقد سرت هذه الفكرة كالنار في الهشيم.. ولسنا هنا في صدد الحديث على هذه الفكرة (العلمانية) ونحيل القارئ الى الثورة الفرنسية وملفها الفكري والتاريخي عبر أوروبا وتناميها مع الزمن إلى قرننا الحالي..

وفي الأوساط الاسلامية، نذكر ماجاء به أحد أتباع اليهودية محمد رشا فياض -التركي- رئيس محفل الشرق الأكبر الماسوني والأستاذ الأعظم. فابتدع هذا تفسيرا أو تأويلا فلسفيا -تاريخيا للتوراة مقتبسا من الأدبيات اللاهوتية الهندية والفارسية والعربية(مسيحة أم اسلامية) وهو تفسير مقصود ومنتقى من هذه الأدبيات.. ويمكن تلخيص أفكاره هذه باختصار: إن العالم يبتدئ بالوجود والنور وهما العقل والذات وعالم الصفات أو الكون. وعالم الصفات هذا هو عالم طاقي مادي سرمدي (من حيث الزمن اللاحق) وهو قائم منذ الأزل(من حيث الزمن الماضي-القبل) وعليه فهو ثلاثي:نوراني-وطاقي-ومادي الكيان. والانسان فيه نسخة من هذا الوجود الثلاثي. وقد وجد في عالم الكثافات الذي انتقل اليه ادم وأودى به الى تنكر الانسان لكيانه الثلاثي ولخطئه ولهذا اقترب

من الغرق في طوفان الكثافات-(وهذا نسف لآدم أبي البشر)[1] .. كما أن نوحا لديه ركب سفينة النجاة مع صحبة البنائين الأحرار، بين أرواح الجهل والظلام..فيما عاش البناؤون بفضل عقيدتهم المقدسة ثلاثية الأركان في الهيكل النوراني(وهذا نسف لنوح)[2]... وهذا الهيكل قائم على أساس المعرفة والعرفان (وهذا هو مبدأ الغنوصية)[3]. ثم يحاول فياض هذا جعل التوراة بناءً عقيديا وحجر الزاوية لكل الأنبياء.

فجعل ابراهيم مبشرا بعقيدة البنائين وبالوجود الثلاثي. ولما عجز عن تغيير ما في النمرود من كثافات وظلمات هاجر الى أرض كنعان. ويقول هنا بالحرف: "وإن ماهدمته الأزمنة من معالم الوحي القديم في آدم وادريس بعث في وحي ابراهيم الذي التقى مع قدماء حكماء الهند بالنقاط الجوهرية: الله- الخلود الروح(الثنوية المتمثلة بخلود العقل المتقمص باللطافة في المعبد)- الانسانية وهذه تقوم على ثلاث :الحريةوالمساواة والاخاء". وهذا هو شعار الماسونية. وفي هذه الفقرة نلمس اشارة الغمز على الأنبياء السابقين المبعوثين على الأرض ليربطهم بشعار جمعيته الصهيونية هذه، ثم يقول أنه قامت عنصرية في عهد يعقوب في أولاد عشيرته المقدسة. وجعل يعقوب وبنيامين ويوسف أقطاب هذه العقيدة مرضاة للمسيحيين والمسلمين. ثم يقول أنه حدث انقطاع بين الأسباط لأن أبناء يعقوب الآخرين سيطرت على عقولهم نوازع الغرور والأنانية فأدى الى الانشقاق.ويعود ليبرر هذه البدعة فقال بأنه بعد خروج موسى من مصر تابع الأحرار نشر تعاليمهم. فتغلب موسى بنور عقله على كثافاته الطاقية والمادية. وتجلى على جبل الطور، جبل الكثافة الشديدة وعالم الأجساد المادية. فلم يستطع موسى النظر الى الله بعيني الكثافة الجسدية بل شاهد جلال النور بالنور من أفق العقل الأعلى وكلمه من هذا المستوى وتلقى ألواح المعاني بعد ضلال الأسباط العشرة القارئين. وقد حافظ داوود على المبادئ وأوصى بانشاء هيكل رمزي بشري، فخلفه سليمان وقد راهن قومه على عصا هشة يزرعها في الأرض الجافة فإذا نبتت يكون الملك الأعظم فأنبتت عصاه من دون عاصاواتهم، وبنى سليمان الهيكل-(أين؟!!..) في أورشليم- ومن بعده أشرف حيرام أبيف عليه ولذا هو المهندس الأعظم للكون. وجعل في مدخله عمودين: على الأيسر حرف ي ل وعلى الأيمن ب B، أي

(١) (٢) (٣) :العبارات داخل أقواس هي اشارات منا للتنبيه.

يوسف وبنامين. ثم قام عنصريون بقتل حيرام فصار الشهيد الماسوني وقطب التوحيد.. والذين قتلوه هم من كنعان بالطبع حسب مايقصد اليه فياض.. وقال أن دانيال كتب في الأسر مبادئ عقيدة الأحرار.. إذن يعترف هذا المتهود بأن التوراة كتبه دانيال وليس منزلا.. ثم يتابع هذا التركي المتهود فيفتري على الأنبياء كما حلا له فيقول: "إن المسيح أمن بالوجود الثلاثي وأن كيانه الثنائي كان مجردا من الكثافات لأنه الروح والمزيج من النور والطاقات". أي أنه جعل المسيح ماسونيا.. ثم تابع افتراءاته فقال:"وإن محمداً من أعاظم الذين آمنوا بالنور الأعظم وشرحوا عقيدة التوحيد"[1] ...وفي هذا الأفتراء نسف للقرآن نسفاً متعمداً، إذ أن محمداً(ص) لم يؤمن بحيرام، ولم يذكره ولانكره كتاب الله.. بل أنه آمن بالله وحده.. وعليه فإن بدعة هذا التركي لتتدرج في محاولات التوراتيين: تصيد الأديان ومعتنقيها بسرقة أفكار الديانات الأساسية ، بتأويلها بالشكل الذي رسمته الصهيونية العالمية وجمعياتها العالمية وجمعياتها متعددة الأسماء والفعاليات والانتشار.. وهذا التأويل شديد الخطورة ونكتفي بهذا القدر من تلفيقات هذا التركي المتهود الذي يجمع بينه وبين الصهاينة المحتلين لفلسطين عرق واحد هو العرق الخزري، كما مر معنا في هذا الكتاب.

ونعطي مثالا آخر للتلفيق والمحاولات المشبوهة، لنسف القيم والهوية، ففي فرنسا وايطاليا واسبانيا قام اليهود بتشجيع الأفكار الالحادية والكفر، وكذلك في انكلترا وألمانيا لكن بشكل أكثر حرصاً حيث سلطة الكنيسة أقوى، والتكيف بحسب طبيعة المجتمع السائدة.. وقد صور في نشرة الشرق الأعظم الفرنسي (تموز١٨٥٦) ماهو أكثر حدة في الطرح وجاء فيها:"نحن الماسونيين لايمكننا التوقف عن حرب الأديان ولن نرتاح الا بعد أن نقفل جميع المعابد"[2]. وقال كولفيل في محفل منفيس بلندن:"إذا سمحنا لمسلم أو نصراني بالدخول في أحد هياكلنا فإنما ذلك مشروط بتجرد الداخل علينا من أضاليله وأن يجحد خرافاته واوهامه التي خدع بها في شبابه".

ولم يكتفوا بذلك بل تطاولوا على الله، فقد جاء في النشرة الألمانية الماسونية عام ١٨٦٦ مايلي:"أنه على الماسونيين أن يقيموا أنفسهم فوق كل اعتقاد بالله[3]" أجل هذه هي عقيدة التوراة والتوراتيين الذين يسعون لاسقاط

---

(١) نقلا عن حسين عمر حمادة -أدبيات الماسونية- دمشق دار الوثائق ١٩٩٥.

(٢) (٣) (٤) راجع سيف الدين البستاني: أوقفوا هذا السرطان - دمشق -دار النهضة العربية ١٩٥٥، وحسين عمر حمادة -أدبيات الماسونية.

"انتصار الجليلي".. وهنا كتبوا:"وهاهو قد سقط بمساعينا هذا الاله الكـــذاب.. ويسرنا أن نشاهد سقوط الأنبياء الكذبة"..[4] .

ونكتفي بهذه الالماحات كيلا ننعطف عن محور كتابنا الأساسي وهو تفنيـد التلفيقات التوراتية- التاريخية والعقيدية- والوعي الوثني فـي عصـر العقـل والعلم والتقنية ونضال البشرية من أجل الانعتاق مـــن كـل مـادنس حياتـها ومجتمعاتها..

نشير الى أن التوراة انطوت حسبما كتبها كاتبوه، على زرع الأمــل فـي نفوس أتباعها ومريديها سواء في الثأر ممن سبوهم وطردوهم أو ممن قتلوهـم وأبادوهم، فقام رهط من الناجين بكتابة كتاب يبعث الأمل ويسجل فيه تاريخـــا للأتباع وسجلا دينيا يكون طقسا أو ديانة.. ولم يجد الكتبة مرجعا يتكئون عليه أو يرجعون اليه سوى أساطير شعوب المنطقة وسكانها الأصليين الذين شـــادوا حضارات خالدة ومدنية روحية ومادية راقية وقد عـاش اليـهود فـي كنفـها وخيراتها ونهلوا معارفهم منها،(اللغة والدين) إذ أنهم لايملكون تراثا يســاعدهم على الكتابة يرجعون إليه. .فأخذوا أساطير القدمــاء وآدابـهم وكتبـوا كتبـهم بالاستناد عليها وبلغة الأقوام التي استضافتهم وعلمتهم لغتها.. وكان هذا الكتاب المزيف: كل مافيه باطل الأباطيل وقبض الريح، سوره وآياته منقوله نقلاً حرفياً أحيانا عن قصص وثنية.. وسخر لغايات وأغراض عنصرية.. وكل هذا واضح فيه. وتيسيراً للايضاح في العرض نبدأ بالتسلسل المنهجي على الشكــل الـذي سلكناه في العرض السريع للأساطير العربية القديمة في أول هذا الفصل، ونبدأ بقصة الخلق أو التكوين..

١- سفر التكوين:

جاء في الأصحاح الأول من سفر التكوين مـايلي:"فـأكملت السـموات والأرض وكل جنودها. وفرغ الله في اليوم السابع من عملـــه الـذي عمـل.. فاستراح في اليوم السابع من عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدســه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله فيه خالقا" إذن إن تقديس الرقـم ٧ سبعة سببه استراحة الله بعد خلق العالم وخلال ستة أيام عناء وجد نفسه متعباً فاستراح في ذلك اليوم السابع(يوم الراحة) ولذا يعطل اليهود يوم السبت(أي يوم الراحة) طبقاً لهذه المقولة المأخوذة من سفر الخلق البابلية التي ذكرناها. وفـي اطار الخلق يقول الأصحاح(٢) من سفر التكويـــن:"وكـانت الأرض خربـة، وخالية، وعلى وجه القمر وروح الله يرف على وجـــه المـاء.." الـى آخـر

الأصحاح وقد أشارت هنا الى أن "عماء" هو الجانب المظلم من الماء.. ونرى وجود نفس الكلمة(العماء) في التوراة وهي الكلمة التي مر ذكرها في اسطورة التكوين البابلية.. وفي مكان آخر تورد التوراة في نفس هذا السفر أن الاله موجود منذ الأزل وقد سبق وجود المادة، وهو الذي خلق المادة، في حين أن البابلية تقول أن المادة موجودة منذ الأزل ولكنها كانت ذات صفة حية لأنها كانت ذات صفة حية لأنها كانت مادة فولد من هذه المادة الآله وجميع الأشياء والموجودات [1] ...ومن هنا نفهم أن الله خلق الأشياء والموجودات، في حين أن التوراة تتنكر الى قدسية ماخلق الله، فتتهمه بالانحياز لفئة ممن خلق.. ويتفق نص التوراة في فصل المياه الأولى مع الأسطورة البابلية تماما، بحث أن مردوخ بعد فصل جسم تيامة كون من نصفه الآخر السماء ومن الآخر الأرض. وفي سفر التكوين الأصحاح الأول (٩-١٠) يستبدل اسم مردوخ بـ"يهوه" الاله أما بقية تفاصيل القصة فهي ذاتها.. وبخاصة إن الاله يسكن في بيوت، وله معابد، ومعشوقات، وبنات وأولاد، منها من يتصف بالخلود ومنها من يموت كما ورد معنا في الاسطورة البابلية. وان مات بعضها يبعث في الربيع، أي أن موته ذو امد محدود. ورجوعه ممكن أما الانسان فغير ممكن رجوعه.. والآلهة مساكنها في السماء أما الانسان فمسكنه في الأرض-إلى هنا تطابق النصين تماما-ثم يصف كتبة التوراة تحديدا للأرض، لأرض بعينها.. فأضافوا للنص البابلي في الحصول على رضى الآلهة وهو مايتوق اليه الانسان وأن غضبها مدمر وقاتل يجلب الويلات، وأن الاله قد منح"اسرائيل" أي اليهود أرضا هي التي تدوسها أو تطؤها بطون أقدامهم بمنحها الرب لهم، وهم يجاهدون من أجل رضى هذا الرب "في سفر التكوين اياه والأصحاح الأول رقم ٢٧-وتكرر في الأصحاح الخامس رقم ١-٢. وكما أن الاله السومري والبابلي ينزل الى الأرض ويختار المساكن والبيوت بنفسه، مثلما يختار جنوده الحارسين لها.. فهذا وارد في الأصحاح الأول رقم ٥. وفي الخروج مكرر لضرورة المقام (خر١٩/٣-٢/) واله السومريين، وكذا البابليين خلق الانسان من الطين وفي التوراة أيضا خلق يهوه الانسان من الطين: "وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة الحياة فصار آدم نفسا حيا" وهذه الآية من الأصحاح الثاني من سفر التكوين /رقم٧).. وكما أن الاله قتل التنين العماء(وله اسماء أخرى لدى البابليين أقرانا ثم مردوخ) فإن يهوه هنا هو الذي قتل نفس

---

(١) ولهذا فهمنا سبب تركيز الصراع بين الوجوديين حول لسبقية المادة، والوجودية - المذهب يمت الى الفعاليات الصهيونية في فرنسا بخاصة(سارتر وغيره).

التنين(العماء).. وهذا من المزمور رقم ٨٩(٨-١٢): "أنت سحقت رهب مثل القتيل". وكما لم يعتقد السومريون والبابليون بفكرة البعث والنشور فقد وجد ذلك تعبيره في التوراة، مثلما أخذت عنهم العقاب والثواب الزمنيين، أي في الدار الدنيا(المرض والآلام وفقد المال، والموت العاجل، وتسلط الأعداء كما هي عند السومريين) أما بعد الموت فيذهب الانسان الى عالم الأموات أودار الاموات- كما جاء في سفر الجامعة- الأصحاح الخامس (رقم ١٨-٢٠):"وفي الظلام يذهب واسمه يغطى بالظلام".."أليس الى موضع واحد يذهب الجميع"(٦/٦) وأعطت اسم هذه الدار "سالاه" أو شيؤول -وتعني الهاوية-مكان الأموات..(٩/٧).. وهو منسوخ حرفيا عن السومريين والبابليين؛كما سمته التوراة "الظلام وظل الموت" في الأسفار ٣:٥، ٢٠٢ وفي الأسطورة البابلية "عالم الظلام والرهبة"... لكن في المزمور ٨/٨٨ تقول التوراة:"سلاة أبعدت عني معارفي . جعلتني رجسا لهم، اغلق علي فما أخرج".. وفي هذا التحوير معنى عنصري يحاول الكاتبون دوما ابرازه وجعله موجها ضد عدوهم الكنعاني-الفينقي -الفلسطيني.. ونقلت التوراة عن سومر وبابل الموت وموقعه "الجب وأسافل الجب" "ووادي ظل الموت".. وأيضا أخذ الصدوقيون منهم بمبدأ نكران البعث والنشور وقالوا بأن المحسنين يثابون في الحياة الدنيا وكذلك المذنبون. كما نشأت فكرة العقاب والثواب وطورت على يد الكتبة اللاحقين فقال بعضهم بوجود سبع دور متناوبة الدرجات، فيما جعلها آخرون دارين واحدة عليا واخرى سفلى، لعقاب الجسد في الحياة وأخرى لعقاب النفس في الآخرى ولهذه سبع درجات متفاوتة بحسب الذنوب . وهذه مأخوذة عن المصريين مما يدل أن التوراة كتبت على مراحل وبما يتفق وظروف كل مرحلة. وقال آخرون منهم بأن الناس يقسمون إلى ثلاث فرق بعد الموت:صالحة -تزيد حسناتها على سيئاتها- فتتمتع بالسعادة الأبدية. وطالحة- تزيد سيئاتها على حسناتها فتعذب عذابا أبديا- وثالثة بين بين: تعذب في جهنم مدة حتى تطهر من ذنوبها فتصعد الى السماء.

ولم تذكر التوراة تفاصيل هذه العملية وقياس السيئات والحسنات فيما ذكرته الأسطورة الفرعونية بالتفصيل.

وتجدر الاشارة هنا الى أنه قبيل عهد السيد المسيح ظهرت فرق يهودية أخرى تؤمن بالقيامة والعقاب وبالملائكة ومنها السامريون وأقاموا صلواتهم الطقسية هذه في جبل جرزيم في شكيم (نابلس) بمعزل عن بقية الفرق اليهودية الأخرى، وهذا يعني أن تطورا على عبادة وديانة هؤلاء قد دخل في نصوصهم وقد أعتق بولس فريسيا لايمانه بالقيامة فقاومه باقي اليهود وعلى رأسهم الصدوقيون.. ولما علم بولس بأنهم صدوقيون وفيريسيون صاح في

المحفل:"أيها الأخوة أنا فريسي، وأنا على الرجاء وقيامة الأموات أحاكم".. فلماذا قال ذلك وقع خلاف بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة، لأن الصدوقيين لايقولون بقيام القيامة وعدم وجود الملاك والروح، أما الفريسيون فيقرون بذلك"أع ٢٣/٦-٨/ . هذا علماً بأن السيد المسيح قد قال:"الويل للكتبة والفريسيين".. وأن ما أخذته التوراة من الأسطورة القديمة كان توظيفاً للنص، أي أخذوا الاطار والبنى وحوروا في الأحداث .. فالمصريون اعتقدوا بوجود دار عقاب وثواب ومحاكمة النفس على سيئاتها وحسناتها، بعد الموت، في حضرة الاله أوزيريس وفي حضرته اثنان وأربعون قاضياً، فتوزن أعمالهم ويوزن الأموات، فالسيئة أعماله:

١. يساق الى الأرض لتحل روحه- نفسه في جسم حيوان نجس
٢. أو تلقى في دار العذاب الأبدي حيث النار والأبالسة.
٣. أو تطهر من أثامها فيسمح لها بالعودة الى الأرض والظهور في جسد إنسان.

فسرقت التورات كل هذه القصة عن الأسطورة الفرعونية بالكامل مع بعض التعديل، أما قصة جنة عدن أخذها كتبة التوراة عن الأسطورة السومرية التي مرت معنا عن طريق البابليين-أيام السبي-دار خلودها في التوراة إتل ٢/١٠-١٤/: وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم يتشعب فيصير أربعة رؤوس اسم احدها فيشون يجمع في أرض الحولة، حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هنالك المقل وحجر الجزع، واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع هو الفرات. وكذلك سرق التوراتيون كل قصة هابيل وقابيل كاملة لكنهم حرفوا اسم قابيل بـ قايين. ولعل هذا الخطأ في النقل حصل لدى المترجمين من الكتبة أو ممن نقل عنهم ما نقلوه وذلك لأن تشابهاً كبيراً مابين اللام والنون حتى في العربية قبل التنقيط وهكذا في اللغات القديمة العربية. وللتدليل على السرقات الحاصلة في التورات عن الاينوما ايليش البابلية أو المنقولة عن البابليين نسوق هذا الجدول ذا الأرقام السبعة التي قدسها التوراتيون ودخلت في أركان عبادتهم وتنص الأسطورة البابلية (الأيام السبعة) للخلق ونقلتها التوراة على النحو التالي:



في البابلية	في التوراة
١. العماء الأول تيامة: المــــاء المـــالح وزوجها الماء العذب يحيط بهما الظلام.	١. الظلام يغلف المياه الأولى
٢. النور يشع ويتولد من الآلهة	٢. خلق النور
٣. خلق السماء	٣. خلق السماء
٤. خلق الأرض	٤. خلق الأرض
٥. خلق الأجرام السماوية	٥. خلق الأجرام السماوية
٦. خلق الانسان	٦. خلق الانسان
٧. الاله مردوخ ينتهي من الخلق والآلهة تمثل بين يديه	٧. الاله ينتهي من الخلق ويستريح

ونلاحظ هنا التحريف صريحا واضحا وكذلك الابدال والحذف. وقد حصل هذا التحريف والتصرف والتزييف في عام ٥٨٦ ق.م أثنـــاء السـبي البـابلي وحرصت التوراة على أن يكون الخلق التوراتي مطابقا للخلق البابلي وحالاته، أي بدءاً من حالة العماء حتى انتهاء الخلق في اليوم السابع. لأن مسارد أخرى للخلق في التوراة كانت تخالف ماجاء في الأصحاح الأول والثاني وتسلسـله.. فقد قالت التوراة إن الاله في البدء خلق الكون من البدء، من عماء.. وعـادت لتقول بأنه خلق السموات والأرض في البدء، ثم قالت بأنه خلقهما مـرة ثانيـة بفصل المياه عنهما.. وفي مرة أخرى قالت بأنه خلق البشر دفعة واحدة وفـي الأخرى خلق الانسان بدءاً من زوجين أولين (وهذه مـأخوذة مـن قصـة آدم وحواء السومرية-البابلية).. وهذا يعني تعدد المصادر المعتمدة في النقل وكتابة التوراة وهي مصادر غير يهودية بالطبع. وقد كتبت هذه النقولات في القـرن التاسع قبل الميلاد(وهي المعتمدة على الاله ايل وتدعى الأيلوهيمي) أما التثنيـة فهي من المصادر الكهنوتية وكتبت في معبد القدس في عصر النفي في القـرن السادس قبل الميلاد.. وهذا مايتضح في التقديم والتأخير في الخلـق ومراحـل التكوين.. والدليل على ذلك أن الظلمات كانت سائدة في كل المصـادر، أمـا المياه فقد اضحت صورة رمزية . وإلا كيف يكون الليل والنهار قبـل وجـود الأرض لتدور حول الشمس(في اليوم الرابع في جدول الخلق التوراتية)؟ أمـا فكرة انقسام المياه الى كتلتين فهي غـير مقبولـة، وكذلـك اخصـاب الأرض بالعشب والنبات قبل ظهور الشمس في اليوم الخامس، وانتظام تعـاقب الليـل

والنهار قبل اليوم الخامس الذي أظهرت التوراة فيه يهوه قبل أن تكتمل سيرورة الخلق فهو غير مقبول منطقيا أيضا..

ثم قالت التوراة بأن الشمس والقمر قد خلقا من الأرض. وهذا مخالف للعلم وفرضياته كما هو مخالف للأساطير نفسها التي مرت معنا. فيما اتفقت التوراة في اليوم السادس عند خلق الإنسان، من قصة آدم، ونعيد ماجاء في الأصحاح الثاني من سفر الخلق والتكوين هنا:"وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية، وغرب الرب الاله جنة في عدن شرقا ووضع ترابا من الأرض ونفخ في أنفه وأنبت الاله كل شجرة بهية للنظر وشهية للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر" وقد أخذت نفس التسميات كشجرة معرفة الخير سابقة الذكر في الأسطورة البابلية وفي قصة آدم وحواء بالذات ونصت الرواية التوراتية على أن ذلك حدث كبداية للخليقة قبل ٥٧٥٦ سنة (حسب التقويم العبري)من الآن ١٩٩٦ . وتقول أن آدم خلق سنة ١ وعاش ٩٣٠ سنة لخلق شيث ومات عام ١٠٤٢ وعاش ١٣٠ سنة، وأن ابراهيم ولد عام ١٩٤٨ من خلق آدم ومات عام ٢١٢٣ أي أنه عاش ١٧٥ سنة . ونلاحظ أنها أخذت من قصة الخلق الكنعانية، رغم أن كنعان(وهو لديها حام) مطلوب رأسه على الدوام، أخذت منها مدلولات كثيرة مثل الرقم(٧). ففي الرواية الكنعانية أن ايل الرب العظيم يعتلي عرشه في السماء السابعة، فيما أن زوجته عشيرة اسمتها التوراة آشيرا، واسمي ايل ايلوهيم..(والعشيرة بالعربية هي نفسها بالكنعانية لكنها حورت العين في التورات الأورشليمية الى ألف).. وهكذا أخذت عن الرواية الكنعانية أيضا(ونقصد هنا بالرواية الكنعانية الرواية البابلية المطورة بحسب تطور الحياة الكنعانية وارتقائها فيما بقيت التوراة على حالة البدائية كما كانت لدى البابليين) أخذت عنها موت أدونيس وبعثه يوم يكون عيداً يحتفل الناس به كاحتفال عظيم يرقصون ويأكلون ويشربون، كما تتخلل هذه الاحتفالات ممارسات جنسية تقليداً للقاء عشتار وأدونيس ودلالة على ايحاء التربة بالخصب والنماء[1] .

---

(١) إلا أن الرقم المكتشفة في أوغاريت في سورية قد أوضحت قصة موت أدونيس عكس ماجاء في التوراة بأنه لم يمت.. فقالت الرقم: أنه مات وقتله خلزير بري في غابات وبقيت حبيبته في هذه المأساة عشتار تبحث عنه حتى وجدته. فنهض من بين الأموات الى عالم الحياة.. وقد اسميت ايلات- تأنيث ايل- سيدة البحر باسمها آنئذٍ ولم يزل يطلق على ايلات في البحر الأحمر.. كما مر معنا.

كما رأينا في القصة الكنعانية وقبلها القصة البابلية (عودة مردوخ).. وهي تقام لدى أصحاب التوراة في احتفالات الغفران وفيها تحدث احتفالات الزفاف فتزف العرائس ويحدث العشق على الطريقة التي لاحظناها في نشيد الانشاد في بداية هذا الفصل يوم كانت تلك الفتاة المهتاجة تبحث عمن ينام معها ويطفي لهيب وثورة نفسها فوجدته... وهذا يكون توسما بالبقاء كما هو لدى بابل وكنعان.

وقد وردت تراتيل جنسية عديدة في التوراة، في مواضع مختلفة وبحسب الرغبة والظروف، ومنها ما جاء في سفر الأمثال عندما تصرخ الزانية:"عطرت فراشي بمسكٍ وعودِ عنبر.. وبالديباج فرشت سريرك، بكتان مغزول في مصر.. هلم إني عطشى اليك.. تعال نرتوي باللذة.. إن رجلي ليس في البيت، لقد ذهب في طريق بعيد ولن يعود إلا أول الهلال.. وأغوت الزانية الرجل بمعسول كلامها فذهب وراءها كثور الى المذبح، أو كطير يسير الى الفخ"، أيأخذ الانسان ناراً في حضنه ولاتحترق ثيابه.. أيمشي على الجمر ولاتكتوي قدماه.. هكذا من يدخل عل امرأة صاحبه"[1] وفي حين أن زنى المرأة في التوراة عهر فهو فحولة ورجولة للرجل.. وسنرى حقيقة ذلك..

ونعود إلى قصة خلق الانسان في سفر الخلق أو التكوين، التي أخذها كتبة التوراة عمن سبقهم من ديانات الشعوب العربية.. ففي هذا السفر تذكر التوراة قصة هابيل وقابيل (هابيل وقايين بعد التصحيف والتحريف التوراتيين).. وقد غيرت فيها الأسماء والأماكن والمواضع لأمر مقصود ولغاية في قلوبهم، وهي تسجيل "نسبهم" كي يرتقي الى ابراهيم وآدم فيكونون بذلك أسلاف عظماء الأنبياء والبشر.. وتقول الرواية التوراتية في سفر التكوين –الأصحاح ٤/٣-٨/و٤/١٤ حتى ٢٢/:"وحدث بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب وقدم هابيل من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب الى هابيل وقربانه ولكنه، الى قايين وقربانه، لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط على وجهه"(...)"انك طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك اختفي وأكون تائها وهاربا في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني، فقال الرب: لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقايين علامة لكي لايقتله من وجده.(..)" فخرج قايين من المدن وسكن في أرض فود شرقي الأردن،

---

(١) أجل لقد ذكرت التوراة هذا النص.. وهو كما يلاحظ أحدث مما سبقه من الأساطير البابلية، لأنه ذكر مصر فهو من تدوين هذه الحقبة–الدور الثاني لليهودية–ونسيت أنها ذكرت يهوه وثامار زوجة صاحبة...

وعرف آمرأته فحبلت وولدت حنوك، وبنى قايين مدينة سماها حنوك باسم ابنه وتكاثر فولد لحنوك لامك من متوشائيل وتزوج امرأتين(عادة) و(صلة) فكان له من عادة (يابال) يوبال. ومن صلة توبال قايين وابنة هي نعمة وقال لامك لامراتيه صلة وعادة: اسمعا قولي واصغيا لكلامي فاني قتلت رجلا لجرحي وفتى لشدخي. أنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين'.. ثم تعود التوراة الى الوراء فتذكر في الأصحاح ٢٥:'وعرف آدم امرأته فولدت ابنا ودعت اسمه'شيث' الذي بدوره ولد أنوش.. حينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب'.

وذكرت التوراة بعدها نوح وابنه سام ثم ارفخشد ثم شامح وهود وهو عابر أو ابن عبد الله بن عاد بن عوض بن أرم بن سام بن نوح)ومن هذه الأرومة يولد ابراهيم.. وداوود وسليمان ويهوه- حسب رواية التوراة ورغبة كتبتها ليشكلوا لهم أصلاً في الأنبياء وفي الأرض وفي التاريخ.. إلا أنهم في الحقيقة لم يجسدوا الوهم ولم يفلحوا في تزوير التاريخ.. إذ لم تزل المكتشفات- وهي تترى- تبين الحقائق وتكشف عورات المزيفين..

وفي صدد الاصحاح الرابع نسأل لماذا رفض الرب قربان قايين المزارع وقبل قربان هابيل الراعي؟ ثم ألم نركيف قبلت الآلهة من الفلاح والراعي القرابين لتقيم الصلة واللحمة بينهما -كما مر معنا في الروايات العربية آنفة الذكر؟- ولماذا أوغر صدره وهو رب الجميع، رغم أن قايين يحب ويطيع الرب ويبتغي كسب رضاه..ومن هذه الرواية أوجد اليهود قصة الذبيحة في ديانتهم (التلمود).. وقد أخذ عنها المسيحيون ذلك صلب السيد المسيح عليه السلام فجعلت منة "الذبيحة" لكن هل الله بحاجة الى ذبائح، حيوانات كانت أم بشرا؟.. ويذبح قايين أخاه.. فيغضب الرب ويشعر قايين بالذنب(تك ٤/١٤ - ١٥/).

ولماذا كل هذا الذبح والدم في التاريخ، وبأمر الرب-وفي الاسفار التي تعزى-كذبا الى الله جل شانه عن كل هذا التجذيف.. وقد ابتدأت بها الأسفار الأساسية في هذا الكتاب: الخلق والتكوين؟.. أضف الى ذلك السرعة والتخلخل في السرد.. فقد ذكرت أسماء نساء لامك وحنوك، لكنها لم تذكر اسم امرأة قايين ولامن اين جاءت ولامرأة حفيدة (عيرار).. هل لأن المصادر المنقول عنها خلت من ذلك والألواح مكسورة أم لأن في الأمر خطرا يقودها الى مهلكة؟... ولن نبحث في هذا الأمر الثانوي هنا، ونتابع الحديث مع قصة الخلق والتكوين وهي الأهم. وننتقل الى الأصحاح السادس منه، فقد حددت التوراة نوحاً من نسل لامك (القاتل) لماذا؟ أليكون ابن قاتل؟؟!.. وفي قصة الطوفان التي مرت معنا ذكرت التوراة نوحا.. "أنه بنى مذبحا للرب.. وأخذ من كل الطاهرين، بشراً وحيوانات وأفاعي وطيورا...وأصعد محرقات في المذبح إلى

السفينة.. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لاأعود ألعن الأرض أيضا من أجل الانسان لأنه تصور قلب الانسان شريرا منذ حداثته، ولاأعود أميت كل حي كما فعلت" سفر التكوين الأصحاح السادس(٢٠-٢٢).. وهذه مأخوذة عن البابلية وعن العمونية(والاله مولوخ-ملكارات) الذي كان يربض فوق مذبح تتأجج نيرانه ويعبق الفضاء بدخان الشواء وأصوات الكهنة المرنمين، تصرخ عالية فتمترج بأصوات الطبول والصنوج وزقزقات الطيور، لتغطي على صرخات وأنين الواقعين في أتون النار وصراخ أهلهم.. وتأخذ التوراة هنا كل النص دون صراخ ولاترانيم.. والذبائح فيها هي من الحيوانات والطيور التي تشوى دون أن تفقه الألم.. ولامن يشفق عليها.. وتذكر أيضا أن عددا كبيرا من أسرته كان برفقته أخرجوا من الفلك وهم: سام، حام، يافث.. وحام هو أب كنعان.. ومن هؤلاء الثلاثة الأبناء تشعبت الأرض، أي أصبحت شعوبا .. وقد جعلت من نوح فلاحا غرس الكرمة وشرب الخمر فسكر.. وتعرى داخل كوخه، فرأى حام أب كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه.. فسترا له عورته.. فلما استيقظ علم ما فعل به ابنه الصغير فقال:"ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوته. وقال مبارك الرب اله سام. ليكن كنعان عبدا "لهم" وجاء هذا النص في الأصحاح التاسع(١٨-٢٧) من ذات السفر.. وقد حمل كاتب التوراة هنا حاما ذنبا كبيرا، وهو تبرير للحقد اليهودي العنصري على الكنعانيين ونسلهم الذي لم يكن قد ولد بعد(حين حصول الواقعة-الرواية) بل لم يكن حام قد تزوج بعد وأنجب كنعان: علما بأن هذا التصنيف الانتروبولوجي غير صحيح على الاطلاق وقد مر معنا أصل الكنعانيين وتاريخهم الحقيقي المؤكد والوثوقي وبما يدحض هذه الرواية الخرافية الملفقة.. ولكن السؤال هو كيف يلعن الاله شخصا أو شعبا لم يولد بعد! عجيب أمر هؤلاء المزيفين.. ونشير هنا إلى أن "حام" حسب التوراة لم ينجب كنعان فورا بل أنه أنجب كوش ثم مصرايم ثم فوط وأخيرا جاء كنعان(راجع سفر التكوين الأصحاح العاشر-الجملة السادسة) وكان كنعان في الأصحاح السابق أكبر أولاده.. إلا أن كوش البكر والتوراة حسب مانعلم تأخذ بالبكر، لأنه ذات معنى كبير.. ومن هذا التناقض نرى دليلا على أن التوراة هي غير التوراة التي وضعت لاحقا فوقع كاتب الأخيرة-اللاحقة- في مكيدة فكره فجعل كنعان بكر حام وأوقع اللعنة في البكر.. ثم لماذا لم تعلن حاما دون نسله وهل يحمل أحد وزر أهله إذ"لاتحمل وازرة وزر أخرى"؟ وان كان الأمر كذلك فكيف يبرأ اليهود من دم الصلب وهم القائلون:"دمه علينا وعلى أولادنا"؟!..

إن كتبة التوراة وتابعيها قد سمموا كل كلمة في كتبهم بسم العنصرية تحقيقاً لمآربهم في الأرض الكنعانية دون سواها.. ولماذا دون سواها؟ فهذا ما حصل منذ مؤتمر بال ١٨٨٦ حتى اليوم.

ويذكر الأصحاح الثاني عشر من السفر ذاته أسماء الملعونين من نسل كنعان وحددهم في أرض سورية "صيدون بكره، وحثا، ومنه اليبوسي، والأموري والجرجاشي والمولي، والعراقي والسبني والإروادي،والصحاري والحماقي"١٠ /١٥-١٧/.. وبهذا حدد كتبة التوراة حدود دولتهم أيضاً . ولعن أهلها الأصليين مسبقاً، أو استتباً وخطط سلفاً لطردهم واستبعادهم ذلك لأن الاله اليهودي قد أمر بذلك وهيألهم عبوديتهم قبل أن يولدوا..

وفي سفر التكوين أيضاً ذكر لابراهيم (٢١-٣٢):"وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطاً ابن ابن هاران المتوفى على حياة والده تارح وساراي[1] فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان. فأتوا حران وأقاموا هناك" أذن انتقل تارح وولده ابرام من أور الكلدانية الى حران الكنعانية.. وأبقى ابنه الآخر ناحور وزوجته ملكة (ابنة هارون وأخت لوط) في أرض الكلدان.

وقال إن تارح قد مات عن ٢٠٥ سنوات متحدياً وعد الرب في جيل عمر الانسان ١٢٠ -١٣٠ سنة فقط.. وهذاقد تم، حسب رواية التوراة المصطنعة بأمر الرب: "وقال الرب لابرام اذهب من ارضك وعشيرتك ومن بيت أبيك الى الارض التي أريك، فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك وألعن لاعنك.. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) تك ١٢: ١-٣/.

ثم تتابع الرواية سرد فصولها فتقول: أن ابرام أخذ امرأته ساراي ولوطا ابن أخيه وما اقتنوه وخرجوا الى أرض كنعان. فاجتازوا الى مكان شكيم، الى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون هناك. فبنى ابرام مذبحاً للرب الذي ظهر له(تك:١٢/٥-٧/).. ثم ارتحل ابرام متوالياً نحو الجنوب" ١٢/٧ وبعد ذلك حدث جوع فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك"١٢/١٠. ودخل مصر مع امرأته الجميلة.. ولما كشف أن جمالها سوف يغري المصريين خاف على نفسه من جمالها فقال:"لاتقولي أنك زوجتي بل أختي لئلا يصيبني شر بسببك" ولما قرب أن يدخل مصر قال لساراي انك امرأة حسنة المظهر فاذا رآك المصريون يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي أنك أختي ليكون لي خير بسببك ولما رآها رؤساء رجال الفرعون ذكروا جمالها للفرعون وأطروا عليها.

---

(١) وساراي هنا كلته امرأة ابنه ابرام.

فأخذت المرأة الى بيت فرعون وصنع الى ابرام خيرا وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال وضرب الرب فرعون ضربات عظيمة بسبب ساراي فدعا فرعون ابرام وقال له ماهذا الذي صنعته بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هي ذي امرأتك خذ واذهب.. وأوصى عليه فرعون رجالا شيعوه خارج مصر مع امرأته وكل ماكان له"تك ١٢/١٠-٢٠/. وترك ابرام مصر مع لوط واتجه جنوبا الى بيت ايل وهناك نشب خلاف بين رعاته ورعاة لوط على المرعى والكلأ.. حيث القحط فضاقت الأرض بهم، وقلة الحياة. فاتفق مع لوط على تحديد الاتجاه لكل منهما. اختار ابرام الأرض الكنعانية... فذهب وسكن في أرض كنعان" (تك:١٣-١٢). أما لوط فقد هاجمه كدر لعومر ملك سومر فسباه مع نسائه ومواشيه فأتى من نجا وأخبر ابرام العبراني"(تك:١٤-١٣) فلما سمع ابرام أن أخاه سبي جر غلمانه المتمرنين وولدان بيته٣١٨ وتبعهم إلى دان وانقسم عليهم ليلاً مع عبيده فكسرهم وتبعهم إلى "حوبة" التي عن شمال دمشق واسترجع كل الأملاك ولوطاً أخاه وأملاكه والنساء ايضاً والشعب"(تك:١٤/١٤-١٧) ونلاحظ فوراً الخلط في الانتساب والقرابة، فهو يسمي لوطا أخاه مرة ثم ابن أخيه مرة أخرى، والحقيقة كما أوضحتها كتب التاريخ الوثوقية أن لوط هو ابن هاران بن تارح فيكون ابرام عمه. وكذلك أنها اسمته بالعبراني وهو لم يعبر أية مياه.. والعبور الذي تقول عنه التوراة هو عبوربحر "سوف" الفاصل بين سيناء ومصر. إلا أن الكتبة يسيسون التوراة بحسب أهوائهم فتفلت الحقائق من بي أيديهم ويقع الخلط في السطور، سواء بالأسماء أم الأماكن و الأزمان. كما نلاحظ أنه بعد عودته نصب خيمة، إذن فقد كان بدوياً، في عصر كان العمران السومري والبابلي والكنعاني والفينيقي - الفلسطيني في أوج تطوره.. وكذلك المذابح فقد كانت تقام قبل الحصول على الأمر المبتغى وليس بعده وهذا مارأيناه في أساطير المنطقة التي أخذ الكتبة عنها توراتهم.. وذلك لدفع الخطر والشفع لدى الآلهة. أما في التوراة فإن ابرام أقام المذبح بعد الحصول على المبتغى. ثم لماذا يكذب على امرأته وعلى الفرعون ليزنى بها؟.ولماذا كل هذا التزييف على لسان نبي كريم جعلوه قواداً يأمر امرأته أن تكذب وهو يدري أنه سيزني بها الفرعون وقد أبلغه الفرعون بذلك كل هذا من أجل أن تسلم حياته ويحصل على الخير بسببها-أي أن تسكت عن الفحشاء وتأخذ "الخير" الذي أصابه منها..؟ لماذا كل هذا العهر؟..

أو هذه أخلاق الأنبياء لديهم؟ ثم تسخر التوراة كل هذه الأسطورة المجمعة من هنا وهناك وبشخص ابراهيم البابلي ليكون بطل القصة التي تستهدف تملك أرض فلسطين.

هذا مايخص النقولات التوراتية من الأسطورة السومرية والبابلية والكنعانية، في سفر التكوين، أما نقولاتها عن الأسطورة المصرية القديمة، فإنها تقارب النقولات عن الأساطير السابقة. فكما كان اله ابراهيم هو ايل-أو يهوه، واسرائيل هو عبد الاله ايل فقد انفرد باله خاص، على مبدأ التفرد الاخناتوني التوحيدي، عن طريق فيلون اليهودي (٥٠٠م) وقد استبدل ابراهيم هنا بموسى فكانت "اللوغوس-الذهن أو الفهم أو ماجال في القلب من فكر أو منبع للفكر عند المصريين-لتحول القصة من بطل الى بطل آخر يعطي الأول المهمة للثاني ولتنتهي الى مبتغى كاتب التوراة) فإن الوثيقة الكهنوتية (P) من الأصحاح الأول والثاني في سفر التكوين التوراتي مأخوذة تماما من الوثيقة اللاهوتية المصرية (وثيقة بتاح) حتى هيليوبوليس من ٣٤٠٠ ق.م حتى أخناتون ويمكن وضع الجدول التالي لتحديد النقل التوراتي من الوثيقة اللاهوتية المصرية(بتاح):

الوثيقة المصرية	الأسفار التوراتية
١. نطق الا لـه بكل الأسماء فتحولت كل كلمة خرجت من فمه إلى موجود	ومثال الله ليكن.. فكان كذلك (تك:١/٣-٦-٩-١٤-٢٠-٢٤)
٢. فكان أن أوجدالا له للفكر قلبه وكلمة لسانه كل البشر وكل ما بها ثم الأرض وكل الزواحف	وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كأجناسها بها ثم ودبابات ووحوشا (تك: ١/٢٤).
٣. وعندما خلق الا له البشر، جعلهم على صورته وأخرجهم من ذاته	وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا. فخلق الله الانسان على صورته، على صورة من خلقه(تك:١/٢٦-٢٤).
٤ ووفر الله كل غذاء وطعام للبشر.	وقال الله إني أعطيتكم كل مايكون لكم طعاماً (تك: ١/٢٩).
٥ وخلق لهم الأسماك والطيور وكل الحيوانات	وقال لهم تسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض(تك:١/٢٨). (مع فارق هنا في النقل وهو أن اللاهوتية المصرية تقول خلق الله فيما تقول الأسطورة التوراتية تسلطوا ذلك لطبيعة الإلهين-بين الا له الخالق واله تسلطي دموي....)وتتابع

١. ووضع الا له النور للبشر	وقال الله ليكن نور فكان نور(تك: ١/٣).
٢. هو الذي رفع السماء وفصلها عن الأرض التي صنعها	عمل الرب الا له الأرض السموات (تك: ٢/٤).
٣. ولم يكن في الأرض ماء فروى ظمأهم الى الماء من فيضه	ولم يكن الرب الا له قد أمطر على الأرض بعد (تك :٢/٥).
٤. وقهر وحش المياه وأخضعه	أتصطاد لوناثان بشص، أو تضغط لسانه بحبل؟ استله في خطمه أم تثقب فكه بحرافة؟ أيكثر التضرعات اليك أم يتكلم معك باللين؟ هل يقطع معه عهداً تتخذه عبداً مؤبداً(أيوب: ٤١/١-٤).
٥. خلق الا نسان من طينة الأرض وسواه على عجلة الخزاف.	وجعل الا له الرب آدم تراباً من الأرض (تك:٢/٧).
٦. ونفخ في أنفه الحياة ليحيا فصار حياً	ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية
٧.وانبت للبشر النبات والأشجار من الأرض لتكون طعاماً لهم	وأنبت الرب الا له من كل شجرة شهية للنظر وجيدة الأكل(تك:٢/٩).
٨. وخلق الا له شجرة الا يشيد المقدسة. الا له خالق شجرة الحياة، وهو الذي قسمها الى شجرتين	وخلق شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر (تك:٢/٩). وهذه مأخوذة من البابلية ومن المصرية ومرتبة ترتيباً واضحاً.
٩. وبعد أن أوجد الا له بفكرة وحكمته المياه، وأوجد الأرض والأعماق وكل ماتحتها، وأوجد كل ماعلى الأرض وكل ماهو كائن وما سوف يكون: استراح	فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل.. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل(تك:٢/١-٢).

إذن استراحة الاله مأخوذة من المصريين أما الرقم (٧) فهو بابلي. اضافة الى العادات المصرية مثل الاغتسال والمسح بالزيت والدهون. فتقول التوراة في سفر الخروج ٢٩/(١،٤،٧):"يتقدم هرون وأبناؤه وتغسلهم بماء وتأخذ دهن

المسحة وتصبه على رأس هرون وتمسحه.." وكان المسح والاغتسال يستخدمان في المعابد المصرية للتطهير. والماء في الديانة المصرية عنصر ذو قدرة سحرية وتسمى "ماء الحياة".. ويمنح المغتسل نعمة إلهية..وأن الماء قد خرجت منها كل الأشياء في الأسطورة المصرية وقد ذكرت الأساطير المصرية قصصاً في إطار سحر الماء.. منها قصة الأخوين(التي ألفت منها حكاية يوسف في عهد سليمان-في التوراة هذه) فقد أعيدت الحياة الى الأخ الذي مات بأن وضع قلبه في الماء فوهبته الحياة.. وغسل المصريون أمواتهم قبل رحليهم الى قاعة أوزيريس(السفلى). وأن الماء قد خرج من كيان أوزيريس وهو الذي يعيد الحياة بها.. وفي ترنيمة لأوزيريس تقول الترنيمة"الدفق المقدس الذي يخرج من ذات أوزيريس يحيي البشر، وحيوانات الأرض وزواحفها".. فهي خلق كعملية الخلق الأولى. وقد أخذ يهوه هذه الترنيمة وجعلها على الشكل التالي:"وقال الله ليكن جلد في وسط المياه.وليكن فاصل بين مياه ومياه فعمل الله وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوقه وكان كذلك ودعاها الله سماء". تك ١/٦-٨/.

٢- الشرائع الغائية...

يتضح من التواريخ أن وجود ابراهيم (ابرام) في أرض الكلدان قد عاصر زمن الملك البابلي السادس حمورابي /١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م/ ويعتبر حمورابي أول مشرع للقوانين(أو الدساتير) في تاريخ البشرية.. وليس من قبيل الصدفة أن يأخذ التوراتيون عنه شرائعهم خاصة وإن شرائع البشر اللاحقة قد أخذت عنه.. إلا أن الفارق بين أخذ المشرعين عن حمورابي وما أخذه كتبة التوراة هو أن هؤلاء الكتبة نسبوا ما أخذوه عن حمورابي الى أنه منزل، أو شريعة سماوية أنزلها الله على نبيهم (الخاص).. علماً بأن الشرائع تستقي احكامها من المجتمع أو البيئة التي يحيون فيها وتخص الظروف السياسية والدينية والأحوال الاجتماعية وتصريف الأعمال والعلاقات وأنماط المعاش فيها بما ينسجم وحياة الناس(شعبا أم حكاما) ومشكلاتهم اللاحقة.

وكل شريعة تتأثر بالتي قبلها طبقاً لتدرج الحياة ومجرى التطور التاريخي للبشرية. وقد سبقت شريعة حمورابي شرائع اليهود بخمسة قرون على الأقل.. وهي مكونة من ثلاثة آلاف سطر مكتوبة باللغة البابلية-بالخط المسماري الأكادي- على مسلة كبيرة من حجر الديورانت الأسود. وقد أقامها ملك السلالة البابلية الأولى، السادس، في فناء معبد "ايزاكيلا" معبد الاله مردوخ-الاله الرسمي للدولة البابلية-ونصب مثلها في معبد الاله "شماس" في مدينة سيبار-الاله الرئيس للمدينة، وقد ظهر فيها حمورابي وهو يتسلم عصا الراعي وشريط القياس للبناء من الاله شماس وهو جالس على عرشه وقد ارتدى حمورابي رداء الكهنة

والعمامة-وهي لباس الرأس عند العرب الغربيين. وصنفت الشريعة البابلية في اثنتي عشر قسما، يظهر منها /٢٨٢/ مئتان واثنتان وثمانون مادة بشكل واضح، ولكنها في الحقيقة تعد أكثر من ذلك في خوزستان، أي بلاد عيلام-حيث نقلها الملك العيلاني"شتروك ناحوتي" الى بلاده بعد غزوه بابل عام ١١٧١ ق.م ثم نقلها الفرنسيون عام ١٩٠٢ الى متحف اللوفر في باريس.. ومنذ ذلك التاريخ انكشفت اولى الوثائق التي تميط اللثام عن مصادر التوراة الحقيقية، بل وعن حقيقة التوراة المزيفة، المنقولة والمنتحلة لآداب وقوانين وديانات، وتراث شعوب المنطقة القديمة التي لم يكن لليهود فيها أي دور أو إسهام بشكل قاطع على الإطلاق.. ومن يقرأ هذه الموارد وشرائع التوراة يجد النقل شبه المطلق والحرفي لشرائع حمورابي، بحيث يجد أن معظم الشرائع في المسلة البابلية وفي كتب التوراة واحدة في معظمها أو متشابهة في عضها. وإن الاختلاف الحاصل في بعض الشرائع التوراتية إنما عائد الى الظروف والغايات التي ترمي اليها كتبة التوراة.. وبطبيعة الحال إن التشابه بين نصيب يعني أن الأحداث أخذ ونقل عن الأقدام، وهذا أكثر من التناص المتفق عليه في تحليل النصوص والكتابات. كما أنه لايندر في مثل هذه الحالة-في باتوارد الخواطر والاستخضار أو التخاطر.. إذ أن التوراة أحدث من شريعة حمورابي هو ملك(وهل يأخذ الاله من العبد؟) وقد أق حمورابي بذلك في مقدمة الشريعة وجاء فيها:"إن الآلهة قد نادتني لأمنع الأقوياء من أن يظلموا الضعفاء ولأنشر العدل في الأرض وأرعى مصالح الخلق". ويتضح من هذا القول الفعل البشري- الأرض-كما أن آلهة حمورابي ليست أكثر من أسطورة وهي لأناس بيعنهم، لفئة من البشر (الشعب).. لكن حمورابي البشر قد طمح الى نشر العدل على كل الأرض وكل الخلق.. وإله التوراة ظالم وقاتل فقد حدد شريعتها بأناس وخصهم بها فهو عنصري، فيما أن حمرابي الإنسان أعدل وأكثر انصافا.. ولذلك فإن شريعة التوراة منقولة بما لايدع الشك ولا الالتباس. وهذه هي الفرق أو الاختلافات الواردة أو الحاصلة بين نصي حمرابي والتوراة.. أي فيما يتعلق باليهود وغير اليهود، وهي خاصة ببني اسرائيل حصراً وبالعبيد الذين هم في حوزة ملك اسرائيل وحكمهم . على أن الاحكام البالية تفرق بين طبقات الشعب وفي فرض العقوبات بين فئات المجتمع الواحد.. فالعقوبة على الشريف في شريعة حمورابي تختلف عن العقوبة التي تفرض على غيره من عامة الناس(الأرقاء). وتنص شريعة حمورابي على أنه"إذا صفع سيد خد فرد، تقطع أذنه.. أما إذا شخص اعتيادي صفع شخصاً

اعتاديا على خده فعليه أن يدفع له عشر شاقلات [1]المادة ٢٠٤-١٠٥. وفي مادة أخرى يبين حمورابي قانونه أنه:"إذا فقأ شخص عين أحد أبناء الأشراف فتفقأ عينه. أما إذا فقأ عين شخص اعتيادي فيدفع "منا" من الفضة"[2] -المادتان ١٩٦-١٩٨/.

وقد استملت شريعة حمورابي على مسائل تتعلق بالري والزراعة وتنظيم علاقات المزارعين.. وهذه لم ترد في التوراة.(لكن السامريين أخذوها في أعرافهم كما مر معنا). لأن كل مزارع فلسطيني كان يزرع أرضه الغنية يسقيها من مياه الأمطار لامن دجلة والفرات.. ولهالم يأخذ كتبة التوراة بهذه المواد أو أنه لم يكن كتابهم شموليا كما هو شأن شريعة حمورابي الشاملة. أو يمكن أن يكون كتاب الله محدودا بهذه الصورة؟!.. وكذلك الأمر بالنسبة للأسعار وأجور العمال والسفن وخزن الحبوب والتجارة فهذه كلها غير موجودة في التوراة!!؟ وهذا الأمر إذ دل على شيء غير السرقة فإنه ليدل على إن حياة البابليين كانت حضرية وأن حياة اليهود كانت بدوية(رعاة).. من ناحية. أو أن الحضارة البابلية كانت أرقى بكثير مما كان عليه اليهود من حياة الخيمة كما ذكرته التوراة عن ابراهيم بعدعودته من مصر والعزلة والتشتت التي عاشها هؤلاء في كل مراحل وجودهم في المنطقة ومنذ قدومهم من أواسط آسيا حتى كتابة هذه التوراة. علما بأن حمورابي كان قبل كتابة التوراة بخمسة قرون فهل هذا مقبول في منطق التطور أو باب التدرج التاريخي.. أن الجواب هو بالنفي بطبيعة الحال، إلا أن مثل هذه الأحكام-عن الري والسقي -قد وجد في التلمو- بعد السبي البابلي. وهذه اشارة كبيرة وحقيقية قاطعة الألسن المكابريين بأن التوراة صياغة كتبة-بشر وكتاب خاضع على الدوام للحذف والتنقيح والزيادة والتحقيق والشرح والتفسير وفي متن النص ذاته لاعلاقة له بصفائح موسى ولا شريعة حمورابي ومثيلها في التوراة لنتوضح الأمر ونقرن الشيء بالشيء(بمقارنة النصين). ويمكن لنا أن نسهل أمر المرجعية على القارئ بذكر أرقام المواد المسروقة من شريعة حمورابي الى التوراة في الجدول التالي:

---

(١) والشاقلة أو الشاقول هو وزن بابلي وليس اسرائيليا-وهذا دليل على انهم اخذوا حتى اسم العملة من البابليين ويزن الشاقل ٨ غرامات أو ٨٠ حبة من الفضة.

(٢) المنا نوع من الوزن البابلي يزن ٥٠٠ غرام أو عشرة شواقل.

أرقام المواد البابلية	المواد التوراتية وأرقامها في نصوص التوراة
٧	لا:٦/٢-٧
٨	خر:٢٢/١١
١٤	خر:٢١/٦
٢١	خز:٢٢/٢-٤
٥٣-٥٦	خر:٢٢/٦
٥٧	خر:٢٢/٥
١١٧-١١٩	خر:٢١/٢ -١١
١٢٥	خر:٢٢/٧-٩-١٢
١٢٩	لا:٢٠/١٢
١٥٥	لا:٢٠/١١
١٥٧	خر:٢١/١٥
١٩٥	خر:٢١/٢٤ -٢٥
١٩٦-١٩٧	لا:٢٤/٢٠
١٩٩	تث:٩/٢١
٢٠٠	خر:٢١/٢٦-٢٧
٢٠٦	خر:٢١/١٨-٩-١٢-١٧
٢٠٩	خر:٢١/٢٢-٢٥
٢١٠-٢٤٥	خر:٢٢/١٤-٢٥
٢٥٠	خر:٢١/٢٨
٢٠	٢٠[١]

ولنورد الآن بعض الأحكام الرئيسية التي تهمنا لموضوع البحث من شريعة حمورابي المنقولة.

١- حكم العين بالعين والسن بالسن:

وتعتبرهذه المادة قاعدة اساسية في شريعة حمورابي، وتنص عليها المادة ١٩٦:"إذا فقأ أحد عين احد الأشراف عليهم أن يفقأوا عينه" المادة ١٩٧: "واذا

(١) خر-سفر الخروج-لا:سفر اللاويين -تث: سفر التثنية.

كسر سيد عظيم سيد آخر فعليهم أن يكسروا عظم"، والمادة ٢٠٠: "وإذا قلع سيدسن سيد من طبقته فعليهم أن يقلعوا سنه" المادة ٢٢٩:"إذا بنى سيد لسيد بيتا ولم يكن شغله متيناً بحيث انهار البيت الذي بناه وقتل صاحب البيت فيقتل البناء"، مادة ٢٣٠:"وإذا قتل ابن صاحب البيت فعليهم أن يقتلوا ابن ذلك البناء". أما التوراة فقد أوردت هذه المواد على النحو التالي:

"وإن حصلت اذية تعطي نفسا بنفس وعيناً بعين وسنا بسن ورجلاً برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض" خر:٢١/٢٣-٢٥:. وإذا أمات أحد إنساناً فإنه يقتل. ومن أمات بهيمة يعوض عنها نفسا بنفس، وأن أحدث انسانا في قريته عيبا فكما فعل يفعل به، كسر بكسر وعين بعين وسن بسن، كما أحدث عيبا في الانسان كذلك يحدث فيه"لا: ٢٤(١٧-٢١)، ولاتشفق عينك، نفس بنفس، وعين بعين، سن بسن، يد بيد، رجل برجل" تث:٢١:١٩.

٢-في الرق:

وقد أجازت الشرائع البابلية الرق، وعالج حمورابي الرق بحقوق وواجبات، وحدد حقوق الرقيق(في المواد ٢٧٨ حتى ٢٨٢). حتى لايكون الرقيق أبدياً، ومع هذا حكمت على "كل من احتفظ في بيته برقيق هارب أو ساعد رقيقاً هارباً أو أمة هاربة يحكم عليه بعقوبة الاعدام" المواد(١٤-٢٢). وقد اخذت عنها التوراة وعالجته على النحو التالي:"فمن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلاً" خر:٢١/١٦. إلا أن التوراة حصرت الرق في بني اسرائيل:"إذا سرق أحد نفساً من أخوته بني اسرائيل واسترقه وباعه أو وجد في يده يقتل قتلاً"(تث:٢٩/٧). فهي اذن لاتعالج الرق كمشكلة اجتماعية بل من وجهة عنصرية بحتة ومن حيث العلاقة ببني اسرائيل. بحيث جعلت الرق موقتا أو طارئا بالنسبة لبني اسرائيل، أي ليس فيها رق أبدي للعبد الاسرائيلي، بالطريقة التي عالجها حمورابي وجعلها لكل الناس، فيما حولت الرق من غير الاسرائيليين الى متاع "يتوارثه الخلف عن السلف" لا:٢٥/٣٩-٥٥/. وشجعت على تهريب الرق من غير الاسرائيليين فنصت:"عبداً أبق اليك من مولاه ولاتسلمه الى مولاه، عندك يقيم في وسطك في المكان الذي يختاره في أبوابك حيث يطيب له.. ولاتسلمه "تث:٢٣/١٥-١٦/ وقد جاء في سفر الخروج ٢١/٢ ت٤/ك"اذا اشترى اسرائيلي عبداً عبرانيا فسبع سنين يخدم عندك وفي السابعة تطلقه مجانا. أما بنوه فيتركهم لسيده".. فيما إذا كان العبد من غير العبرانيين فإنه يسترق رقا أبديا ويتوارثه الخلف عن السلف كالمتاع كما مر معنا وتقول التوراة: "لاتستعبده استعباد حي، كأجير كنزيل يكون عندك، ويخرج مع بنيه ويعود الى عشيرته والى بائه لأنهم عبيدي".. وفي هذه الفقرة نستدل شيئا آخر غير العبودية بل في عبارة "من غير العبرانيي" ثم ورد فيما سبق من غير الاسرائيليين.. نستدل أن الاسرائيلي لايستعبد أما العبراني

يستعبد، وأن هذا موجود في سفر اللاويين فالأمر مغاير..؟؟! وهـذا مـايؤكد أن الكتبة متفرقون ومتخصصون بسفر وآخرين بسفر آخر. ولهذا وجدنا فريقاً آخـر يأخذ ببعض الأسفار فقط، فما المقصود بذلك.. لنرجع الى السفر نفسه ونتبين أن هناك اسرئيليين وهناك عبرانيين، فمن أي الفريقين تجيز التوراة الاستعباد ومـن هو الفريق المقدس؟.. أولا لأن هذه النصوص مأخوذة حرفيا من المادة ١١٧ من شريعة حمورابي، حشرت الأسماء في النص المحرف أو المضاف اليه.. تقـول التوراة:"وأما عبيدك، إماؤك الذين يكونون لك فمن الشعب الذي حولكـم منـهم تقتنون عبيدا وإماء. وأيضاً من أبناء السمتوطنين النازلين عندكم ومن عشـائرهم الذين عندكم، الذين يولدون في أرضكم، فيكونون ملكاً لكم، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستفيدون منهم الى الدهر، وأما أخوتكم بنو اسرائيل فـلا تبسط أنساناً على أخيه بعنف(..) ولاتطلعه فارغا بل زوده من غنمك ومن بيدرك ومعصرتك، كما بارك الرب إليك تعطيه(...) وإذا باع رجل ابنته أمة تخرج كما يخرج العبيد".. سفر الخروج ٥١/٧-١/ث ١٥-٦-١٤/ و ١٨/.. .هـذا هـو النص المتفق مع نصوص بابل.. أما النص الآخر الذي وجدنا فيه تميـيزاً بيـن الاسرائيلي والعبري أو العبراني فهو المدون في سفر اللاوييـن رقـم ٤٢/٢٥-٤٧-٤٨/ وفي سفر الخروج رقم ٢/٢١: وهذا نص سفر الخـروج:"إذا اشـترى الاسرائيلي عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً مجاناً.. وتكلمه هذه الفقرة في سفر اللاويين المذكور وهذا نصها: الأن بني اسرائيل عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لايباعونً بيع العبيد".. الخ.. اذن أن العبري والعبيرو هو غير الاسرائيلي في التوراة.. وقالت التوراة بأن العبرائيين غربـاء وليسـوا منهم واشار موسى الى ذلك صراحة فـي هـذا النـص (الخـروج).. اذن إن الاسرائيلي هو غير العبراني.. علماً بأنهم يسمون لغتهم بالعبرية لا الاسرائيلية.. فما مردود هذا الخلط؟ انه دليل على أن هناك عدة نسخات ومنها تـوراة بابليـة وأخرى مصرية..

وكان السرمريون لايأخذون بهذه الأسفار وكـانوا أيضـاً يسـمون لغتـهم بالسامرية القديمة التي تمت الى العبرانية، وذلك تمييزاً لها ولـهم عـن اللغـة الاسرائيلية. ثم زعم السامريون أن لغتهم هي العبرانيـة القديمـة التـي نزلـت الشريعة بها ويقصدون بالقديمة:الكنعانية والتي هل أصل أو أم العبرانية. لكن لغة موسى واتباعه التي ذكرتها التوراة لم تقل عنها لغة العبرانيين بل سـمتها"شفـة كنعان" أي لسان كنعان، ثم يهودية ثم"لسون حقوديس" أي اللسان المقـدس، أمـا

كلمة عبري وعبراني الأرامية فقد صاغها حاخـــامو فلســطين لاحقــا[1] .. ثــم استخدموا لفظ العبري واليهودي كاسمين لمسمى واحد، وذلك لارجاع كــل مــا يمت الى العبريني والعبيرو واليهودي إليهم وهو لايمت لهم بصلة. وفي روســيا مثلا لم تستعمل كلمة عبري الا في القرن الخامس عشر.. وقــد لاحظنــا أنــهم اشتقوا لغة في ألمانيا(اليديش).. كل ذلك يجعلنا نقول أن لغتهم الحالية ليست لهم، فهم أقوام بدوية رحلت من وسط آسيا ولاتملك لغة(بل اخذوا لغة الامبراطوريــة العظمى التي دخلوا في حرمها)ولادينا ولاثقافة أو أدبا وتقاليد وما الـــى ذلــك.. فأخذوا معهم لغة آرام، البابلية ثم الكنعانية، ولما اتفق الظرف لهم عادوا ليقولوا أن العبرية لغتهم وانها اول لغة سادت في الأرض. أجل قالوا هذا قبل أن تكتشف الرقم وقبل أن تتوضح المخبوءات وتكذب بالحقائق الدامغة كذب وافتراءات هذه الفئة التي هي أخطر فئة بشرية منذ تكوين الخليقة حتى اليوم، وأجيز القول بأنها الفئة الدموية المتعطشة للقتل إنها الفئة القاتلة الباغية.. ويقول درايفر أيضا فــي هذا السياق:"الحاخامو هم الذين صاغوا هنا هذا الاصطلاح عــبريت(العبريــة) للدلالة على اليهود متأخرا، واسدلوا الستار على الكنعانية (لغــة فلســطين) الأم، واعتبروا الذات العبري-اليهودي هو الكل في الكل وأسموا اللغة الكنعانية عبرية، وأنها لغة التوراة، واللهجة التي كتبت بها المشنة(عبرية التوراة وعبرية المشنــة) "ثم عبرية القرون الوسطى.. الى الحديثة.. وسار المتدينون على هذا النمط مــن القول ومعهم بعض الغربيين[2].. إلا أن ما اكتشف في ايبلا حتى الآن، قد أمــاط اللثام عن الحقائق المفترى عليها في كتاب اليهود هذا وادعاءاتهم.. وأوضحــت الرقم أن اللغة هي كنعانية (نسبة الى كنعان ذلك الذي لعنه ربهمم قبل أن يولــد بعد؟!".. ولغة ايبلا بالطبع هي كنعانية قديمة وقد اكتشف من آثارها حتـــى الآن ١٧٠٠٠ رقيم وجدت في مكتبة القصر الملكي.. ومنها رسائل لسرجون.. وقــد بينت مكتشفات أوغاريت قبلها، مزامير وأسفاراً وتراتيل كنعانية ومنـــها مــاهو مسجل في نشيد الأنشاد والذي مر ذكره.. (امرأة تتعــت إلهــها بعــل: براكــب السحب) في حين أن المرأة اليهودية اطلقت على إلهها اسم يهوه فـــي التــوراة" الركب في قفاز" مز ٦٨/٤.. وكذلك نعت حوت بعل بالرعد.. وكذلـــك تســميه لوتايان "الحية" التي وردت في الكتابـــات الأوغاريتيــة ويبلــغ عــدد الــتراتيل الأوغاريتية المكتشفة عدة آلاف. ومن هنا نرى مدى وطول يد كاتب التوراة على آداب كنعان ونسبها اليه وعلى أن كتابه هذا منزل وسماوي.. وانطلقــت الكذبــة

---

(١) G.L.Driver: Hebrew Language Ency.Brrt.١٩٦٥.

(٢) نفس المرجع السابق.

ردحا من الزمن.. إلا أن تواتر المكتشفات طوح بهذا الزيـــف وبــهذا الكتــاب والسفر الدموي القاتل للبشرية ومعتقداتها والسافح لدمائها على طول الخط أضف الى ذلك أن قصة أيوب مأخوذة تماما من أصل نص أدومي- ورد فيها اسم ملك أدومي قديم: يوباب بن رزاخ-وأن صاحب سفر أيوب الوارد في التــوراة هــو عربي الأصل وشاعر نظم شعرا في القرن العشرين قبــل الميــلاد (٢٠٠٠ق.م) على أثر نزوح العرب من الجزيرة العربية الى بلاد مابين النهرين. وقد قام كهنة اليهود بترجمته الى العبرانية ثم عد من الاسفار المقدسة وضاع أصله العربــي.. والشعر صفة من صفات أمة العرب سبقوا كل المخاليق اليه وبــــه وقــد وجــد شعرهم قبل إلياذة هوميروس بـــ(١٠٠٠) عام...

وما دمنا في الحديث عن ذلك، نذكر أنه اكتشفت أوراق بردي لمؤلف"حكيم مصري" (فرعون) قديم تتطابق تماما مع حكم وأمثــال سـليمان ذات المصــدر المصري القديم. زيادة على أن التقاليد اليهودية مثل الختان هي عــادة مصريــة قديمة وفينيقية.. والنفور من الخنازير هي عادة فينيقيــة.. وكذلــك حــرق كبــد الذبيحة، والكلية والخطية والشحم، على المذبح وتقديم (١٢) قرصاً مــن الخــبز للرب هي عادة بابلية. وكذلك حصة الكهنــة.. ورش دم الذبيحــة عنــد العتبــة (عتبات قصور بابل) فاتخذها اليهود عادة أو طقسا دينيا فــي عيــد فصحــهم.. وكذلك طقس أدونيس (المظال أو المظلات"السكوت") فهي فينيقية.. واقتبست كل هذه الطقوس من البابلية أو الكنعانية وبصورتها الوثنية لتكون ديانة ووجهت هذه الديانة ضد الكنعانيين بقصد تملك أرضهم (فلسطين).. لكن ماذا يمكــن أن تفيــد هذه النصوص المسروقة أو المنتحلة بما يشير الى أي أثر حضاري أو مدني في ذلك العصر وبوجود امبراطوريات كبرى مثل البابليـــة والكنعانيــة؟.. لاشـــيء بالطبع ونعود الى شريعة حمورابي وما أخذ اليهود عنها:

٣-انتهاك حرمة الأبوين:

فقد أكرمت الشرائع البابلية الوالدين ونهت عن العقوق، وقد تباينت درجـــة العقوبة والشدة مع التوراة.. فقضى حمورابي"بقطع يد الابن الذي يضرب أباه أو أمه" مادة ١٩٥، أما في التوراة فقد نصت:"من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً.. كل أنسان سب أباه أو أمه فانه يقتل. من سب أباه أو أمه.. دمه عليه" خر :٢١/١٥-١٦ وتث :٢٠/٩ .كما أمرت برجم الابن المعاند بالموت رجما. وعاقبت السكير المسرف بالرجم:"يرجمه رجال مدينته حتى يمــوت"تــث:٢١/١١-٢١/. إلا أن الاسرائيلين لايتقيدون بهذه الأسفار فهم يقدمون على ضرب الآبـــاء والأمــهات وبخاصة أولئك الذين يقفون في وجه زعمائهم وفي الكنس ذاته وفي يوم الســبت الذي يقدسونه.

٤-الزنى والاغتصاب:

حاربت الشريعة البابلية كل أشكال الفحشاء فأمرت: "لاتتزوج بغيا.. أنها لاتتشلك من ورطتك، ففي خصامك معها تتبذأ عليك، إذ ليس لها حياء ولاطاعة، وعليك إن هي استولت على البيت أن تسرحها. إن فكرها مع الغريب. البيت الذي تدخله تخربه. وزوجها لايتوفق"[١] .

وفي التوراة تفسير لهذه الحالات لكن بطريقة معدلة أو غامضة نوعا. فهي في التوراة -الوصايا العشر لموسى-صريحة، على حين أنها شكلانية في التوراة المزيفة. تقول توراة موسى: "لاتزن" وفي أسفار لا:٢٠/١ وتث:١٩/٨ تقول التوراة:"لاتشته امرأة قريبك".. ودما تشابه في الدلالات للنيي لكنها مختلفة .

ويقول حمورابي:"اذا قبض على امرأة سيد مضجعة مع سيد آخر فيجب أن يوثقا ويلقيا في الماء (النهر) ويمكن لزوج المرأة أن يبقي زوجته على قيد الحياة حتى يمكن للملك أن يخلي أمته" مادة ١٢٩. وأيضا:"إذا اختار سيد عروسا لأمته ودخل ابنه عليها في حجرها ويقبض عليه، عليهم أن يوثقوا ذلك الرجل ويلقوا به في الماء"١٥٥." وإذا قبض عليه مضجعا في حجرة زوجة أبيه فيجب طرده من بيت أبيه"١٥٨." وإذا نام في حجر أمه بعد والده فيجب أن يحرقوهما كليهما"١٥٧. "وإذا جامع رجل ابنته فعليهم أن يطردوا ذلك السيد من المدينة"١٥٤.

وفي التوراة:"إذا وجد رجل مع زوجة بعل يقتل الاثنان "تث:٢٢/٢٢. "وإذا اضطجع مع كنته يقتلان كلاهما" لا:١٩/٧. ولكن لاتوجد في التوراة عقوبة لمن كشف عورة أبيه وأمه. لكن كيف لعن الرب حاما لرؤيته عورة أبيه المخمور فهذه مخالفة لتعاليمه وكيف حصل هذا؟!.. أما في البابلية فتوجد عقوبة أدبية لهذه الخطيئة..

وتنص التوراة أيضا:"أما إذا اتخذ رجل امرأة وامها فقد ارتكب رذيلة" ، بالنار تحرقونها" لا:٢٠/٤٠. ولاعقوبة محدودة كما ورد في الشريعة البابلية لمن زنى بابنته. وقد زادت التوراة في إطار الزنى والفحشاء(في سفر اللاويين مرتين) وهي مشكلة اللواط وجماع البهائم او الوقوف أمامها لنزائها.. وقالت:"لاتضاجع ذكرا مصاجعة امراة انه رجس" لا:٢٢/١٨. "وقالت في مكان آخر:"يقتلان" لا:٢٠/٢١؟ ففي الأولى نهت عنه نهيا اما في الثانية فعاقبت الزاني(الانسان)بالحيوان(البهيمة بالقتل كليهما.. وهنا لانسأل كتبة التوراة ماذنب الحيوان فيما يفعله الانسان(العاقل) بل نسأل لماذا عالجت التوراة هذه المشكلة في

---

(١) لطفي الخوري ومحمود الأمين: من الأدي البابلي-رسائل الاباء الى الأبناء -بغداد ١٩٦٣.

مجتمعها ولم يتطرق اليها حمورابي؟.. الجواب بالطبع هو أن القانون يوضع على قدر الواقع والوقائع. فلم يكن في مجتمع حمورابي(الراقي) هذه الأفعال المنافية للحشمة، فيما كان المجتمع اليهودي (البدائي المتخلف) حافلا بها.. وهذه أبسط التفسيرات.. ونضيف هنا أن هذه الجرائم قائمة في مجتمعهم حيث وجدوا.. وذلك لكونهم يعتبرون الزنى شيئا مقدسا..

٥-السرقة:

فقد نصت شريعة حمورابي على أن لاتجعل نفسك تغويك لارتكاب سرقة ما. فيما أمر موسى في وصاياه:"لاتسرق" وكررتها التوراة المنقولة عن البابليين حرفيا..

٦-السحر وتعاطيه:

وقد حظرت البابلية تعاطي السحر وعاقبت عليه بالقاء صاحبه في النهر. "وإذا خرج سالما فيعدم الذي اشتكى عليه" مادة ٢. أما الساحر في التوراة يقتل"لاتدع ساحرة تعيش" خر:١٨/٢٢. لكن لماذا الساحر هنا أنثى (عند الرب التوراتي؟).. ثم لماذا نصت التوراة على الشعوذة في أسفارها الخاصة بالرجم والتنبؤ في سفر حزقيال ودانيال مثلا..؟.

٧-الربا:

وكان معروفا عند البابليين ولذلك حددوه بأن لكل ٢٠%٦٠ من الحبوب، لكل كور كفائض، وإذا اقترض دراهم بفائض لكل سدس الثقل ست حبات لكل ثقل من الفضة. والكور يعادل ٣٠ تورا والثقل ١٨٠ حبة. وفي التوراة نفس المادة.

٨-تعدد الزوجات:

لقد أجازت الشريعة البابلية تعدد الزوجات وحذت التوراة حذوها-أي نقلت عنها ذلك-وحددت تعدد الزوجات بأسباب:إذا لم تنجب الأولى-إذا كانت ذات عاهة... الخ.. وشرعت تعدد الزوجات للأنبياء والكهنة والملوك والأسياد(لامك من متوشائيل اتخذ لنفسه امرأتين). وقبل الطوفان أجازته-ثم في عهد ابراهيم(هاجر وساراي و..)وأن ورودها في التوراة يعطيها صفة القانون في الشرع اليهودي وهكذا يحصل تعدد الزوجات في البابلية واخذتها التوراة عنها كما هي. وقد عثر على شريعتين سومريتين هما أقدم من شريعة حمورابي وتعود الأولى الى عهد الملك السومري"اورنمو" مؤسس السلالة الثالثة ٢١١٣-٢٠٩٦ ق.م أما الثانية فتعود الى عهد لبيث عشتار ملك ايسن ١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م من العهد الاشوري... كما عثر على الشرائع المنسوخة في التوراة وهذه تطرح سؤالا بدهيا وهو أن موسى لم يضع كل هذه التشريعات وأن التوراة أكدت هذا.. فمن اين جاءت بهذه التشريعات؟.. تقول التوراة أنه القاها على اتباعه شفاهة

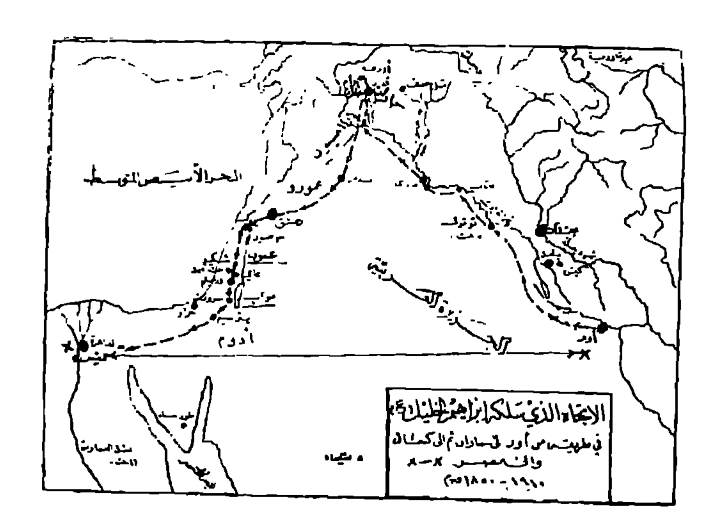
وهم نقلوها حتى وصلت، بالنقل الى الكتبة وهذا أمر مشكوك بصحته إن لم نقل بأنهعار عن الصحة تماما ودليلنا على ذلك قد اتضح جليا أن الملقي والناقل ليس موسى ولاأتباعه-كما رأيناه-بل هم السومريون البابليون والكنعانيون وغيرهم من شعوب المنطقة القديمة. وبمختصر الكلام.. إن هذه الشرائع ليست من عند الرب ولا كتابا ربانيا فهو كتاب وثني لأقوام وثنية أخذت عن اساطيرعربية.. خاصة وأن أنبياء هذه التوراة عاشوا في بابل في زمن السبي رحالاً طويلاً من الزمن.. وبالتحليل نجد أن هذه الفترة تأخذ الحيز الأكبر في التوراة. وبعد دخول كورش الى بابل قال بأنه الملك العظيم القدسي، وأنه ملك بابل وسومر وأكاد والجهات الاربع وأنه سليل نسل الملوكية منذ القدم، وأن الاله "ايل" مردوخ قد أحب حكمه وكذلك سربه قلب الاله نبو سلطان كورش وقام بإنشاء المعابد في بابل (أبساكلا) وفي ايزايدا وغيرها. وقد رحب أنبياء التوراة بكورش واعتبروه المسيح المنتظر الذي يشيد مملكة اليهود أشعيا٤٤/.. ولم يكن هؤلاء أعدادا كبيرة وعندما أعادهم كورش الى فلسطين أخذوا معهم الأدوات والأثاث وكل الأغراض الخاصة بالهيكل مما سلبه نبوخذ نصر، وكلها أخذت من معابد بابل (بساكلا) وسلمت الى حاكم يهودا الجديد والذي اسمه'Sheshbassar' وهذا اسم بابلي محرف -عن شمس-ابال-أوصر" عزرا ٦/٠-٥-٢-١/٨/ . وعزرا هذا هو جامع هذه الأساطير.. وكذلك دانيال فقد عاش في بابل فترة السبي كلها.. فتمكن من الاطلاع على ديانات الشرق أيضا، قبل مبدأ الحيوية، والذي يقول بوجود روح في الأشياء والظواهر الطبيعية وكذلك على الطوطمية الهندية ويرمز الى حيوان خرافي-خارق-بالاضافة للطقوس الدينية البابلية القديمة.. ومنها مذهب المشبهة.. إذ أن البابليين أنسنوا الهتهم (حلول اللاهوت في الناسوت) التي تحمل صفات البشر الروحية والمادية كالهيئة والصورة والأعضاء والفكر والعواطف.. وأن لكل فرد منهم إلها خاصا يحميه ويشفع له. وأن كل أمير ينتسب الى أله لأنه المانح السلطات فيستمد سلطانه من هذا الإله. وراقت هذه الفكرة لعزرا ولدانيال وأخرين غيرهما.. فقبسوا هذه الطقوس الدينية بحرفيتها لتكون سور وآيات كتابهم حذي صار مقدسا وصاروا أنبياءه.. وقد عرضنا لهذه الديانة فيما سبق ومنها الرسائل الخاصة بالخوف من الالهة والتملق لها ومن شدتهافي الشدة والضيق.. وتلقى اشارات هذه الالهة من قبل الأفراد الملوك(كما فعل عزرا) الذي صار ناقلا لهذه الاشارات الوثنية وصارت هذه مقدسة.. وقد وجدنا أن البابليين قد حكموا قبل وبعد الطوفان، وجعلوه حدا فاصلا في التاريخ للأزمان.. وقد دخل هذا التقسيم في التوراة فجعلوه ثلاثة اقسام ضم القسم الأول خمسة أسفار هي(الملوك-اللخروج-اللاويين-العدد-والتثنية) فجعلوه ثمانية ملوك منهم يحكمون قبل الطوفان عام ٣٤١٢٠، ثم يزداد هذا الرقم الى سنة ٤٥٦٠٠.. وهذه

الأرقام سومرية . وهي ناتج ضرب ٣٦٠-٣٦٠ ثم يبدأ العدد.. وقد مر معناأنــه قد أرخ السومريون حكم الملوك بالالاف، بواسطة وحدة قياسية تدعى"سار" وهي ٣٦٠ وحدة، وكل وحدة ٣٦٠ سنة(٣٦٠×٣٦٠=٢٣٧٦٠) ومنهم من كـان يعـد النير عاما ١٠٠٠-١٠٠ سنة. ونود من هذا القول أن نؤكـد بـأن الاختـلاف الحاصل ما بين نصوص التوراة والتخلف التوراتي حيـال التقـدم الحضـاري والتطور الاجتماعي البابلي بصورة عامة وسرقة التوراة لهذا الموروث البـابلي برمته../ حتى الثانوي منه/ مثل نسب المرأة عند البابليين(رأس النسـب) وهـي باقية كذلك عند اليهود الى اليوم وتخدم هذه المقولة اليهود عرقيا أو عنصريا في كل بلد يقيمون فيه أو في أي مجتمع يقيمون معه علاقة وقد لاحظنا هذه العقليـة التآمرية لدى أنبياتهم سواء في بابل أو في مصر عن طريق المرأة التي يكـون زناها فضيلة تارة وفضيحة تارة أخرى بحسب الطقس والظرف، ومع هذا فـهي أصل النسب عندهم؟!.. ويقول نبي التوراة في سفر اللاوييـن:٥١/٧-١- فـي إطار الرق والعبودية حيث يطلق استعباد من هم غير اليهود ولايقبـل بعبوديـة أبناء دينه/يقول:"وإذا باع رجل ابنته أمة فلا تخرج كما يخرج العبيد" أي عليه أن يزودها ببعض الأغراض أو ليس هذا مضحكا وصبيانا حقا كما أشار غارودي؟.

ونجد أن أنبياءهم قد استخدموا النساء في أمور كثيرة ليست كلها من أجل المتعة والجنس أو الثراء وانجاب الأطفال.. بل لأمور شتى.. ربما لاندركها نحن لكوننا بشرا ولكونهم أنبياء فلامك تـزوج اثنتيـن وابراهيـم ثلاثـا وعيسـى خمـس كنعانيات(يهوديت بنت برى الحثي-بسمة بنت ايلون الحتي-عذا بنت ايلون نفسه-اهوليبامة بنت عنى بنت صعبون-بسمة بنت اسماعيل أخت بنـايوت) ويعقـوب تزوج أربعا : ليئة وراحيل بنتي لابان، وجاريتهما زلفة وبلهـة.. وبـهذا فـإن أبناءهن لايمكن أن يكونوا يهودا لأن النسب في التوراة الى الأم ومع هذا تبقـى التوراة ونصوصها قابلة للتكذيب والإبطال حتى عند أصحابها أنفسهم../ وهـذا أمر هام ليت الوقت يتسنى للتفصيل فيه../ وجدعون(قاضي الاسرائيليين) أنجـب ٧٠ سبعين ولدا من نساء كثيرات، وقد ولدت سريته في شكيم أبنا هو ابيمـالك-وعبدون بن هليل كان له أربعون ولدا وثلاثون حفيدا ليسوا مـن امـرأ واحـدة بالطبع/ وراميتا يم صوفيم أبو(صموئيل) تزوج بابنتين: حنة وفنـة. لكـن داوود تزوج بتسع وتسعين امرأة ثم اكملهن بزوجة صاحبه إريا الحثي الذي قتله فصرن مائة.. وقالت التوراة في هذا ايضا:"أنه ترك من نسائه عشرا لحفظ البيت عنـد هربه من أشبالوم ولده" صموئيل الثاني /٥-١٣/ وسمت التوراة من نسائه: ميكال بنت شاؤول، ابيجايل أرملة نابال-أخينوعم من يزرئيل-ملكة بنت تلماي-حجيـث وأبيطال عجلة -بتشبع بنت العيام امرأة أوريا الحثي-وآخر زوجاته التي ذكرتها التوراة ابيشبع الشمونية"٢صموئيل ١-٢/.

أما سليمان.. فقد أحب سليمان نساء غريبات كثيرة.. من ابنة فرعون الــــى بنات مؤاب وعمون وادوم وصيدون وحثيين.. فكانت له سبع مئـــة امـــرأة مـــن النساء السيدات وثلاثة مئة من السراري.. وقيل أكثر مـــن ألـــف بكثــير.. والله أعلم..

ونخلص الى القول بأن التوراة أمرت بذلك وقامت بتنظيم حقــوق أولادهــم فقالت:"إذا كان لرجل امرأتان أحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين، المحبوبة والمكروهة، فأن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ماكان، يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر بل ابن المكروهة بكـــرا تث٢١/١٥-١٧/. وقد نفذت ذلك في أولاد ابراهيم واســحاق فـي حيـن أنــها تجاوزت هذه الأحكام في ولدي داوود: أدونيا وسليمان" من ١/٥ وما بعدها. وقد عرضنا لهذه الأمور بالتفصيل في معالجتنا لنصوص التوراة في الفصل التالي.





الفصل الثالث

التلفيق التاريخي على المحك..

قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ۞ وباؤوا بغضب مـــن الله ۞ ذلــك بانهم كانوا يكفرون بآياته ۞ويقتلون الانبياء بغير حق ۞ ذلك بمـــا عصـــوا وبما يعتدون﴾ صدق الله العظيم

التوراة.. من الوعي الوثني الى الشبق المقدس..

مامن شك أن كل أمة وكل شعب وكل جماعة تكتب تاريخها حسبما يروق لها وكما ترغب، لكن الحقيقة التاريخية شئ والرغبة شئ آخر. وقـــد تتطـــابق الرغبة والحقيقة وقد تتنافر... ومن هنا فإن الإثم الكبير الذي اعتدوا به علـــى التاريخ وزيفوا الحقائق التاريخية،أن كتبة التوراة قد حرفوا التـــاريخ وحرفـــوا الوقائع والأماكن والأزمان والشخصيات ونسبوها الى أنفسهم وأقـــاموا علـــى أساسها تاريخا ترفضه حقائق التاريخ ووقائعه، كما يرفضه المنطق والأخـــلاق في آن معا..

وقد أجلت الرقم والمكتشفات اللبس والتحريف اللذين أحدثهما كتبة التوراة، وحددت مأاخذ من تراث أمة العرب القديم، كما عينـــت الأمـــاكن والعصـــور والشخصيات التي لحقها التحريف والسرقة اللذان انطليا فترة طويلة من الزمن على الناس..

فمثلا قال هؤلاء الكتبة بأن ابراهيم الخليل (خل -ايل) قـــد (غـــادر وادي الرافدين ومعه اليهود الى فلسطين)... والحقيقة أن اليهود لم يظهروا إلا بعـــد ابراهيم الخليل بأكثر من ألف عام.. وإن كانت هـــذه التحريفـــات مـــرت دون تمحيص وتدقيق في التواريخ والعصور وفترات الجولان العربي، فإن مغزاهـــا ايضاً قد غاب عن عيون الدارسين وتفكيرهم -وبخاصة البـــاحثين الغربييـــن، غياباً غير بريء بطبيعة الأمر -وأنهم ربطوا تاريخهم بأهم شخصية مشتـــهرة في زمانها وفي بلادها بغية إعطاء دليل على أنهم أصحـــاب حـــق فـــي أرض كنعان أو أنهم ليسوا يعبدون ابراهيم بل ابراهيم آخر و تحت اســـم آخـــر. ثـــم

جعلوا من موسى بطلا لرواياتهم الزائفة هذه ومن (يهوه) ربـــا خاصـا بـهم وبطريقة بطل الأفلام الأمريكية، يولد وينمو ويهبط مــن عــالم عجيــب، دون إشارة أو حقيقة منطقية أو عقلانية للزمان والمكان..

ثم نسبوا كل مارأوه هاما وماله صلة بمصالحــهم ورغباتــهم إلــى هــذه الأساطير.. وبنفس الطريقة التوليدية اتخذوا من يعقوب أصل نســبهم الخــاص وجعلوا صلتهم الروحية تستمد من ابراهيم ويعقوب. وبهذا نسبوا أنفسهم إلـــى ابراهيم عن طريق ابنه يعقوب الذي أسموه إسرائيل. وعلى هذا الأساس اتخذوا من القواعد العقائدية السائدة في هذه المنطقة أساسا لعقيدتهم المستولدة وديانتهم المجمعة، كل هذا على لسان ابراهيم ويعقوب واسحق، ويهوه (ربهم). فربطوا أصلهم المجهول بأصل هذه الشخصيات العربية القديمة ذات القدر الســـامي - والكهنوتي -في منطقة وادي الرافدين والشام.

وللعلم فإن اسم يعقوب قد ورد في الكتابات الآرامية منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد أي قبل ابراهيم بخمس مئة عام. وقد جاء مقرونا بأسم ايل (يعقوب -ايل -ليحمد الإله يعقوب). كما أن ايل هو الإله الذي دعا إلى عبادته ابراهيم الخليل. وكذلك (ابرام) واسرائيل وردا في الكتابات المصرية لموضعيــن فــي أرض كنعان... ذلك لأنها أسماء كنعانية مقدسة، وقد أطلقــت علــى الأمــاكن والأشخاص للتبرك بها -قبل عهد الخروج، وقبل تدوين التوراة بأكثر من ألف وخمس مئة عام. فاتخذ كتبة التوراة من هذه الأسماء أنبياء لهم وحبكوا حولــها قصصا أسطورية كأسلاف مزعومة.. وقد لخص الكاتب الفرنسي جــان لــوي برنار هذه السرقات بالقول:" ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا مــن توا ريخ الأقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايا فأدخلوا في كتاباتــهم كــل المعلومات التاريخية. ولكن لماذا هذه اللصوصية من قبل الصهاينة؟ الغـــرض منها تلفيق أكذب تاريخ للعالم يثير أعظم ضجة فيه وكل ذلك من أجل اخــتراع مقولة (الشعب اليهودي المختار"الملفقة ")[1] .

ويقول (يرميا) أيضا أن ابراهيم ويعقوب كانا زعيمين دينيين مــن كبــار رؤساء القبائل وكانا يتمتعان بمكانة قدسية في البلاد) [2] .

ولنعد إلى التوراة لنتبين الصورة الزائفة المحرفة عن ابراهيم. يقول كتبــة التوراة أن "تارح" أخذ ابرام ابنه ولوطا ابن ابنه هاران المتوفى في حياة تارح، وأخذ ساراي كنته (زوجة ابرام ابنه) فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبــوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حران وأقاموا هناك". صحيح أن تارح انتقل مــن

---

(1) جان لوي برنار أسطورة الشعب المختار -ترجمة د. أكرم فاضل ١٩٦٩، ص:٢١.

(2) عن تاريخ العرب واليهود: أحمد سوسة.lods " isracl" P.

بلاد الكلدان إلى أرض كنعان، لكن لم تذكر التوراة لماذا أبقى ابنه الآخر ناحور وزوجته (ملكة) ابنة هارون وأخت لوط في أرض كلدان.

ثم عرفنا كتبة التوراة بأن ابراهيم باع زوجته ليكسب الخيرات من ورائها، اي أصاب ثروة بعد جوع عن طريق زوجته (عرضه) ثم ترك مصر مع لوط وعاد "اتجه جنوبا إلى بيت ايل" ثم يفترق مع لوط فيتجه اتجاها آخر يتجه ابراهيم إلى أرض كنعان، بعد مخاصمة على المرعى والكلأ مع ابن أخيه. تك ١٣ -١٢. وهنا تقول التوراة ظهر له الرب:"لأن جميع الأرض التي ترى شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، ونقل ابرام خيامه واتى عند بلوطات - موره- التي في حبرون (الخليل) وبنى هناك مذبحا للرب " تك ١٣ -١٨ .

ونلاحظ كيف ينتقلون بابراهيم حسب رغبتهم، أي لتحديد دولتهم عبر روايتهم الغائية المزيفة..

وهنا هاجم كدر لعومر ملك سومر لوطاً فسباه مع نسائه ومواشيه فأتى من نجا وأخبر ابرام العبراني (تك ١٤ -١٣) ونلاحظ هنا ادخال كلمة العبراني على ابراهيم.. والعبراني تعني عابر البادية أو الراحل، لكن هذه الكلمة ستشكل قومية ودينا كما رأينا.. وانتصر ابراهيم للوط "قلما سمع ابرام أن أخاه سبي جر غلمانه المتمرنين وولدان بيته وعددهم ٣١٨ وتبعهم إلى دان" تك ١٤ (١٤ -١٧) ثم تقول "واسترجع لوطا أخاه وأملاكه والنساء أيضا والشعب" تك١٤ (١٤ -١٧). ونلاحظ هنا أن لوطا قد صار أخا له.. ولكن الأهم من ذلك أن كتبة التوراة قد ذكروا أن الاسرائيلي شيء آخر أي أن الاسرائيلي يستعبد العبراني كما مر معنا. فكيف يمكن فهم هذا الخلط؟...

وجدير بالذكر أن الفترة التي وجد فيها ابرام في الكلدان كانت في فترة الملك البابلي السادس حمورابي ١٧٩٣ -١٧٥٠ ق. م ثم ارتحل إلى مصر فتلقى هناك الإيمان التوحيدي -الاله الواحد الأحد الذي تحصر فيه كافة القوى الخفية.. وكان التوحيد عمادهذا المذهب التوحيدي...

ونذكر أن أخاه ناحور بقي في الكلدان وثنياً متعدد الآلهة.. ولو كان التوحيد معروفا في بيت تارح لكان ابراهيم وناحور توحيديين. وأن راحيل ابنة لابان بن ناحور وزوجة يعقوب (حفيد ابرام) قد سرقت تماثيل والدها تحت حملها لدى هروبها مع زوجها من ظلم لابان. وهي على إيمان أهلها إذ لم يكونا توحيديين.

وتقول التوراة أنه عندما انتصر ابراهيم على ملك سومر في حوبة -دمشق استقبله الناس ومنهم ملكي صادق ملك أورشليم. وكان كاهنا فأخرج خبزا وتمراً وباركه باسم الله العلي العظيم (ايل).

وأن في استقبال ملك شاليم وسدوم في ذلك اليوم قطع الرب ميثاقـــا مـــع ابرام قائلا: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبـــير نـــهر الفرات (تكوين ١٢ -١٨) وهنا تغير اسمه من ابرام إلى ابراهيم وصار اســـم زوجته سارة -لاساراي) كما فرض الرب عليه وذريته الختان". إقيـــم عـــهدي بينك وبين نسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك وكـــل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم "تكوين ١٤/ ٤ -٨".وجعل الرب علامـــة بينه وبينهم ليتعرف عليهم وهي "أعطيكم علامة، أن يختن منكـــم كـــل ذكـــر. فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم " تك ١٧ (٩ -١٢).

أويعقل أن يكون هذا الكلام إلهيا؟. حتى أن أساطير بابل ومصر وكنعـــان كانت أرقى حبكا ومشهدا وأخلاقا مما شاء كتبة التوراة أن يفعلوا من قصـــص صبيانية أو خرافات تحكي للأطفال.. ونلاحظ هنا اعترافا صريحا من الـــرب بـــأن يعطيه أرضا غريبة.ليست له.. فيكون ربهم بذلك سمسار عقارات ...

وتتابع التوراة سرد روايتها عن ابراهيم وتهيل عليه الاساءات وتلصق بـــه تهما لاتليق بنبي أو بشخصية ذات صفة ومكانة قدسيتين في بـــلاده (مـــا بيـــن النهرين وفي الشام أيضا).. وتقول أن امرأته ساراي لم تلد له. وكـــانت لـــها جارية مصرية فقالت له: هوذا الرب أمسكني عن الولادة.. أدخل على جاريتي أرزق منها بنين... فسمع ابرام كلامها فدخل على هاجر فحبلت. فلمـــا حبلـــت صغرت مولاتها في عينها. فقالت ساراي لابرام:

" ظلمي عليك. يقضي الرب بيني وبينك. فقال ابرام هي ذي جاريتك فـــي يديك افعلي بها ما يحسن في عينيك. فإذلتها ساراي فهربت من وجهـــها وعنـــد بئر على طريق شور وضعت هاجر ابنا لابرام وكان حينها ابن ست وثمـــانين سنة. وظهر الملك لهاجر فطيب خاطرها. وبناء عليه عادت إلى مولاتها تحمل وليدها فسماه أبواه اسمعيل تكوين ١٦.

ومن هذه الرواية التي تستنقص من هيبة نبي، نجد فيها نقطة هامة هي أن اسماعيل، رغم أنه من صلب ابراهيم وبكره، لم يتخذه اليهود نبيا لهم، ورغـــم أنه البكر لم يعط أهمية قدسية بين انبيائهم وهو ابن أهم نبي بالنســـبة للعـــرب وربط اليهود صلتهم به ليشتروا لأنفسهم حجة تتأتى أهميتها من أهمية ابراهيـــم بالنسبة للمنطقة وشعوبها وكذلك أبناؤه. فلماذا أسقط اليهود اسماعيل من قائمـــة الأنبياء؟. ثم كيف يتم هذا التواطؤ بين نبي وامرأته.. ثم أن هاجر هي مصرية ولهذا فإن اسماعيل لايجوز حسب مذهبهم العنصري الغـــائي أن يكـــون نبيـــا ولايمكن للكتبة أن يبقوا الحقائق كما هي..

ونتابع مع روايةالتوراة الغائية.. فقد رزق الله ساراي بولد. ولكن لأسباب عجيبة أوردتها التوراة على لسان الرب ولنقرأ: "وارضاء لتضرعات ســـاراي

ورفقا لذاتها ومكافأة لها على ماضيها في مصر".. ولنتوقف هنا عند الجملة الأخيرة "مكافأة لها على ماضيها في مصر".. وهي ترمز إلى ماذكرته التوراة سابقا (زورا وقذفا) بأن ابراهيم جعلها تنتحل صفة الأخت وتنام في فراش الفرعون وينتهي الأمر على الشكل المزيف الذي اقتطفناه آنفا.. ويمنحها الله ولدا على هذا الماضي الذي لفقوه عن ابراهيم وكيف يمكن أن يدعو الله إلى مثل هذه الفعلة الخرقاء وأنه بسبب عجيب يكافئ صاحبتها بولد؟ يوضح لنا بشكل لا لبس فيه انه منسوب لله ولايمكن ان يكون هذا القول ولاهذا الكتاب منزلا، كما يوضح أن المتكلم ليس الرب.. وتذكر التوراة هذه أنها:" حملت وكان ابرام في التاسعة والتسعين من العمر حين تحقق عهد الله معه بولادة ابنه اسحق.. وأما اسمعيل فقد سمحت لك فيه. ثم يتابع الكتبة الحديث عن اسحق:" ها أنا أباركه وأثمره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه على اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية " تكوين ١٧ (٢٠ -٢١).

ولم يشرح كتبةالتوراة مسألةمسامحة الرب لابراهيم على ظلمه لاسماعيل..

هل لأن ابراهيم واسمعيل شيء واسحق شيء آخر وكأن ابراهيم يطالبه بشيء، فسمح له باسماعيل.. وهذا مانفهمه من سياق حديث الرب (المزعوم) لابراهيم.. إلى أن عهد الرب لم يقمه مع ابنه البكر (ومن هاجر التي ظلمتها ساراي -أوسارة) بل من اسحق بن ساراي التي كافأها به على ماضيها في مصر؟! عجيبة هذه المحاباة وتفضيل اسحق على اسمعيل وكلاهما ولدا ابراهيم، وبأمر الرب ولدا... وبأمره أوغر صدر الأخ على أخيه.. وتروي التوراة كيف انفطر قلب سارة من رؤية اسماعيل بن هاجر وهو يمرح ويلعب فأمرت زوجها بطرده وأمه. ونفذ ابراهيم رغبة زوجته المصون!!؟ وتاهت هاجر وابنها في الصحراء -صحراء بئر السبع[1] وشفق الله عليها فأنقذها وابنها إذ فتح عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة التي كان قد زودها بها ابراهيم وسقت الغلام.. وكبر وسكن في قرية فاران وأخذت له أمه زوجة من مصر -تكوين ٢١. واعتقد أن القصد الذي رمت إليه هذه التوراة هو واضح حتى لمن لايفك الحرف.. وهو طرد كل مايتعلق بالعرب وفصلهم عن ابراهيم واجتزاء صلبه من العرب لينتسبوا إليه وبنص يدعون أنه من عند الله كوثيقة ملكية أو تمليك للتاريخ ومن ثم للأرض..

---

[1] – وسميت بئر السبع: لسبع أغنام أعطاها ابيمالك فدية عن اقترافه الخطيئة مع زوجته سارة كما سنجد فيما بعد.

ونتابع مع هذه الغائية المزيفة.. فقد أصبح اسحق بكرا أو البديل البكـــر.. وهنا تخالف التوراة تعاليمها وتتناقض مع نفسها، بل وهي أيضا تخالف طرائق وتقاليد الوثنية، والأساطير التي أخذت هذا التقليد عنها بأن البكــر هــو الــذي يصبح بديلا. فاستبدل كاتب التوراة هذا التقليد في هذه المناسبة، فيما أبقاها في مجالات أخرى. وتقول التوراة بلسان الرب الان:" خذ ابنك وحيدك الذي تحبـــه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هنا وأبن لي محرقة" تكوين ٢٢(١ - ٢). وأمره بأن أخذ اسماعيل إلى المحرقة ليقدمه قربانا للــرب إرضــاء لــه. واطاع ابرام ولما هم بذبح الولد بعد أن أعد المحرقة أتاه صوت الرب قــائلا:" لاتمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا" فرفع ابرام عينيه ونظـــر وإذا بكبــش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه. فأخذه ابرام وأصعده المحرقة عوضا عن ابنـــه اسحق تكوين -٢٢ (١٢ -١٣).

ونلاحظ هنا تلاعب كاتب التوراة في حبك القصة ومراميه من وراء ذلك. فهو يريد أن يحدد قدسية اسحق، نظرا لأن أمه ليست هاجر العربية، وينفي عن اسماعيل صفة النبوة لأن اسماعيل نبي عربي أيضا كوالده، ومن ذريتـــه جــاء خاتم النبيين محمد بن عند الله صلوات الله عليه وسلامه ويـــدرك كــل متتبــع لتاريخ العرب أن ابراهيم أصل الأرومة العدنانية (المضرية) الحجازية، فنفـــي كتبه التوراة عن اسماعيل هذه الصفة مقصود، يدل على أن كتابة هــذا الســفر حديث جدا، طبقا لما هو معروف عن أهل هذه التوراة..

ونلاحظ أيضا خطاب"الرب" لابراهيم بوحيدك عن اسحق رغم وجود ابــن بكر له وقد قال عنه قبل ذلك "اباركه وأكثره اثني عشر رئيسا من ولده وأجعله امة كبيرة".. ثم يعود فيستثنيه من مباركته ويعرضه للموت ثــم يصعــده إلــى المحرقة.. وكيف هذا الخلط العجيب والتركيبة التي أوجدها كاتب التوراة فـــي روايته دون أن يدقق في ما يقوله؟..

أضف إلى ذلك أن عادة تقديم القرابين هي عادة ملكية مصريـــة وبابليــة وكنعانية، وقد استبقى كاتب التوراة عليها وبتصرف شديد، لكنه وظفها في مـــا تخدم رغائبه.

فالإله الوثني يُسَرّ للهدايا والقرابين والتقدمات وتغريـــه الذبــائح.. وكـــان المصريون يلقون بأولادهم البواكير مطلع كل ربيع في نهر النيل طلبا لخيراته ودفعا لفيضانه وأخطاره. كما كانوا يقدمون الأضـــاحي البشريـــة لأوزيريــس وأوزيس استرضاء لهما ودفعا لشرهما.

وكان الكنعانيون يقدمون الذبائح والهدايا لألههم مولوخ أو مولوك. وكـــان للصيداويين إله هو أشمون وعشتروت. كما كان للمؤابيين (أحفــاد بنــت لــوط الصغرى) إله هو ملكوم. مثلما كان لقبيلة ابراهيم إله خاص بها أيضا هو ايــل

ومارس معها طقوسها وعاداتها قبل أن يسفه هذه الطقوس والديانـــة.. فحولـه النبيذ إلى ممارس لطقوس وثنية أخرى وليقف أمام أله خاص جدا هو يهوه..
ولاشك ان هذه العادة بقيت مستمرة في التقاليد الشعبية بين أهل المنطقـــة، فقد دخلت في المسيحية أيضا على شكل الذبيحة الرمزية، أي التي ترمز إلـــى الضحية، الفادي عن جميع البشر.. لكن الله لا يحتاج لأضاح ولا لقرابيـــن ولا يعصبه ألا هذه الخطايا الوثنية..
ونسأل هنا ما الفرق بين شمش ومولوك، وكمش وغيره وبين يهوه؟ لافرق بينهم جميعا.فيهوه كما مر معنا اسم كنعاني أيضا لآلهة فرعية، إلا أنهم جعلوه الإله الأعلى وبدلوه.. فقد بدل كتبة التوراة أسماء آلهة المنطقة إلى اسم جديد.. مثلما بدلوا اسم ابرام ألى ابراهيم وساراي إلى سارة.. وذلك من أجـل نسـيان الماضي واسقاطه من الذاكرة. إلا أن أهل هذا الكتـــاب الخرافـــي -المزيـف يشددون على الماضي.. لكن أني ماض؟ إنه الماضي الملفق وقد رسموه كمـــا يحلو لهم وبما يخدم رغباتهم وغرائزهم..
وتتابع التوراة قذفها بحق ابراهيم وزوجته، فبعد أن جعلوها تقارف الخطايا مع فرعون مصر، فها هم يجعلون ابراهيم يدخلها مـــرة أخـرى إلـى بيـت الخطيئة:" وانتقل ابرام من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشـــور. وتغرب في جرار. وقال عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة" تكوين ٢٠ (١ -٣). فجاء ملاك الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له :" أنا أيضا علمت أنك لسلامة قلبك فعلت هذا. وأنا أيضا قد امسكتك عن أن تخطئ. إني لذلك لم أدعك تمسها فالان رد امرأة الرجل " تكوين ٢٠ /٦/٧ .
ونلمس هنا أن كاتب التوراة يحاول بما لايدع الشك أن يلصـــق بـابراهيم (زورا وتدنيسا) الفعل الشائن بدفع زوجته إلى الفحشاء مرة أخرى فيما يجعـــل سارة مكرهة على ذلك طائعة لمن يجرها إليه؟! ولكن كاتب التوراة لم يدر أنه وقع في خطأ مفروض عليه وهو أن أبيمالك الكاهن قد ظهر له الرب أيضـــا.. وهذه نقطة هامة في التدليل إلى الخطأ..
ثم كيف شاء كاتب التوراة أن يمسك الرب ملك جرار عن سارة فيما لـــم يفعل ذلك حيال الفرعون؟ أليس في هذه الرواية الخرافية العارية عن الصحـــة، أي الملفقة، تلاعب علما بأن ملك جرار كان (توحيديا) يؤمن باله واحد كما أن الكنعانيين وسكان المنطقة توحيديون أيضا- وهو تلاعب مقصود؟ أجـل.. وإن هذا واضح لمن يقرأ هذا الكتاب وبكل سهولة ويسر.
علما بأن ملك جرار كان (توحيديا) يؤمن باله واحد كما أن الكنعانيين قد الت ديانتهم إلى التوحيد.. وقد تنامت هذه العقيدة، وقامت جماعات سرية تدعو إلى ذلك، من هرمس حتى علماء هيليوبوليس في مصر وفي جبل الكرمل فـــي

فلسطين. وإلا كيف جاء الملاك إلى ابيمالك رغم أنه لم يكن يدري بذلك إلا عندما أوحى له الاله (الواحد الأحد) بهذا فكف عن سارة. وقطع كلاهما ميثاقاً وأخذ ابراهيم سبع نعاج "لتكون شهادة على أبيمالك بأنه أتى هذا البئر فدعا هذا البئر "بئر السبع -بير شيباع بالعبرية " ثم اخذ أبيمالك النعاج وعاد مع رئيس جيشه "فيكول" إلى ارض فلسطين تكوين ٢١(٢٢ -٣٢). بطبيعة الحال إن هذه القصة مقولة عن ابراهيم، وحكاية مستحيلة أن تكون إلهية.. وهي تروي قصة (ما) من ذاك الزمان لايدخل لابراهيم بها، لكن كتبة التوراة جعلوا ابراهيم بطلها وجيروا بئر السبع وربطوه بهذا البطل لتحديد دولتهم المزمع إقامتها وبمشيئة كاتب التوراة اشترى ابراهيم البئر من أبيمالك الكاهن ذي المنزلة الكريمة لدى الكنعانيين... وهكذا يجعل كاتب التوراة ملكية فلسطين مشتراة (البئر والماء) ليتابع روايته حتى يصل إلى طرد سكانها.. ويميت كاتب التوراة سارة (ساراي)عن عمر يناهز المئة وسبع وعشرين سنة -لكن أين؟ في قرية أربع (وهي حبرون) في أرض كنعان. فندبها ابراهيم وبكاها وجاءت فرصة تملك الأرض الكنعانية جاء إلى أصحاب الأرض الطيبين ذوي الأخلاق العالية والحمية والنخوة، وطلب منهم شراء أرض يقيم عليها مدفناً -قبراً لزوجته فأعطوه أرضاً يدفن فيها زوجته:" في افضل قبورنا ادفن ميتك. لأحد منا يمنع قبره عنك حتى تدفن ميتك" تكوين ٢٣ (٦ -٧). ولنتصور هذه التناقضات.. ففي حياته عرضها مرتين للفرعون ولأبيمالك، وفي مماتها يأخذ لها قبراً معاراً وشكر بني حث لمعروفهم، وفي الوقت نفسه يلعن إلههم كنعان وذراريهم. كما أنه يحابي اسحق وأمه، ويلغي هاجر وابنها دون أن يشتري لها قبراً ولا أرضاً.. وهذا ما يبينه التوراة، وابنها كذلك (كزوجها) فقد ركزوا كل تركيزهم على سارة واسحق وأجلوا قدرهما فيما قذفوا ابراهيم بكل هذه الإساءات وهاجر واسماعيل.. ثم يهبه عفرون الحثي حقلاً ومغارة يأوي إليها أمن المعقول ان يكون إلههم محتالاً ويخفي مؤامرة قادمة؟ ويعطيه ٤٠٠ شاقل فضة "فسمع ابراهيم وضحك في قلبه لأن حلمه قد تحقق فوزن الفضة ثمنا للحقل وقدمها لعفرون. فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة الحقل والمغارة التي فيه وجميع الشجر الذي في جميع جدود حواليه لابراهيم ملكاً لدى عيون بني حث وجميع الداخلين باب مدينته. فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم، ملك قبر من عند بني حث. تكوين ٢٣(١٦ -٢٠).

ويلاحظ القارئ هنا سذاجة كاتب التوراة، وبجاحته في إظهار مقاصده بهذا الخبث السافر والتقريرية الفجة: ضحك ابراهيم وتحقق حلمه -توجب الحقل والمغارة والشجر -وتكرار هذه الجملة مرتين في هذا السفر والتشديد على كلمة "وجب" وبهذه العبارات التي وضعها كاتب التوراة يشير إلى المقصد الأساسي

الذي يتمحور حوله هذا الكتاب وهو: التملك الرسمي في فلسطين.. من شـراء البئر، لشراء القبر، ثم المغارة والحقل والشجر بثمن.. من ناحيـة.. وللتوكيـد على أن هذا إنما هو من أمر الرب ومنحته. وان مايمنحـه الـرب لايسـتعيده الانسان.. وهذا ما يركز عليه الكتاب المؤازرون لهذه الخرافـات والمجـانبون للحقائق التاريخية.. ولم يكتف كتبة التوراة بهذا الحد بل زادوا على ذلك بـأن زوجوا ابراهيم من امرأة ثالثة هي "قطورة" وأنجبت له ستة أولاد (زمـران - يقشان -مدان -مديان -يشباق -شوحا).. إلا أنه أعطى كل ملكه لاسحاق فقط. وذلك وفاء لسارة لماضيها، وتكفيرا عما فعله معها -حسـب روايـة وأقـوال التوراة (تكوين ٢٥ -٥). ولما شاخ ابراهيم أوصى كبير بيته العبد بأن "لاتأخذ لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن معهم بل إلى الأرض وإلى عشيرتـه تذهب وتأخذ لابني اسحق " تكوين ٢٤ (١ -٤) فذهب العبد إلى ارام النـهرين إلى مدينو ناحور وانتقى لاسحق سيدة هي رفقة ابنة بتوئيل بن ناحور زوجة له. تكوين ٢٤ -١٥. وناحور وثني بقي في بلاد حران ولايعتقد أحد أن هذا الكلام صادر عن ابراهيم على الاطلاق أنما هو منحول عنه ومزور.. وهـو الـذي هجر بلدة (أور) إلى بلدهم في كنعان مختارا وفضلهم على أبناء بلـده طوعـا وحبا... فيحور التوراة هذا الحب (للكنعانيين التوحيديين) إلى كراهية بغير حق ولامنطق. والقصد منه جعل ابراهيم، نبي العرب، نبيا لهم ووصل نسبهم بهم، وتملك الأرض.. ولأن هذا الكلام لايصدر عن نبي.. أي أن النبي لايمكـن أن يحرم أبناء له ويعطي (كل) ملكه لواحد (وحيد) فقط.. لأن الأنبياء جميعاجعلوا المساواة إحدى أهم شرائعهم وهي صنوان العدل والعدل مـن شيـم الأنبيـاء وحدهم ولهذا اختيروا ولذلك اصطفيوا.. فكيف يتجرأ كتبة التوراة على تشويـه صورة نبي جليل ــ وأبي الأنبياء ــ إنه لأمر ساذج بقدر ما هو غائي خبيث.. ومات ابراهيم بعد عمر امتد إلى مئة وخمس وسبعين سنة.. فحضـر (فـورا) اسماعيل من فاران (مصر) واسحق ودفناه في حقل المكفيلـة بجـانب سـارة/ تكوين٢٥/ ك٩. وكيف حضر اسحق واسماعيل بهذه السرعة (علـى طريقـة الأفلام الأمريكية) إن الله وحده يعلم... وليس الأمر فـي هـذا بـل إحضـار اسماعيل هو المقصود، وهذا ليؤكد كاتب التوراة اعتراف اسماعيل وخضوعـه لمشيئة كاتب التوراة وغاياته.. والشيء الذي يتبادر إلى الذهن لمـاذا ينسـب التوراتيون أنفسهم إلى اسحق فقط وهو ابن ابراهيم، وأنه خلف له كغيره مـن أشقائه فلماذا لايذكرون الأخوة الاخرين، بل لماذا هذا التمييز التوراتي وتحديد ذريته لتكون محصورة بهم وبهذه الطريقة الخرافية ــ العنصرية والضيقة التي لايقبلها عقل بشري ولاعدل نبي ولا مشيئة السماء؟! ثم ألا يثير هذا الأمر شيئاً من الرفض والتشكك بصحة هذا الكتاب والمسخ للإنسانية جمعاء؟... وقد ذكر

القرآن ابراهيم على أنه أبو الأنبياء، وبصورة ترفض تماما طريقة التوراة التي قزمت هذا النبي الجليل ومسخت شخصيته، فأورده القرآن بالشكل اللائق بنبي، أخلاقا وعدلاً وصبراً على المعاناة، لا تدانيه إلا أخلاق المعصومين عن الخطأ والفحشاء والغائية العنصرية الخبيثة التي قذف بها كاتب التوراة ابراهيم خليل الرحمن. إذا كان كاتب التوراة قد أهان ابراهيم وصوره على هذه الصورة اللاأخلاقية، فكيف حال بقية الأنبياء في هذا الكتاب؟ ولنبدأ بالتسلسل الزمني لمجيء الأنبياء وبالتسلسل الذي أورده التوراة:

١-لوط"

وهو بحسب تصنيفات التوراة ليس نبيهم لأنهم ليسوا من نسله المباشر، فكيف هي صورته في كتابهم: سكن لوط وابنتاه وزوجته في سدوم. استضاف في منزله ضيفين غريبين. ولم يرق ذلك لأهل المدينة فقرروا قتلهما. فرفض لوط ذلك حيال ضيفيه لأن الضيف عزيز على أهل المنطقة التي منها لوط. وقدم لهم عرضا هو أخذ ابنتيه لقاء ترك الغريبين (وهما ملاكان). وحرقوا المدينة وانتشال لوط وزوجته وابنتيه. فأوصى لوط الإناث "ألا ينظرن وراءهن، لما سيحصل لئلا يمتن. وهكذا أحرقت المدينة (سدوم وعمورة) بالنار والكبريت وأحبت الزوجة إلقاء نظرة للوراء فتحولت إلى عامود ملح. وسكن لوط وابنتيه في جبل صوخر. ولما شاخ قالت البكر لأختها: أبونا شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا " تكوين ١٩(٣١ -٢٣)[١] ونامت الكبرى مع أبيها فحبلت. وفي اليوم الثاني نامت الصغرى فحبلت. ومن بعد التناوب في الزنا المحرم انجبت البكر للوط ولدا اسمه مؤاب -ومن نسله المؤابيون -وانجبت الصغرى ولداً اسمه بن عمي -ومن نسله العمريون -بنو عمون.. عجيب أن التوراة هذا مليء بالزنى، وهو زنى مقدس لديهم حتى ساد الأرض كما قالت.. إلاّ أن كاتب التوراة أحس بالرذيلة التي أوجدها في كتابه بأن الأرض المصورة فيه قد امتلأت زنى ورذيلة فجاء المنع في سفر اللاويين ١٩ -٢٩:

" ولا تدنس ابنتك بتعرضها للزنى لئلا تزنى الأرض وتمتلئ رذيلة ".. فتصور هذا الكاتب الجنسي الذي تخالف أسفاره بعضها بعضا.. والسؤال هو إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأنبياء أشقاء ابراهيم أو أبناء أشقائه، وقد انتسبوا إليه، فلماذا لايأخذون بنسل العموريين والمؤابيين وهم من ابنتي لوط (الأم) وهم لايأخذون إلا بنسب الأم؟ وقد عبد العموريون كما رأينا إلها هو "ملكوم"

---

[١] -الشاعر الياس أبو شبكة قصيدة في هذه الخرافة القذعة مطلعها :

مغناكِ ملتهبٌ وكأسُكِ مُترعه   فاسقي أباكِ الخمرَ واضطجعي معه.

والمؤابيون "كبوش ". وأعاد إليهما سليمان فيما بعد الاعتبار فترك إلهه الحقيقي ومات وهو يقر ويعترف بهما وعلى أعتاب ملكوم وكبوش ـ حسب رواية التوراة بالطبع.

٢ -اسحق:

وهو النبي الذي نسبوا أنفسهم إليه. فقد جعلوا قصته شبيهة بقصة ابراهيم. فتزوج من رفقة بنت بتوئيل الآرامي، وأخت لابان من فدان آرام أيضاً، وكانت عاقراً كأمه سارة، صلى لربه فاستجاب:" في بطنك أمتان من أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير. فلما أكملت أيامها لتلد إذ في بطنها توأمان. فخرج الأول أحمر كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو. وبعد ذلك خرج أخوه ويده بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب" تكوين ١٥(٢٣ -٢٦). ونلاحظ التصنيف التوراتي هنا الموضوع بحسب التوافق مع واقع الحال القادم فمن هما الأمتان؟... أجل. فكما أخذوا باسحاق من أبناء ابراهيم وحددوا نسلهم بالطريقة الخرافية العنصرية أنفة الذكر، ليفصلوا العرب عن ابراهيم ويفصلوا ابراهيم لهم، من العرب، فهم الآن سيفصلون المسيحيين عن اسحق وذرية البلاد.. ولنتابع هذا الكاتب الذي أصبح مصيبة تصب على رؤوس المسيحيين والمسلمين وعلى قوم موسى، وخطراً على الأديان وأخلاق الناس في شتى أرجاء المعمورة.. "فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت فلماذا إلي البكورية فقال يعقوب: احلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب. فأعطى يعقوب لعيسو خبزاً وطبيخ عدس. فأكل عيسو وشرب وقام ومضى وقد احتقر البكورية" تكوين ٢٥(٢٧ -٣٤). إذن باع بكوريته بطبخة عدس.. ولنرى هذه الصورة الانتهازية التي يصور كاتب التوراة بها يعقوب:" فأحب اسحق عيسو لأن في فمه صيداً. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب" (تك ٢٥ -٢٨). وجعل الكاتب اسحق يمارس نفس اللعبة التي لصقوها بابراهيم مع الفرعون ومع أبيمالك وانتهجوا نفس الطريقة المسيئة (الكذب) لابراهيم، مع اسحق.. فقال اسحق لأبيمالك التوحيدي عن رفقة زوجته لأنها أخته" وحدث أن طالت أيامه هناك. وأن أبيمالك أشرف من الكوة ونظر باسحق يلاعب رفقة امرأته. فدعا اسحق إليه قائلاً: لماذا قلت أنها أختك، لولا قليل لأضطجع أحد الشعب معها فجلبت عليه ذنباً. فأمر أبيمالك الشعب بأن الذي يمس هذا الرجل وامرأته موتاً يموت " تك٢٦(١ -١١). ولماذا؟.. لماذا ادعى اسحق أن رفقة أخته واسحق يرفض مضاجعة الأخ لأخته، في حين بدأ كاتب التوراة ممارسة الجنس بين الأب وابنتيه وكأنه مقدس أو أنه شيء عادي عند اليهود.. وتمسك أبيمالك بالقيم الأخلاقية التي تفرضها عليه ديانة التوحيد، ومع هذا لم يجعلوه نبياً خاصة وأنه عاش زمناً طويلاً جداً فعاصر الأب وابنه وكان شهماً حيال الخطيئتين ولم

ينسبوا أنفسهم إليه؟ــ عجيب أمر هذا الكاتب حقاً.. خاصة أن أبيمالك وشعبه حنوا على ابراهيم، إذ كان تائها فأووه، وكان جائعا فأطعموه، وغريبا فحموه، وكذلك مع اسحق، وأوصى شعبه به وبزوجته خيراً. وأعطوه أرضاً فزرعها.."فأصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الله" تك٢٦(١٢ -١٣). أي أن إلههم يبارك اسحق في أرض جرار.. وبأمر من أبيمالك الذي أطعمه وسقاه وكان فقيراً فأغناه، ولم يذكر هذا الرب أبيمالك وشعبه بشيء من الوفاء بل دعاهم إلى احتلال أرضه وقتله وشعبه؟.. وكان أبيمالك عفيفا خلوقا فيما كان الزنى مباركا مثل بقية الشرور في نسل ابراهيم واسحق على حد رواية التوراة -ثم يعقد معه عهداً وميثاقا على حسن الجوار.. لماذا حسن الجوار والميثاق والأرض أرض جرار والخير خيرها؟... ومع هذا فقد نكثوا بالعهد. وكان هذا العهد بطبيعة الحال تلفيقا محبوكا من صنع كاتب التوراة، وفيه يقولون أبيمالك بأنه رأى الله مع اسحق "فقلنا ليكن بيننا حلف ونقطع معك عهداً، أن لا تصنع بنا شراً. كما لم نمسك وكما لم نفعل بك إلا خيراً وصرفناك بسلام. ثم بكروا في الغد وحلفوا بعضهم لبعض وصرفهم اسحق" تك ٢٦(٢٦ -٣٣).. وكيف استطاع كاتب التوراة بهذه الخرافة الملفقة اقناع الناس أو قبولها دون أن ترف له عين.. كيف يكون الضعيف آمرا على القوي، وصاحب السيئة مصرفاً لصاحب المعروف، كيف هذا الخلط غير المنطقي ولاالواقعي على لسان الله ويتحدث عن شخصية الأنبياء ومسلكهم غير القويم بعكس البشر العاديين!!؟.

-لم تقبل رفقة بترويج "ابنها يعقوب" من بنات "حث"تك٢٨/ ٨. فيما أن عيسو تزوج من بنات الحيثيين -من يهوديت ابنة بيري الحثي- ثم من بسمة بنت ايلون الحثي، نكاية بوالديه، ودون قناعة كما أحب كاتب التوراة أن يدس اصبعه -"فكان زواجه مرارة نفس لاسحق ورفقة"تك٢٦ــ٣٥/ ٠ ولماذا المرارة العنصرية التي يسجلونها باسم الله. أليس هذا الاله عنصريا عرقيا غاية العنصرية؟. ثم عاد عيسو وتزوج من " محلة" بنت اسماعيل وأخت "بنايوت" لعله يستعيد عطفا.. أما يعقوب فذهب إلى حاران "حرّان" "برغبة أبيه واجتمع هناك بخاله لابان ليعطيه ابنته "راحيل" لقاء سبع سنين خدمة لدى خاله. وبعد (٧) سبع سنوات طلبها ليدخل عليها. فجمع لابان الناس وأقام فرحاً. وأخذ ابنته "ليئة" وكانت عيناها ضعيفتين فأخذها ودسها في فراش يعقوب على أنها راحيل. وتحت دمس الظلام دخل براحيل. "خدمت عندك. فلماذا خدعتني. فأجاب لابان: لايجوز عندنا أن تعطى الصغرى قبل الكبرى. أكمل مع هذه الأسبوع فأعطيك راحيل مقابل خدمة سبع سنين اخرى تك" ٢٩ (٢١ -٢٨). فاستغله خاله ١٤ سنة وكسب أسبوع لقاء نكاح مع ليئة التي لاتحلم به. وسبع سنوات مع راحيل. وحبلت ليئة وأنجبت له: رأوبن -شمعون -لاوى ويهوذا. ثم يضاف إليهم: دانا

–نفتالي –زبولون –جادا –أشير –يَشاكر –يوسف وبنيامين مـن زلفـة" (١٢).
وكانت راحيل عاقرا فغارت من ضرتها (أختها) وأجبرت يعقوب أن يدخل على جاريتها مثلما فعل كاتب التوراة مع ابراهيم، وكانت الجارية هذه "بلهة" فدخـل عليها نيابة عن راحيل "ادخل إليها فتلد على ركبتي وارزق أنا أيضا منها بنين "تكوين ٣٠ (٣-٤) ودخل على بلهة فانجبت له "دان" ثم" نفتالي".. ولتكملة القصة الخرافية، يقول كاتب التوراة: أن بلهة تتألم وتلد، وراحيـل تتوجـع وتصـرخ وتدعي الطلق والأمومة كذبا، لماذا؟ نكاية بأختها لنية.. وقامت أختـها بفعـل خدعة مماثلة إذ دفعت إلى يعقوب بجاريتها ".لفة" فنكحها.. وولدت له "جاد" ثم "أشير".. ووجد رأوبين لقاحاً، من ثمرة اليبروح، مثيرا للجنس وللغزيرة فعالاً، وطلبت منه لينة أن ينام معها بعد أن أشربته اللقاح الذي أتى به ابنها. فنام معها وجلبت منه ابنا خامسا هو "يشاكر" ثم عادت وانجبت "زبولون" وابنة هي "دينة " تكوين ٣٠ (٩ –٢١).. تصوروا هؤلاء الأنبياء الذين ينسبون أنفسهم إليـهم.. تصوروا أن الأم تدعو ابنها لينكحها وتلد وتنجب لهم، لكتبة التوراة وأتباعـهم، أنبياء؟..

هذه هي روايات التوراة..!. وها هم الأنبياء فيها؟.!. وهل يمكن للعقل أن يقبل بهذه اللاأخلاقية، والصبيانية غير المسؤولة والمسفة.. كل هذا من أجل أن يمتلكوا ارض الغير ويميزوا انفسهم. نعم لقد طبعوا أنفسـهم بـهذه الأخلاقيـة القائمة على الزنى... وأي زنى؟... الزنى الذي يندى له الجبين بـل ويعـهّر أخلاق البشر..

ولاننسى أن نذكر بأنه عندما عاد يعقوب من حاران ومعه ابنة خاله لابان ابنة بتوئيل بن ناحور ابن أخي ابراهيم.. وهذا هو بيت القصيـد، أن يعقـوب تزوج من نسل ابراهيم الوثني.. ونتابع مع كاتب التوراة:" وقبل الدخـول إلـى الأردن امره ربه أن يغيّر اسمه فيصبح "اسرائيل" وعندما عبر اسـرئيل ضفـة الاردن بدأ التاريخ اليهودي المزيف وكذلك بدأ الوشم فيما حوله..

واسرائيل هو اسم كنعاني"ايل" بل هو إله كنعاني ويأمر بالمحبة والسـلام ويعتبر الحرب ضد مشيئته.. فلماذا اختار كاتب التوراة هذا الاسم الذي يكرهه وقد لعنه منذ زمن نوح.. ولماذا ينتحل اسم إله الكنعانيين؟ نعم ليضـم تراثـهم إليه، وليلغي الماضي بلبوس حاضره وزمانه وفي "أرض كنعان (فـي الاردن) وهنا يعبر النهر، فيغير اسم العبريين الاراميين العـرب –عـابري الصحـراء البادية –إلى تاريخ جديد هو عبور اسرائيل النهر، ويصبح اسم العبراني مرتبطاً بهذا التاريخ وبهذا ال"اسرائيل" الجديد، العبراني. ويكون الشعـب المختـار.. ويترجمون اسرائيل إلى "أسرة الله". وهكذا أدخل كاتب التـوراة اسـماً جديـداً تاريخاً جديداً مسوغا، مفصلاً بقدر حجم قومه وكما حلاله..

● أسطورة الأرض مقابل السلام في التوراة

وحل اسرائيل وبنوه في مدينة شكيم ليسكنوا بين أهلها وأصحابها الحوريين.. وكيف سيكون الحال هنا؟. يقول كاتب التوراة:" خرجت دينة ابنة يعقوب من "ليئة" للتفرج وللتعرف على بنات البلد.. فرآها شكيم بن حمور فأخذها وضاجعها وأذلها وتعلقت نفسه بها وأرادها زوجة له. فكلم أباه لأجلها. وسمع يعقوب بما جرى لابنته فكتم لغاية في نفس يعقوب. وحضر حمور ليطلب يد الفتاة ويرجو مصاهرة آل يعقوب قائلاً:" شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم. أعطوه إياها زوجة وصاهرونا. تعطون بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. كثروا علي جداً مهراً وعطية "تكوين ٣٤/ ٨ -١٢.

وأجاب بنو يعقوب:" لانستطيع أن نعطي أختنا لرجل أغلف [١]. إن صرتم مثلنا فاختتنوا كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ بنتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً". وقبل أهل شكيم واختتنوا. وفي اليوم الثالث أثناء تألمهم انقضوا عليهم وقتلوا كل ذكر فيها ونهبوا وسلبوا نساءها وأولادها" ٣٤/ ١٣ -١٨/.. وهنا نجد غيرة فائقة على العرض لدى آل اسرائيل.. وهذه الغيرة متعمدة، تعمدها كاتب التوراة في هذه المناسبة لينتهي إلى تملك الأرض.. لكن لماذا رفض يعقوب عرض أهل شكيم الأرض مقابل السلام آنئذ؟.. لكن لماذا يعلنون الآن بقبول السلام؟ هل اقتنعوا بعدم صحة التوراة أم أنهم عدلوا عن فكرة الدولة الممتدة من النهر إلى النهر في عمق المحيط العربي. أم أن ذلك لغاية في نفوسهم؟.. أم تغيرت الدنيا وأصبح كل الناس مختونين وكلهم على دين اسرائيل.. إذا كان ذلك قد تم أو لم يكن، فويل للعالم من غدرهم.. وهذا هو السلام الاسرائيلي.. وهذه هي الديموقراطية التي يتشدق بها البعض...والديموقراطية التي أساسها أسطورة ليست إلا خرافة وكذلك السلام..فهو لديهم قائم على الغدر.. وقد غدر الأخوة بيوسف من قبل..ولو قبل آل اسرائيل هذا السلام مع أهل شكيم فما كانت كل هذه المآسي.. وليست خدعة اسرئيل هذه هي الأولى فقد خدع قبلها أخاه عيسو وأخذ منه البركة ولبس فرو الغنم المبرقع ليخدع اباه وينزع البكورية والنبوة منه.. كما خدع خاله بالغنم المرقط.. ولم يزالوا يمارسون هذا الخداع طبقاالأساطير الوثنية

ثم نجد راؤبين قد ضاجع زوجة أبيه "بلهة " وكان اسرائيل ساكناً في تلك الارض"مجدل عدر" فذهب رأو بين واضطجع مع بلهة زوجة أبيه

---

[١] غير المختتن- أي مسيحي

تكوين:٣٥ك٢٢/٠ ولكن اسرائيل شبه والده الزاني بالماء الأفتر: فاترا كالماء لاتتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك فدنسته" تك ٤٩/ ٤.
علما بأن سفر اللاويين الذي قام بكتابته حاخام اخر، فهو يدين الزنـــى"إذا اضطجع رجل مع امراة أبيه إنهما يقتلان كلاهمـــا" لا:٢٠/ ١١. وفــي سـفر التثنية: "ولا يدخل رجل زنيم في جماعة الرب ولد في الجيل العاشر" ٢٣/ ٢.
إذن وطبقا لسفر اللاويين والتثنية فهؤلاء الأنبياء ورب "اســـرائيل" زنـاة مغتصبون وكيف يمكن التوفيق بين هذه الأسفار المتناقضة حول أخلاقية ربــها وأنبيائها واعتبارها كتابا مقدسا".. وعليه فهم ليسوا أنبياء وهل هذا ماقصد إليه كاتب التوراة من أن يقذف عليهم ويصورهم على هذه الصورة ولطالما أنـــهم ليسوا أنبياءهم وبهذا يكون نال من أنبياء العرب مسيحيين ومسلميين، ويكون قد نفذ ما بنفسه من أحقاد وسرّب هذه الافتراءات الى الدنيا علــى أنــها مقدسـة وكتاب مقدس لدى أهله، وهم أهله.. أعتقد أن هذا هو المقصود بهذا التجذيــف على الأنبياء.. وقد مر معنا أن الماسونيين يتعمدون شتم التــوراة وانتقادهــا.. وبهذا نكون عرفنا السبب..
-ويهوذا نبي الإسرائيليين فهو موسوم بالفحولة في التوراة. فقد نزل مـــن عند أخوته ومال إلى رجل عدلامي اسمه حيرة. ونظر يهوذا هناك ابنة رجـــل كنعاني اسمه شوع. فأخذها ودخل عليها. فحبلت وولدت ابناً اسمه عــيرا" ثـم حبلت وولدت ابناً اخر ودعت اسمه "أونان" ثم ثالثاً ودعته "شيلة". وقال يــهوذا لأونان إدخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلــم أونــان أن النسل لايكون له. واذا دخل على امرأة أخيه فأنه أفسـد علــى الأرض ولكــي لايعطي أخاه نسلاً فقبح في عيني الرب فعله فأماته أيضاً. فقال يهوذا لثامـــار: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني "تك ٣٨/١-١١/.. ونجد هنـــا ثلاث ملاحظات واضحة المبنى:
-أن يهوذا نبيهم المحبوب تزوج من كنعانية وأن كاتب التوراة أمات الابن الأول لكي لايكون له بين الاسباط الإثني عشر أي أثر عربي كنعاني -والثانية هي أن أونان لم يقذف في رحم زوجة أخيه لأن نسله لن يكون لـــه.. وكيـف لايكون النسل الذي نزل من صلبه له؟. وهذه غاية التوراة الخرافية -الحكائيـة المتخيلة.. ثم تتابع التوراة حكايتها فتقول: وقعدت تامار في البيت تنتظر شيلة.. لكنها تنكرت وجلست كعاهرة على مدخل عينايم على طريق عودة يهوذا لتأتي بنسل من صلب يهوذا نفسه. ومسكته بزنوته.وكان موسم الزنى بالحمي مع كنته خيرا. وقد أنجبت تمارا توأمين فارص وزارح..ونفهم مـن النـص أن هنــاك موسماً للزنى.. وهو لذلك زنى مقدس..

٤- يوسف: وينتهي سفر التكوين وهو السفر الأساسي في التوراة، بسرد قصة يوسف بعد أن باعه أخوته إلى التجار المصريين.. إلى انتقاله إلى ملكية "فوطيفار" خصي الفرعون. وإغواء زوجة الخصي ليوسف وتمسكه بطهارته.. وهذا أمر يخالف كل مسالك الشخصيات التوراتية. ويموت يوسف وهنا يدس كاتب التوراة سمه فيضيف إلى الحكاية هذه العبارة: ويموت يوسف بعد أن استحلف إخوته أن يصعدوا عظامه من مصر "تك ٥٠/ ٢٥.

٥-ونذكر هنا أن في التلمود وبعض التفاسير الأخرى تراتيل تستخدم في الزواج على غرار التراتيل التي في نشيد الإنشاد ومن هذه التراتيل هذا المقطع أثناء عقد قران العريس والعروس، وربما أن هناك من يستخدم هذا التراتيل في كنائس أوربا والمسيحية مع الأسف إذ يرفع الكاهن الإكليل عن رأس العريس قائلا:" عظمك الرب أيها العريس، مثل ابراهيم، وباركك مثل اسحق. وكثرك مثل يعقوب. سر في السلام واحفظ بالبر وصايا الرب".

ثم يرفع الإكليل عن رأس العروس ويقول:"وأنت أيتها العروس عظمك الرب مثل سارة، وأبهجك مثل رفقة، وأكثرك مثل راحيل. اهنئي برحيلك حافظة حدود الناموس لأنه حسن عند الرب".. وفي التلمود إضافة هنا :"اسمعي يابنتي وانظري وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك جمالك". ولكن المسيح قال:" فمن نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنى في قلبه".. ثم أية سارة المقصودة، أهي التي كانت عند فرعون وقد اشتهاها وأبيمالك؟ واذا اشتهاها الملك هل تعطيه؟! هذه هي تعليمات التوراة.. وتبا لهكذا عروس ولهكذا عريس يقبل أن يكون قوادا.. على غرار بطل قصص التوراة...

(وفي الكتاب المقدس المسيحي أن راحيل بقيت عاقرا زمنا ثم أنجبت فقط يوسف وماتت أثناء ولادتها بنيامين).

٦- ومن قصص التوراة الجنسية أيضا أن يهوديت أرملة منسى وكانت جميلة المنظر. يوم عزمت على مساعدة شعبها من ظلم اليفانا تركت ثياب ترملها واستحمت وادهنت بأطياب نفيسة وفرقت شعرها. وتزينت بكل زينتها.. وزادها الرب بهاء من أجل أن تزينها هذا لم يكن عن شهوة بل عن فضيلة. ولما رآها اليفانا القائد العسكري أغوته. فأدخلها الخيمة وزنى معها... ثم أسكرته ونام. عندها قامت قائلة: أيدني أيها الرب إله اسرائيل وانظر في هذه الساعة إلى عمل يدي حتى تنهض أورشليم مدينتك كما وعدت. وعمدت إلى خنجره واستلته وقطعت رأسه: يهوديت ٨/ ٧/-١٠/ ٣/ ٢٠/١٣ /٠٧/.

٧- أما استير: فإن الملك أحشويرش أقام في السنة التالية لملكه احتفالا صاخبا. فسكر وطلب من خصيانه أن يؤتى إليهم بزوجته الملكة "وشتي" ليرى الشعب والزعماء جمالها لأنها كانت حسنة المنظر. ولما رفضت هذا العهر

غضب الملك وقرر بناء على نصيحة مستشاريه عزل الملكة واعطاء الملك لمن هي خير منها. وجمعت أبكار المملكة لاختيار الجميلة البديلة للملكـــة "وشتـــي" وكان من بينهن جارية يهودية يتيمة الأبوين واسمها "هداسا "أو أستير. وكـــانت جارية جميلة الشكل حسنة المظهر.. قبلت عرض الملك ونامت مع رجاله كمـــا أراد لتصبح ملكة / راجع أستير ١/١١/ و٢،٧/ .

وقبل أن ننهي الفترة الأولى فترة التأسيس التوراتي لتبدأ المرحلة الثانيـــة، مرحلة موسى نذكر مسلك التوراتيين في حالة السلم والصلح، بحسب نصوص التوراة.. وقد جاء في سفر التثنية ٢٨/ ٢٩/ توضيح لهذا المسلك فنص:

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعيها للصلح في العقبة، فإن اجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعوب الموجودفيها يكون لك للتسخير ويســـتعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مـــافي المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاهـــا الـــرب إليك".. ونلاحظ هنا الى جانب الغدر"الرباني التوراتي" نلاحظ كلمة العقبـــة .. وهل ينفذ الاسرائيليون (الخزريون) أقوال الرب الخرافية وينفذ بعضـــهم هـــذه الخرافات عن عمى؟..

وهل هذه هي عطايا الرب.. كلا.. وليست هذه الأحكام والوصايـــا مـــن شرائع الإله الرحمن الرحيم والعادل..

● المفسدون في الأرض..

أشرنا فيما سبق إلى أن التوراة التي تعزى إلى موسى تختلف كليـــة عـــن التوراة التي كتبها الأحبار ونسبوها زوراً إلى موسى. وهذا يعود إلى وقائع عدة تستنتج من القراءة المتمعنة للنص التوراتي. مما يستدعي العودة إلـــى النـــص التوراتي إياه للمقارنة ووضع اليد على مواطن التزوير والتحريف فيما يخـــص موسى وأسطورة الخروج وما إليها ..

فقد لاحظنا عبر قراءتنا السالفة أن التوراة تقوم على عقيدة ثنائية مـــأخوذة من البابلية والمصرية. ففي العقيدة التوحيدية الأخناتونية وجد أن الإلـــه خـــالق البشرية، أتون، هو ظاهر في قرص الشمس (ذات الحرارة المانحـــة للحيـــاة) ولايمكن تصويره أو جسمانيته (جثمانيته) ولم يسمح أخناتون بأي تصوير للإله أتون، إذ في معتقده: أن الإله (هذا) لاشكل له ولايرى ولايلمس، وهو حـــاضر ناظر غائب عن النواظر في كل كور ودور. وهذا متطابق مـــع ماجـــاء بعـــد أخناتون في إحدى الوصايا العشر التي جاء بها موسى بعد خروجه من مصـــر مباشرة وتقول الوصية:"لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولاصورة ما"–خروج: ٢٠/٤/ وكذلك في سفر اللاويين ٢٦/٧/ والتثنية ١٥/٤ –١٩). إلا أن الإله في التوراة

التي كتبها الأحبار وعزوها إلى موسى، أن الإله كالإنسان وله صفات البشـر وأنه.. ينزل من السماء ويختار الأماكن والقرابين والهدايا وأنواعها، كما أنـه يسير على قدمين (تدوسان على العقيق الأخضر.. أو الأزرق إلـخ). ومـع أن نص الوصية صريح فقد خالفها الأحبار (الكتبة) إذ قاموا بصنع تمـاثيل لفلـك الميثاق وهم في صحراء التيه، وزينوه بتماثيل تشابه التماثيل المجنحـة التـي صنعها الفراعنة للآلهة "معاة" تجسيداً للحق والعدالة.. بل تتطابق تماماً مع هذه التماثيل.

وكذلك فإن المزمور ١٠٤ يتطابق تماما مع ترتيلة اخنـاتون إلـى آتـون (قرص السمى). ثم أن كلمة أدوناي التوراتية وهي اسم الرب في عقيدة موسى، إنما هي تحريف لكلمة أتون المصرية.. وفي ذات الوقت دعت التـوراة إلـى عبادة "يهوه".. وهذا وجه من وجوه الثنائية التوراتية. بالإضافة إلـى العـادات البابلية أو المصرية القديمة، كالختان، الذي مارسه المصريون منذ ٢٥٠٠ ق.م أي قبل ظهور موسى أو قومه بألفي وثلاث مئة عـام. وكذلـك تحريـم لحـم الخنزير، فهو عادة مصرية أيضا.. كما أن لغة التوراة التي أنزلت بـها هـي اللغة المصرية المكتوبة بالهيروغليفية –لغة موسى الذي لم يكن يعرف العبرية لكونه مصريا ولم يكن يهوديا كما ادعت التوراة.

أن عقيدة موسى قد آمنت بالبعث والنشور وباليوم الآخر وبالجنة والنـار، أما التوراة التي كتبها الأحبار فيما بعد قد خلت من ذكر اليوم الآخر ومن الجنة والنار، وهذا دليل على أن عقيدة موسى تخالف السومرية والبابلية اللتين خلتـا من النشور والبعث والثواب والعقاب في اليوم الآخر.

وقد ذكرنا فيما مضى أن معظم الأمثال قد نقلت عـن الحكيـم المصـري امينموبي في وصاياه لابنه، وإن وصايا أمين هذا شائعة في العديد من أسـفار التوراة. ومن أمثال أمينموبي الواردة في سفر الأمثال نختار هذه الأمثال:

أمينموبي: لاتصاحب رجلا حاد الطبع ولاترغب في محادثته.

سفر الأمثال: لاتستصحب غضوباً. ومع ساجل ساخط لاتجيء.

أمينموبي: الكاتب الجاهد في وظيفته سيجد نفسه أهلاً للعمل فـي رجـال البلاط.

سفر الأمثال: أرأيت رجلا مجتهداً في عمله أنه أمام الملوك يقف.

وتعتبر تراتيل أخناتون –حسب رأي بول ديورانت –في تصوير الإله مـن أولى قصائد التاريخ الكبرى، وأول شرح بليغ لعقيدة التوحيـد.. أمـا تراتيـل التوراة فهي تمثل تراتيل قبلية.. وكل مانطوت عليه التوراة من مذهب حيـوي (بيولوجي) هو منقول حرفيا من العقيدة الفرعونية ومذهبها الحيوي.. فمثلاً أن أتون يوجد في الأزهار والاشجار وصور الحياة والنماء، في حيـن أن يـهوه

يوجد في الحروب والمؤامرات والقتل. والإله في عقيدة المصريين ليس إنسانا في صورة البشر كماهو في التوراة. وكان آتون هو رب الرحمة والسلام، فيما كان يهوه رب الجيوش والقتل والسفك.[1]

٦- موسى في التاريخ: يرى المؤرخون أن موسى تربى في البلاط المصري الفرعوني. وكان قائدا عسكريا مصريا، وعلى دين التوحيد الذي دان به أخناتون (١٣٧٩ -١٣٦٢ ق. م). وكانت حملته على فلسطين حملة عسكرية مؤلفة من الجنود المصريين وبقايا من ملوك الهيكسوس من الذين كانوا على دين التوحيد وفروا إلى مصر من وجه الإضطهاد بعد موت أخناتون فانضموا إلى موسى في حملة على أرض كنعان.. فشكل هؤلاء جماعة هي جماعة موسى أو قوم موسى.. وكانت لغتهم اللغة المصرية وليس لديهم جميعا أية صلة ببني يعقوب أو اسرائيل / الذين مر ذكرهم في أول هذا الفصل/ الذين كانوا قدموا إلى مصر في عهد يوسف قبل موسى بست مئة سنة وقد اندمجوا وانصهروا تماما في البيئة المصرية. ولم يسمع أو ير أو يعثر لهم على أي أثر إذ كانوا إثني عشر فردا فروا إلى بلاد واسعة عامرة مزدحمة بالبشر.. فذابوا فيهم عبر مئات السنين، وهذا منطق التاريخ والاجتماع.

وقد روى المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسفوس (٣٧ -٩٣م) [2]في كتابه تاريخ اليهود القديم قائلا: أن موسى كان حاكما أو كاهنا مصريا. وقد كان قائدا كبيرا في الجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نصرا كبيرا وقد تزوج هناك من "تربيس" بنت ملك الحبشة.. وأيد هذا القول الكاتب الفلسفي اليهودي الاسكندري فيلون اليهودي (٣٠ ق. م-٤٠م) [إن

---

(١) -راجع ديورانت -قصة ج ٢ ص ٦٧٥.

(٢) -الكاهن اليهودي والمؤرخ وقد ولد في القدس، تفقه في اليهودية وانضم إلى فرقة الفريسيين وفي سنة ٦٤م أوفد عن طائفة اليهود للتفاوض مع الرومان حول إطلاق سراح بعض الأسرى اليهود ومثل بين يدي الامبراطور الروماني بوبايا Poppaca ثم اشترك في حرب اليهود ضد الرومان سنة ٦٦م ووقع أسيرا بأيديهم ٦٧م وأنقذ حياته بالاعتماد على التنجيم والتنبؤات وملها أن فسياسانوس سيصبح امبراطورا لروما فأطلق سراحه ٦٩م وقد اعتبره اليهود خائنا لأنه قام بالترجمة لتيتوس عندما ضرب حصاره على القدس ورافق تيتوس إلى روما فمنحه راتبا وحقوق المواطنة. من مؤلفاته /حرب اليهود -تاريخ اليهود القديم

/تاريخ حياته/ رسالة في الدفاع عن اليهود / دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص٨٩. وترجم كتابه تاريخ اليهود القديم للعربية / دار صادر ببيروت/..

موسى كان مصريا] .. وقولهما في نظر التاريخ أصح من كتبة التوراة الذيـــن قالوا بأنه كان عبرانيا.. خاصة وأن الاثنين هما يهوديان ومؤرخـــان وبينـــهما وبين موسى حوالي أربعة قرون وهذا زمن ليس بالموغل، وأن كتبة التوراة هم من أزمان متفرقة وآخرهم يعود إلى القرن الماضي بالتأكيد ذلك لأن مسوغات التوراة التاريخية تتوافق مع واقعهم الحالي وليس مع واقع حال الماضي وهـــم يشدون كتابهم على قدر الحال الحاضر مخالفين بذلك كل مؤرخي الدنيا دون أن يهتز لهم شعور بالنقل الكاذب والتاريخ الملفق والآلهة المفتعلة وكذلك الأساطير المسروقة دون تدقيق. وزوجت التوراة موسى بإمرأة ثانية هـــي ابنـــة يـــثرون كاهن ميان /عدد: ١٢ -١/ وهذا مايجعلنا نقول إن هناك اثنين باسم موسى في التوراة، أما في التاريخ فهناك موسى واحد وكذلك في القرآن فهناك موسى كليم الله، صاحب الوصايا العشر. وهذا لايقره اليهود التوراتيون من الفرق المذكورة في مقدمة هذا الكتاب. وعلى أية حال إن موسى في الحالين لن نجد له علاقـــة أو صلة ببني يعقوب -اسرائيل -من جهة التوراتية وطلاء الحقيقة بلون مـــادي -بأن موسى سمي بالمصرية في قول بنات يثرون لأبيهن عن نجدته لهن مـــن الرعاة:" فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وأنه استقى لنا أيضاً وســـقى الغنم" خر: ٣/٩/.

واسم موسى مصري وهو مختصر"حموس -(وأح موســـى هـــو مؤســـس السلالة الثامنة عشرة الفرعونية). ويقول ديورانت في قصة الحضارة :ج٢ ص ٣٢٦/ أن غارستانج عضو بعثة مارستون التابعة لجامعة ليفربول قد اكتشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موســـى قـــد أنجبتـــه (بـــالتحقيق) الامـــيرة حتشبسوت في عام ١٥٣٧ق.م وهي الملكة المصرية التي عاشت مـــابين١٥٠١ -١٤٧٩ ق.م وأنه تربى في بلاطها بين حاشيتها. وفر من مصر بعد أن جلس على العرش تحوتمس الثـــالث(عدوهـــا اللـــدود) -١٤٧٩ -١٤٤٧ ق.م. وأن يوسفوس إياه نقب عن مانيثون المؤرخ المصري الذي عاش في القرن الثـــالث قبل الميلاد (٢٨٠ ق.م) في تاريخه إذ قال :" إن موسى كان كاهنـــاً مصريـــاً خرج للتبشير بديانات التوحيد".[١]. وهذا أصح قولاً برأينا وأن ماورد في القرآن الكريم يثبت ذلك.. إذن أن موسى هذا هو غير موسى اليهود المفتعل.. ويقـــول مانيثون أن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين".

ويترجم "بريستد" في كتابه فجر الضمير اسم موسى فيقول إنه: هو نفس الكلمة المصرية القديمة"مس" ومعناها طفل وهي مختصرة من اسم مركـــب الأســـماء "أمن مس" ومعناها أمون الطفل. أو بتاح مس ومعناها بتاح الطفـــل. وأن إلـــه

---

[١] راجع أحمد سوسة -تاريخ العرب واليهود ج ٢ -ص ٤٦٣/.

ممفيس في عهد تحوتمس كان يسمى بتاح موسى وقد عثر على هرم له. وهو أهم آلهتها (خالق الدنيا) ولاشك أن والد موسى قد وضع قبل اسم ابنه اسم إله مصري مثل أمون أو بتاح ثم زال ذلك الإسم الإلهي بالتدريج لكثرة التداول حتى صار الولد يسمى موسى [1].
فيما روى يوسفوس أن ثير موثيس هو الذي اختار لموسى هذا الاسم لينسجم مع رواية انتشاله من النهر وهو مؤلف من كلمتين مصريتين:مو=الماء وأوسى= الإنقاذ من مكان ما -أي الماء المنقذ. ونقل يوسفوس عن مانيثون: أن موسى أو سيريس إله هلبوبولس ولكنه بدل اسمه إلى موسى وإنه تزعم ثورة على أصحاب عبادة الأوثان التي كانت تنتشر بين أهل البلاد المصرية آنئذ. وحاول اليهودي سيغمند فرويد انقاذ ماء وجه اليهود بأنه اعتبر موسى مصرياً وليس اسرائيلياً ولاصلة له بنسب ابراهيم ولايعقوب. وأن ديانة موسى هي ديانة أخناتون بعينها وهي مصرية بحتة ومصدرها مصري ولاعلاقة لها ببني اسرائيل ودور أبناء اسرئيل. ولم يكن يهوديا بل مصرياً أراد كتبة التوراة أن يجعلوا منه يهودياً من حيث المولد والديانة لإغراضهم. وبعد اغتيال موسى هجر اليهود دين موسى"[2] ويؤكد بريستد أن موسى حث على الختان.. وهي عادة تعود إلى ٢٣٠٠ سنة قبل عصره وهذا يؤكد أنه كان توحيدياً أخناتونياً وداعيا لهذه العقيدة التوحيدية. وكل هذه المعطيات التاريخية تخالف التوراة تماما، بل تنسف كل ماورد فيها حول موسى وغيره. ويقول د. أحمد سوسة نقلاً عن د. سامي سعيد الأحمد أن ديانة موسى ذات صلة بالمعتقدات القديمة. ونقل الأحمد عن خبيري الآثار المصرية ويلسون، وديفيس "أن التشابه الكبير بين الترتيلة المعروفة لأخناتون إلى قرص الشمس "إتون" والعبارة ١٠٤ من سفر المزامير أمر مهم في هذا الاتجاه. ونعلم أن العبريين أتباع (موسى) قد صنعوا أثناء وجودهم في صحراء التيه في سيناء مع يعرف بفلك الميثاق وزينوه كما تبين النصوص بتماثيل صغيرة تملأ أشكالا أشبه الملائكة، وتشابه تشابهاً تاماً التماثيل المجنحة التي صنعها قدماء المصريين للآلهة "معات" -الحق والعدالة -كما تشبه القوارب المقدسة التي كان يصنعها المصريون لاحتفالاتهم. وتشابه بين الحيوانات التي تعتبر قذرة عند العبريين وهذه منقولة عن المصريين

---

[1] بريستد: فجر الضمير -ترجمة د.سليم حسن. ص ٢٧٦.
[2] س. فرويد -موسى والتوحيد ص ٢٩ بالعربية / freud: Moises and monitheism

القدماء [1] وقد اشتهرت رواية يوسفوس عن أن فرعون مصر كان يداعب النبي موسى فخطف له التاج عن رأسه ووضعه على رأسه.. فذهل واعتبر هذه الحركة شؤماً فعقد مجلسا لاستشارية لهذا الغرض وماذا سيحصل في المستقبل.. ولعل هذه الرواية مجرد رواية مجتهد فيها. أو اجتهد يوسفوس فيها نقلا عن قصص قدماء بابل وكنعان.. وهكذا نرى أن موسى غير محدد، أو مختلف في التحديد وأن الوثائق المعاصرة لموسى مفقودة لذلك بقي تاريخه غامضا، ومجالاً للاجتهاد.. وقد قام الأحبار بصناعة تاريخ له قصص لخدم أغراضهم الانتربولوجية والتاريخية والدينية على حد سواء.

●قصة الخروج أواسطورة الخروج التوراتية:

هناك قصتان للخروج واحدة ذكرها المؤرخون ورواية سفر الخروج التوراتية.. والقصتان تتعارضان تماماً..وهنا يؤكد المؤرخون (مانثيون ٢٨٠ ق.م وتاسيتس ٥٠ م، وكذلك المؤرخ اليهودي يوسفوس) على أن سبب خروج جماعة موسى من مصر هو رغبة المصريين في أن يتقوا شر وباء تفشى بين العبرانيين المستبدين المملقين. وأن موسى نفسه كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بين اليهود المجذومين وانه علم قواعد النظافة على نسق القواعد المتبعة عند الكهنة المصريين. فيما يقول روبنسون عن قصته الخروج وموسى، بأنها قصة مصرية ترمز الى الصراع الدامي بين أحموس وفرعون الشرير الذي هزمه أحموس واستكمل تحرير مصر بعد استشهاد والده "سقنن رع" ووفاة أخيه الملك "كاموس" فكان اليهود وفقا لهذه النظرية قد واءموا بين صراع أحموس بطل مصر القومي ضد الهيكسوس وصراع موسى بطلهم القومي المصري والذي اختص بعبء قيادتهم وإخراجهم من مصر [2] .

أما العالم الأثاري التاريخي د. موركات الألماني فينفي ما جاء في أساطير التوراة القائلة بقرابة اليهود والأراميين الذين ينتمي اليهم ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب (اسرائيل).. وأن الابحاث الأثرية قد برهنت على عدم صحة الأساطير التي وردت في التوراة [3] من كل هذا نستدل من ذلك ومن الأحداث التاريخية في تلك الفترة أن جماعة مصرية موحدة أو توحيدية من الجنود اتباع موسى وبقايا الباقين في مصر بعد طرد الهيكسوس من مصر (وكانوا يعرفون بالعبريو أو العبيرو)، وأن هؤلاء الجنود هم من بقايا حامية الملك أخناتون في عاصمتهم "

---

[1] د. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص: ١٥ نقلا عن أحمد سوسة ص:٤٦٩.

[2] فؤاد شبل: دور مصر في تكوين الحضارة ــ مشكلة اليهودية العالمية ــ ص ٣٨.

[3] د. موركات: تاريخ الشرق القديم. ص: ٢٧٢.

تل العمراني* وهي من الآسيويين والزنوج. وكانوا يدينون بدين أخناتون، فقد اختارهم الملك كجنود الحرس الملكي ليضمن ولاءهم له ولعقيدتهم الجديدة وذلك لعدم ثقته بالجنود الذين يدينون بدين أمون وقد بقوا على عقيدتهم القديمة وأكثرية الشعب، سراً. وأن هؤلاء الجنود الآسيويين والزنوج كانوا مضطهدين بعد موت أخناتون لاعتناقهم ديانته التوحيدية. وبذا يكونون قد طردوا من الجيش أو هربوا من عاصمة أخناتون والتحقوا بجماعة موسى وهو القائد المصري الذي على دين أخناتون.. والتحق معهم بقايا الهيكسوس الذين كانوا مضطهدين بعد زوال حكم الهيكسوس من مصر)[١].



[١] ادولف آرمان: ديانة مصر القديمة / عن أحمد سوسة ص: ٤٨.

الخاتمة

يذهب بعض المفكرين إلى القول بأن الشعوب تتبادل الثقافات ويــأخذ كل شعب ممن سبقه افكاراً وآدابا ونظريات تخصب ثقافته وحضارتـــه، ومدنيتــه أيضاً.. وكذلك الديانات.. وهذا مسلمة أثبتها منطق التدرج التاريخي للشعــوب والمجتمعات.. وهذه المسلمة نتطبق على ماأخذه كتبة التوراة في كتابهم المأخوذ مُن اساطير الشعوب العربية القديمة بالكامل.. إلا أن امرهم مغايرتمامــاً لــهذه المقولة.. فليس لليهود حضارة أو مدنية سلفت، ولم يســهموا فــي حضـــارات المنطقة ومدنيتها السالفة أو اللاحقة على الاطلاق.. ونعني باليهود هنا أولئـــك الذين كتبوا التوراة، أما اليهود اليوم فهم أبناء شعوب مصدرهم منطقة الخـــزر في روسيا ثم توزعوا على بلدان أوربية أو أفريقية وآسيوية واســترالية تربــوا على حضارات هذه البلدان وترعرعوا في أرحام مجتمعاتها. ويتمسكون بكتاب أسطوري يخلط التاريخ والحقائق على الصورة التي أبرزنا بعضها ولهذا أصبح هذا الكتاب موضع تشكك البشرية منذ وجوده وحتى الساعة. وعبر التطـــواف السريع في النصوص والوثائق وبطون الكتب، نخلص إلى الاستنتاج التحليلـــي للمقولات المقدمة عبر هذه الصفحات، لنجمل القول بما يختم الحديـــث حـــول التزييفات، وكشف الغطاء عن الحقائق التاريخية التي سلط المفكـــر الفرنســـي روجيه غارودي عليها الضوء، وابتدأنا في متابعة المشوار من حيث انتهى هذا المفكر الحر..

أشرنا فيما سبق إلى أن هذا الكتاب (التوراة وشروحاته التلمــود، المشنــة والجمارا وماإليها) هو محل شك من جميع البشر، بمذاهبهم وأديانهم وأنبيائــهم وكتبهم السماوية (الانجيل والقرآن على سبيل المثال).. وأحلنا (الدليـــل) إلـــى الكتاب نفسه، بحيث أن قراءة سريعة تخلص إلى النتيجة التي تقر بـــأنك أمـــام كتاب ليس موحى به ولايمت إلى الاله بأدنى صلة. فالأســـاطير التـــي ســبقت وجود هذا الكتاب مرسومة، منسوخة، في هذا الكتاب بحرفيتها من ناحية، وأن الأنبياء الذين تعارفت عليهم البشرية وجدناهم في هذا الكتاب زهطاً من الأشرار والعنصريين، وسيس كاتب التوراة أقوالهم وأياتهم إلىحيث يرغـــب، وصـــور شخصياتهم زناة ولصوصاً، وكذابين مخادعين، وقتله، وقارفوا كل الخطايـــا.. حتى الله عز وجل، في هذا الكتاب، حولوه إلى بشري يـــدوس علـــى العقيـــق الأزرق تارة والأخضر تارة أخرى، ويأتمر بأمرة من يختارهم ثم يفعل ويندم،

أو يتعب.. وجثماني كما الانسان من ناحية ثانية وعليه فإن هذا الكتاب مسوغ بحسب ارادة الكاتب ورغبته... "اسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه"؟.. فجل الله عن كل هذه النعوت والصفات. ويتساءل المرء أن هذا التصوير لله والقذف على الأنبياء ليس بريئا فما المقصود منه؟ فلا نوح يبدو نبيهم، ولالوط، ولااسماعيل واسحق، ولاداوود وسليمان ولاموسى لأنهم ليسوا من نسلهم الملفق. ولذا لم يجد كاتب التوراة مانعاً من القذف عليهم وتشويه صورهم ووصفهم بهذا الوصف الشائن حتى اتبعوا نفس الطريقة في الوصف مع ابراهيم ويعقوب... لكن لماذا فعلوا ذلك مع يهوذا واشعيا اللذين يميزونها عن بقية الأنبياء؟.. لقد جعلوا ابراهيم محابيا، ويعقوب يوهم الرب ويتفق معه على التواطؤ والسرقة (يسرق غنم وبركة أخيه بدافع من أمه) ويهوذا زانيا... و"قال يعقوب وهو على فراش الموت: يهوذا اياك بحمد لخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك" ولماذا هذا التآمر كله؟..

وجعلوا موسى يأمر ربه ويثنيه عن غضبه ليرضى عنه قومه... وهارون عابداً للأصنام وسارقاً:" ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له:"قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لايعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب (...) وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصيره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك ياإسرائيل التي اخرجتك من أرض مصر فلما نظر هارون، بنى مذبحا امامه. ونادى هارون وقال: (غداً عيد الرب). إذن هذا هو ربهم، ثم كيف يتآمر هارون مع من ارتدوا عن دين موسى إلى الوثنية؟..

وفي مكان آخر نجد تناقضاً مغايراً لكل هذه الأقوال:" ليس الله انساناً ولاابن انسان فيندم" سفر العدد –الأصحاح: ٢٣/ ١٩/ ٠٠ وبايهما يأخذ؟..

قلنا فيما مضى أن الكتبة يعرفون أن الانبياء الذين ذكرهم لاعلاقة لهم بهم ومع هذا اتخذوا أنبياءً لهم وكالوا لهم كل هذه الاوصاف وهذا الصلف، هل ليهينوا ديانات العرب وأنبياءهم وتاريخهم وهم في النهاية لايخسرون شيئاً وأن أهل هؤلاء الانبياء والكتب هم أعداءهم العرب.؟ أم انهم ينقصون كل هذا دون وازع اخلاقي أو تاريخي لأنهم وثنيون ولا يبتغون سوى تملك أرض العرب عن طريق سرد قصص وخرافات على لسان أنبياء العرب انفسهم بعد تلطيخهم بهذه النعوت والخرافات الشاذة.؟

وعليه فإنهم لايتورعون من أن يدينوا كل من يتمسك بأخلاقية الاديان بالاسامي أو أنه نازي.. ويقيمون عليه قيامة الدنيا.. انه لأمر بشع وخبيث..

ـ ولله ذوق ومزاج في هذا الكتاب، فهو يحب المأكل، والمشوي منه بخاصة، وكذلك يحب ألوان القرابين:" أطباق من فضة من ذهب وزن الواحد منها ١٣٠ شاقلاً من الفضة، وصحون من ذهب وزن الواحد منها عشرة شواقل من ذهب. وثيران وأكباش وأبقار ولحم يشوى على المذبح" سفر الملوك. وفي سفر العدد يجيب الرب نفسه على هارون فيقول:" كل قرابينهم وتقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وآثامهم التي يردونها" هذه الأقوال تنبئ عن تجارة يتعهدها الكاهن أمام مبايعيه وليست أمراً الهيا على الأقل.. ونلمس في هذا الكتاب أمراً جديراً بالانتباه، وهو ان الرب فيه ليس ربا لكل البشر بل هو محصور بهم فقط، وهذا واضح فيه بالنص:" أنتم شهودي يقول الرب -تؤمنون بي وتفهمون أني أنا هو -قبلي لم يصور اله وبعدي لايكون، أنا الرب وليس غيري مخلص، أنا الله ولامنقذ من يدي. هكذا يقول الرب ملك اسرائيل أنا الأول والآخر ولااله غيري". إذن ليس هذا الرب الها للبشر، بل لفئة هي شهوده وعلى الشهود أن يفهموا أنه هو" ملك اسرائيل الأول والآخر ومخلصاً وليس غيره".. ومع هذا فإن الأمر لايحل ولايفضي إلى نتيجة موضوعية تنهي المشكلة.. أي أنه اله جزئي أو ملك لديه نص يعمل بموجبه وليس هو الله الواحد والعلي العظيم.. أي أنه واحد منهم وسيدهم.. وبذا تبقى المشكلة الأساسية قائمة وهي أن هذا الكتاب غير منزل من الاله العلي العظيم، ومايمكن أن يقال ويفتأت عليه، على أي اسرائيل، ينسحب على يهوه ذاته... ولايغرب عن البال جهبذات كتبة التوارة، من شفاء العلل "ينفخ باصبعه سبع مرات أمام الرب ومابقي من الزيت الذي على كتفه اليسرى..." فيشفى.. والسؤال هنا لماذا لم يستخدم كاتب التوراة وسيطاً بين اليهود وأنبيائهم من طرف، وبين الرب من طرف آخر.. كالملائكة مثلاً؟.

لقد ذكروا الملائكة.. فقالوا في سفر التكوين الصحاح الثامن عشر مايلي:" ثم ركض ابراهيم إلى البقرة وأخذ عجلاً رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع يطهره ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعه قدامهم (اي الملائكة) وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا" وباعتقادي أن هذه الرواية حديثة الكتابة، إذ أنها نقلت بشكل مشوه ووثني وزيفوها بما يتطابق وأسلوب كتابتهم، وبما يشوه حيقيقة ابراهيم لينسجم مع القصد الأساسي وهو سرقة ابراهيم من العرب، مسيحيين ومسلمين على حد سواء. كما افترى هؤلاء على الانبياء فقد افتروا على الله، وروح القدس، فحولوه شيطانا.. ولنقرأ هذا النص من سفر الملوك ٢٢:" رأيت الرب جالسا على كرسيه، وكل جند السماء وقوف لديه، عن

يمينه وعن يساره، فقال الرب من يغوي (أخاب)(١)فيصعد في راموت جلعاد، فقال هذا هكذا، وقال ذاك هكذا، ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه".. وهذا تشويه مقصود ضد المسيحية. والشيء المستهجن في هذا الكتاب هو حقدهم على المشرق وفلسطين ومصر، والوعد بافنائها... وهذا ماارتفع من أجله صوت أشعيا ١١/"ويكون في ذلك اليوم أن يجمع الرب جميع المشتتين والمنفيين من ابناء اسرائيل ويهوذا من أربعة أطراف الأرض. لينقض على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بني المشرق معاً " الخ... وبالنسبة لمصر يقول أشعيا في نفس السفر والإصحاح:" ويبيد الرب لسان بحر مصر ويهز يده على النهر بقوة ريحه ويضربه إلى سبع سواق يعبر فيها بنو اسرائيل بالأحذية وتكون سكة لبقية شعبه كما كان لاسرائيل يوم الخروج من مصر"..." لأني أنا الرب الهك قدوس اسرائيل مخلصك جعلت فديتك (...) أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه، مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع شعوبها فيسأل كل واحد العرافين والتوابع والجن وأغلق على المصريين في يد حاكم قاس فيتسلط عليهم. وتجف المياه ويجف النهر وتنتن الأنهار وتضعف السواقي ويتلف الزرع وتجف الرياض والحقول على ضفاف النيل" الخ... ولاتعليق هنا على هكذا نص كتبه حاقد وفي وقت لاحق. ثم نأتي إلى نهاية المطاف فنورد قولا لاشعيا نفسه حول حقوق المسيحيين والمسلمين –وهو نص مكتوب حديثاً جداً –فيقول في السفر نفسه رقم ٥٢:" استيقظي.. استيقظي.. البسي عزك ياصهيون.. البسي ثياب جمالك ياأورشليم.. لانه لايعود ويدخلك فيما بعد، أغلف ولا أنجف"؟؟!!.. (والأغلف غير المختتن) وهذا موجه مباشرة للمسيحيين والأنجف(هو المختتن) هو المسلم في توراتهم... لكن هل في تراث سيدي هذه الأمة (محمد وعيسى) أي قول أو اشارة تسيء إلى أي مخلوق لم يقترف ذنبا أو لمن لم يولد بعد كما هو شأن هذا الكتاب المفتري على الله وملائكته ورسله وعلى العرب وجميع البشر؟ أما تنبؤات التوراة.. فلا نجد مجالا لذكرها ههنا. لكي لانخطئ خطاياهم... ويمكن العودة إليها في كتابهم (سفر حزقيال) الذي جعل نفسه عالماً بالغيب فحدد وعين وأقام وأنشأ مايحلو له.. علماً بأن الأناجيل والقرآن قد نبهت إلى طغيان اسرائيل في الأرض...

* وكان العقل العربي القديم (من البابلية حتى الجاهلية إلى الاسلام) قد أدرك فلسفة معتقداته فرفض أن تكون موجهة للشر والقتل والتآمر، أي رفض أن تكون أولوية الوجود للشر (وكذلك الشرقيون من فرس –هرمز أسبق من

(١) ووراحاب أو راخاب هي التي مرت معنا في الفصل الثاني.

كيرموث –وهرمز اسمه على مضيق الخليج العربي، ثم ظهر منازعه الشرير "أهومان" وخلق هرمز الملائكة والبشر ضد أهومان وكذلك ميثهرا اله الخصب ثم الهنود وزرادشت ٧٠٠ ق. م. الذي اخذ عنه اليهود قصة المهدي المنتظر فبدلوا اسمه بالمسيح المنتظر).. إذن إن إله البشر إله خير وإله هؤلاء اليهود إله شر.. وإله البشر موحد، يشمل خيره كل الكون والبشر، وإله اليهود هذا إله جزئي يضمر الشر والموت أو الفناء للكون وبقية البشر.

* وقد لمسنا عبر بحثنا ثنائية الاعتقاد اليهودي الاسطوري وذلك جراء ماحصل لهم من مصائب وماجر عليهم مسلكهم التآمري ضد الشعوب، خاصة وأنهم بدو رحل (قطنوا الخيام) وقد اعتدوا على مركز الممالك (على طريق الحرير) فجرَّ عليهم ذلك السبي الاول والثاني أبشع العقاب.. ومن هذه الثنائية أنهم جعلوا عزرائيل الها سماويا ليهوه وقدموا له القرابين لارضائه:" ويلقي هارون على التيس قرعتين: قرعة للرب وقرعة لعزرائيل".. وأن عزرائيل لديهم شيطان ويسكن الصحارى تارة، وأنه زعيم الملائكة الذين هبطوا من السماء وزنوا ببنات البشر ثم انهزموا أمام جنودّ يهوه" فيما أن عزرائيل هو لله بابلي (اله الهلال) سين وقد صوره البابليون بهيئة تيس أو جدي رمز إليه بالهلال للتشابه بينه وبين قرن التيس. ونجد الاله البابلي هذا عند الكنعانيين وكذلك عند اليونانيين فأطلقوا عليه اسم ديوس (أو التيس) أما أبولو فهو العالم السفلي وقد هبط إلى هناك مع صاحبته "أتيس" ومات قتلاً وهو متلبس بهيئة التيس وهو سبب بلاء البشر وأصل الخطيئة وهو الذي أغوى آدم بالأكل من الشجرة المحرمة..

فيما قال التوراة بأنه الحية التي أغرت آدم.. وقالت المسيحية بأنه ابليس متنكرا ولما طلب منه الخضوع لآدم أبى فتحول إلى العالم السفلي –عالم الظلام. ويقول السيد المسيح موجها قوله الى هؤلاء الملعونين (في أصحاح متى ٢٥):" اذهبوا عنا ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته".

ومن صور الثنائية التوراتية أيضاً عبادة الكواكب التي أخذوها عن الاسطورة البابلية (الرافدين) وتقول هذه الاسطورة أنه اكتشفت الكواكب الخمسة: عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل، وأن ابهاها هو الزهرة. ثم أضافت كوكبين هما الشمس والقمر فأصبح مجموعهم سبعة كواكب ولهذا قدس البابليون الرقم (٧) كما مر معنا في متن البحث... وهذا الرقم بدلالته يرمز الى السماء. وجاء في اللوح (٥) من اسطورة الخلق البابلية: أن النجوم هي صور الألهة ورموزها، وهي أن العقل البشري أثناء مسيرته وتطوره ارتفع نحو المزيد من التجرد... وقد دخلت هذه الكواكب في كل معتقدات البشر الدينية.. وهذا مايشير إلى عبادة البشر لقوة كونية أعظم شأناً من قدرتهم،

وجسدها العقل العربي -الرافدي -القديم في آلهة (انثى وذكر) اشارة إلى أصل الخصب والتكاثر، فالأرض هي الأم الكبرى ومحور الحياة واستمرارها فاصبحت هذه القوة محركاً كونياً لاحداث العالم وتمثل رمزاً في السماء هو الشمس... ولهذا كان الانسان يرفع يديه إلى السماء تقديساً وتوسلاً إليها. وأوجدت الاسطورة البابلية نجمة ذات ثمانية اشعاعات ثم اخرى ذات ستة عشر اشعاعاً.. وهذه ترمز إلى الكوكب (الزهرة) وقد عبدت في معابد الوركاء السومرية وأطلقوا عليها اسم "اينانا" سيدة السماء في عهد الأكاديين.

ثم تحولت إلى عشتار وهي أول ملحمة في التاريخ (الملحمة السومرية) حيث هبطت اينانا إلى العالم السفلي وبغيابها جفت الأرض وتوقف النسل (اشارة لفصل الخريف) وهناك أرشدت العالم السفلي إلى عشيقها تموز الشهيد الذي غدرت به -فاتخذ مثيلاً للأفراح -ورمزاً للاتصال الروحي والجنسي بين المرأة والرجل -وكان هذا العالم في مدينة الوركاء (بحسب ملحمة جلجامش) في بابل. (وبابل هي باب -ايل أي باب الله).

وفي العهد الآشوري عبدت اينانا الزهرة وكذلك عشتار (الاله الذكر للحرب في الصباح-والآلهة الأنثى للشهوة واللذة في المساء) نظراً لظهورها المتكرر صباحاً ومساء. ولاحظنا ممارسة الجنس الجماعي المقدس لدى البابليين في المعابد، إذ كان ذلك شائعاً، وهذا يرمز إلى التحريض لقوى الاخصاب الكامنة في الأرض (الأم الكبرى) انطلاقاً من أن الشبية ينتج الشبيه لضمان التكاثر في الناس وفي الكائنات الأخرى وكان هذا الطقس أفضل عمل يقدم قرباناً للزهرة خاصة فض بكارة الأنثى في المواسم القبلية عندما كان الرجال للنساء والنساء للرجال في القبيلة الواحدة بادئ الامر ثم انسحب على الآلهة.

وهناك طقس البكاء الموسمي على الشهيد تموز..

وكل هذه المعتقدات نقلها كاتبو التوراة، ومارس معتنقوها الزنى المقدس ذاته في الهيكل والمعبد، مثلما قدسوا الرقم(٧) على مر العصور حتى اللحظة.. ونجد في قصة يوسف تكرار هذا الرقم(السنوات السبع العجاف والسنوات السبع السمان).. وكذلك عيد الفصح التوراتي وهو بقايا المعتقدات الاسطورية البابلية الذي يحتفل به في موسم الربيع لمدة سبعة أيام.. وفيه تفض البكارات...

أما الكواكب وعبادتها فقد نسختها التوراة عن البابلية نسخاً حرفياً.. مع تبديل واحد منهم: ان البلبليين جعلوا الجمعة يوم الزهر المقدس فيما جعله التوراة يوم السبت (ويعني الراحة).. كل هذه الأساطير أصبحت كتاباً ربانياً وتاريخاً لهؤلاء الوثنيين.. ونلاحظ في قرائتنا للتاريخ التوراتي بأن أستير نبهت التوراتيين، وهي والدة الامبراطور كورش نبهتمهم إلى تبني فكرة العودة وجاء

في سفر أشعيا ٤٥: هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الـــذي أمسـكت بيمينــه لأدوس امامه أمماً لأجل عبدي يعقوب واسرائيل مختاري." دعوتـــك باسـمك، لقيتك وأنت لست تعرفني، أنا الرب وليس أخر". واشعيـــا هــذا كـان دليــلاً (جاسوساً) لكورش في بابل ثم جاء الامبراطور "ارتحتسيا" فأصدر أمــراً الــى الكاهن "عزرا" لاتمام تلك العودة، من السبي. وقام عزرا بوضع هــذا الكتــاب وقد اختار ماستهواه من الاساطير العربية وجعلها دين اتباعه، دون أن يغـــير فيها إلا قليلاً.. وقد مس التغيير بعض النواحي الطقسية فمثـــلاً حـور مســألة القربان والذبيحة ووظفها بما يخدم هدفه. وكذلك عبادة الطوطم، وهـــو رمــز للآباء الذين استشهدوا وهم يصارعون الوحوش ونوازل الطبيعة وأن كـــورش هو البطل الاسطوري فحوله عزرا إلى رمز لابناء اسرئيل، والمسيح المنتظـــر لبني اسرائيل رقم واحد.

وأخذ عزرا الثالوث الالهي العربي" ياه -ياهو -أهيه" اله عرب المشرق، وقد جعله كاتب التوراة اللاحق (بعد عزرا البابلي الكاتب المصري التوراتـــي الآخر) الهاً التقاه موسى عندما كان يرعى الغنم في مدينة على هيئة نـار فـــي عليقة وقال:

"وهكذا تقول لبني اسرائيل: يهوه ارسلني اليكم، هذا اسمي إلى الأبد" وهو ذاته الذي جاء اسمه في مزامير داوود ياه" فصار يهوه ودون في كتاب عـــزرا هذا وصار الهاً لقوم مسبي في بابل ويطمح بالعودة إلى القدس.

وقد عثرت في أوغاريت (رأس شمرة السورية) على رقيم يحمل الاسمين (ياه -وياهو) منقوشاً على خزفيات من العصر البرونزي من مكتشفـــات هــذه المنطقة وهذا قبل عزرا ويهوه بعشرات القرون مما يسقط ورقة التـــوت عـن التلفيق التوراتي.."وقد كان أهل ديان يعبدون الهاً وثنياً اسمه يهوه"(١) .

وجاء في النص الأوغاريتي:" يقول الاله ايل أن اسم ابني يـــاو وان ايــل قرر عندما شعر بشيخوخته وعجزه أن يولي ابنه خليفة لـــــه" وهنـــاك بعــض الفروق في اللفظ مابين الكنعانية والأرامية التي أخذت منها العبرية و"ياو" هـــو يهوه التوراتي المعبرن. هذا من حيث سرقة اسم الاله. أما مـــن حيـث اسـم الأرض أو الجغرافيا التوراتية فقد وردت في كتاب عزرا هذا المسمى تـــوراة بأنها تمتد على الرقعة مابين النهرين النيل والفرات.. علماً بأنه في عهد عزرا لم يكن قد دخل اسم النيل والفرات، بل إن الاسمين الواردين في وعـــد يـهوه لابرام -كما كتبه عزرا- ينص على أنه يعطيه الأرض من نهر مصريم علـــى النهر الكبير الفرات.

---

(١) راجع بروستيد -مرجع سابق.

وحسب خط سير هؤلاء فإن نـــهر مصريـــم (ونحـــل مصريـــم أو وادي مصريم) هو غير الفرات الحالي وفي غير تلك المنطقة الأولـــى. أمـــا النـــهر الكبير" الفرات" فهو نهر بهذا الاسم (فرت) نسبة إلى قرية الفرت(السفلى وشعبه الفرات) في اليمن وهي نفس المنطقة وليست لانيل مصر ولافرات الرافدين كما فلسف كتبة التوراة السابقون واللاحقون.

وإن جغرافية التوراة لاتزيد عن المسافة التي قطعها المسبيون من القـــدس إلى بابل وبالعكس ثم حاولوا مطها على المسافة التي قطعها ابراهيم (بعـــد أن نسبوه اليهم وعبرنوه)من حران عبر سوره الحالية إلى مصر ففلسطين، حيـــث وجدوا أن ذلك انسب وأثمن من نحل مصريم وفرت الحجازيـــة أو اليمنيـــة..

وهكذا أعيد تدوين كتاب عزرا هذا فيما بعد على يد عدد من الاحبار كما راينا فيما سبق وبجغرافيا جديدة لـــ" دولتهم الخرافية " الموعودة.

حتى إن اسم فلسطين والمناطق الأخرى قـــد حرفـــت وزورت جغرافيـــا الأمكنة بما راق للكتبة وساعدهم فيما بعد المستشرقون في تزييـــف وتحريـــف أسماء الاعلام والامكنة...

وقد علمنا أن اليهود جميعا كانوا بدوا ورحلا بمن فيهم ابراهيم وموســـى ولنقرأ قصة مجيء موسى إلى المنطقة كما ترويها التوراة: وبعـــث اســرائيل رسلاً إلى سيحون ملك العموريين قائلا : دعني أمر في أرضك ونحن لن نميل الى حقل أو كرم ولانشرب ماء بئر، وإنما نسير في الطـــرق الـــى أن نجـــوز تخومك.. وسمع الملك الكنعاني ملك عراد أن بني اسرائيل قـــد جـــاؤوا علـــى طريق أثاريم فقاتلهم وسبى منهم سبيا.(وهم يقصدون المرعى الذي في منطقـــة عشيرة بني حث ثاني أولاد كنعان) وتتابع التوراة: وأقبل بنو اسرائيل الى برية صين فأقام الشعب بقادش وأنفذ موسى رسلاً من قادش الى ملـــك أدوم قـــائلا: هكذا قال أخوك اسرائيل قد علمت جميع مالنا من المشقة وهانحن فـــي مدينـــة قادش التي في تخوم أدوم. وأدوم هو عيسو أخو يعقوب كما ورد في التوراة إلا أنها– وفي التوراة ذاته–جبل (تخم).. .ولما لم يسمح لهم ملك أدوم بالمرور كلم الرب موسى وهارون في جبل هور ثم رحلوا من هور على طريق بحر القلزم ليدوروا حول أرض ادوم. وقادش وصين وأدوم وجبل هور وبحر القلزم هـــي منطقة جغرافية صغيرة واحدة وضيقة تحركت فيها عشيرة قليلة العدد ـــ إلا أن أسماء مدن هذه المنطقة في التوراة على النحو التالي:

عشيرة صين (بن كنعان) صارت نهر السن في سورية، وبحر القلزم صار البحر الأحمر، وأدوم عند البحر الأحمر، وقادش التي في برية صين صـــارت أطلال جبل النبي بالقرب من العاصي وجنوب حمص، وعشيرة عـــروة(وهـــو سابع أبناء كنعان) على تخم أدم صار جزيرة أرواد السورية، وصمـــيرا(بـــن

كنعان) صار اليوم تل الكزل جنوب طرطوس، وحمثا(بن كنعان)صار مدينـــة حماة السورية.. وهكذا بدلوا الأسماء فجعلوا أسماء الاماكن أنبيـــاء لـــهم كمـــا حددوا جغرافيتها بحسب ماراق للمفسرين من التوراتيين أو من المستشرقين..

فيما ذكر الطبري في تاريخه والهمداني في أكليله أن موسى هو: سنان بن علوان بن عريج بن عملاق بن لاوذ، وأنه أخو الضحاك وكان في بلدة مصـــر في غرب شبه جزيرة العرب، أما يوسف فقد كان الوليد بن الريان مصر أياضاً غرب الجزيرة العربية وتزوج يوسف ابنة كاهن مصر هذه(مصريم) واســـمها "سنان" كما تزوج موسى بعد خمسة قرون من ابنة كـــاهن مديـــان المعـــروف بشعيب في بلاد زهران في نفس المنطقة.

وذكر المستشرق "غلاسر" أنه عثر على نقش معيني في شمال اليمن يؤكد أن حرباً دارت بين مذي وبين مصر(شمال اليمـــن).. وأوردت الرقـــم علـــى جدران المعابد في أقصر مصر ماهو من عهد الملكة حتشبســـوت(١٤٨٢ ق.م) أن حملة شيشنق الأول ٩٤٥-٩٢٤ ق.م قد وقعت غرب شبه الجزيرة العربيـــة حيث الخط التجاري-طريق الحرير-وليس في منطقة فلســـطين كمـــا ذكرهـــا التوراة.. وقد ظهرت التوراة كديانة هناك بعد عودة أبناء هـــذه العشـــيرة فـــي بابلون على نهر كفار الذي يرفد نهر الثرات شرقي غامد فـــي السـراة الـــى حورانينا-أورنينا-(كهف السيدة) بعد أن اجتمع ٧٢ كاهنـــاً ووضعـــوا أسـفار التوراة بالحرف اليوناني وبصيغة جديدة في زمن بطليموس) فيما ذكرت التوراة أنهم اجتمعوا في فاروس قرب الاسكندرية، وبطليموس هو وكيل الاسكندر الذي قطع رأسه زبرئيل العربي، وهو ليس الاسكندر المقدوني كمـــا روت التـــوراة وكتبتها الذين لم يتقنوا تاريخ المنطقة بالشكل الذي يجنبهم الوقوع في الخطأ.

وقام هؤلاء بالاعتداء على قوافل الحرير، فحدث عقابهم بالسبي وذكـــرت الرقم أن سرجون الثاني قام بحملة تأديبية لملوك العشائر البدويـــة فـــي الســـنة السابعة من حكمه وفرض جزية على شمسي أو(سمسي) ملكة عربية في شمال غرب الجزيرة العربية، وفعل شمنصر الثالث نفس الفعل مع هذه الملكـــة فـــي السنة التاسعة من حكمه بسبب تعرضها لقوافل آشور. ولم تذكر الرقـــم (علـــى الاطلاق) اسم أي ملك يهودي أو اسرائيلي في كل المكتشفـــات الأثريـــة فـــي الوطن العربي حتى الآن، وأن عدد هذه الرقم والمكتشفات أو اللقى تزيد علـــى مئات الألوف.. فيما ذكر المؤرخون (المستشرقون) أن بني اسرائيل سبيوا الى بابل نتيجة تعرضهم لقوافل آسور وأنهم بدو ورعاة رحل...

- وتجدر الاشارة الى أن اســـم العـــبرانيين لـــم يذكـــر فـــي كـــل الرُقُـــم العربية(شرقيها وغربيها) الا في اضافة داوود قربان الذي قام بترجمـــة الرَقيـم المسماري المكتشف في تل العمارنة بمصر وهو رسالة بعث بها وكيل اخناتون

١٣٥٨-١٣٧٥ اليه على الخط التجاري في تلك المنطقة وذكر فيها كلمة الخبيرو فترجمها قربان بالعبرانيين-لعدم تمكنه من اللغة بل وجهله بها بالطبع- والخبير وتعني(المحاصص) أو الشريك البدوي. أما الأخلامو الذين ذكرهم التوراة فهم عشائر الأراميين العربية البدوية في برية آرام على وادي الثرات التي مارست السطو على القبائل، فيما ترجمها المترجمون بالعبريين.. وهذا خطأ مقصود أو جهول سيان). وكذلك كلمة "يردن" التي جعلها التوراتيون الاردن فهي تعني عابر نهر الثرات من البرية الى قرى كنعان في سفوح جبال غامد غرباً وبالعكس.. فيخوض الماء والسيول المنحدرة من الجبال في السراة..

- أما النهر الكبير الذي جعله التوراتيون والمستشرقون (نهر الفرات) فقد ورد في سفر حزقيال ٤٧، بأنه لاينبع من جانب أورشليم وينحدر غزيراً نحو الشرق الى البرية محدثاً مستنقعات كثيرة قبل أن يصب في البحر، وخصيب على جانبيه، وينتشر على ضفتيه الصيادون من عين جدي الى عجلائيم" إذن ليس هو نهر الفرات وحسب حزقيال نفسه.. إلا أن التوراتيين يريدونه نهر الفرات لتكتمل جغرافية التوراة المزعومة أو المخترعة(من الفرات الى النيل).

- إذن إن المساحة الجغرافية للمسرح التوراتي لم تتعد عشرات الكيلو مترات حيث عاش فيها البدو الرحل القادمون الى المنطقة طلبا للكلأ أو المعيش(بين جبال غامد والسراة في الجزيرة العربية) وليس في فلسطين، حتى أن كلمة فلسطين لم تكن موجودة لا في عهد ابراهيم ولافي عهد موسى ومع هذا دونها كتبة التوراة بما ارتأوه..

- أما اللغة العبرية فهي حديثة النشأة، حيث تم جمع مفرداتها من اللغة العربية القديمة وصاغها اليهودي "أليعازر بن يهوه" بتكليف من الحركة الصهيونية مابين ١٩١٠-١٩٢٠. ورغم ذلك فهي محدودة الانتشار بين اليهودداخل وخارج فلسطين حيث اجبر اليهودي على تعلمها بالقوة لمقاصد استيطانية.. خاصة وأن يهود اليوم(في كل العالم، هم من اصل خزري، وقد مر معنا قصة تهود الخزريين على يد أمير القبيلة التركية القادمة من جبال التاباي السيبيرية والمغولية. الخاقان" كاجان يوسف كاجان" الذي كان قدم الى الخزر من بلاد المغول ولظروف سياسية وعداء مع القيصر بعث برسالة الى حسيداي اليهودي في القرن التاسع الميلادي يعلمه فيها عن عزمه على اعتناق اليهودية.. ويسأله فيها أن الخزر هم اتراك وليسوا ساميين وذكر له، أسماء أجداده للتوكيد والمعرفة/ يوجار، دورسو، أفار، باسيلي، تارنيخ، خزر وهو الجد السابع لكاجان هذا.

وكان العرب قد دحروا إمارة الخزر في الفتوحات العباسية، ثـم دحرهـا الروس ثم المغول، ولهذا لجأ كاجان الى الدين اليهودي، وأرسل بطلب معلمين توراتيين من بغداد لكي يعلموا عشيرته العبرية والطقوس التوراتيـة، الديانـة الجديدة.. ونتيجة للعداء المطبق عليهم فر قسم كبير منهم الى روسيا والمجـر وبلغاريا وبولندا ولتوانيا وأوكرانيا، وابرزها الهجرة التي تمت فـي القرنيـن ١٥،١٦م(١) حيث أقاموا فيها مستوطنات خاصة بهم مغلقة "غيتو"..ونعود لنقرأ تاريخ هذه العشائر بشكل سريع لتحديد الكشف التاريخي للحقائق التي زورهـا المزورون.

تحدثنا في طيات هذا الكتاب عن الفترة السابقة للميلاد من تاريخ اليـهود. ونحن نعلم بأن معظمهم قد ابيد على يد الرومان، ففي حكم الامبراطور كاليغولا (٣٧-٤١م)وكلوديوس(٤١-٥٤م) ساد الهدوء بعد ثـورة المكـابيين أوسـاط اليهود.. إلا أن الوضع مالبث أن انفجر فوقعت اضطرابات شاملة ضد الرومان وخاصة في عهد نيرون(٥٤-٦٨م) وخلفه فسبسيان الذي جعل تيتوس ابنه قائداً حاكماً لفلسطين فقضى على اضطرابات اليهود ودخل القدس عام٧٠ . وأوقـع مذبحة مريعة بهم وخرب المدينة وأحرق هيكلها وذبح كهنته وأزال أثرهم مـن الوجود وكان عدد القتلى من اليهود ثلاثين الفا حسب ماذكره المسـعودي فـي التنبية والاشراف ص:١١٠. وهكذا قضى علـى الكيـان اليـهوديي بأكملـه، تنظيمات وإدارات دينية(ومنها السنهدرين) والهيكل والمعابد كافة وقام من بقي منهم حياً بتشكيل هيئة تلم الشعث قادها (باركوخبا) اعتصـم وجماعتـه فـي المناطق الجبلية وهاجموا الرومان فجرد الرومان حملة أخرى تطهيرية ازالـت قراهم وبيوتهم وحولت القدس الى مستعمرة رومانية وحرم على اليهود، سكناها وبدل اسمها الحاكم الروماني(هادريـان) الـى ايليـا كبتولينـا-الاسـم الأول لهادريان-وقتل من كان في هذه المنطقة حتى بلغ عدد القتلى(٥٨) ألفا قتلوا قتلاً أو حرقاً أو جوعا أو مرضـا-وكانت هذه الضربة هي القاضية على اليهود فـي فلسطين ولم يعد لهم فيها أي كيان طوال القرون التالية على الاطـلاق.. وفـر الأحياء منهم شرقاً الى العراق وايران وغرباً الى مصر والمغـرب ثـم الـى أوروبا: انتهى الوجود اليهودي في المنطقة دون أن يكون لهم فيها أي تـراث يذكر غير هذا الكتاب الذي تمت كتابته عدة مرات عبر العصور وعلى مراحل، أو بعد كل حدث.. ويعاد ترتيبه بين الفينة والأخرى طبقاً للظروف، كما حـدث في القرون الوسطى من تعديل لبعض النصوص كي يتواءم والمسـيحيين فـي أوربا حيث خشيوا أن يفطن المعتنقون لهذا الدين وهم يعيشون في بلادهم وبين

(١) أرثر كوستلر (بيودي ميري): امبراطورية الخزر-ترجمة د. حمدي مصطفى-دار الجليل بيروت ١٩٧٦.

ظيرانيهم.. كما أن اليهود لم يشكلوا أكثرية في أي عهد من العهود التي تواجدوا فيها في فلسطين حين هذه الفترة التي أقاموا فيها كياناً لهم في جزئين من فلسطين(يهودا-والسامرة).. ولم يكن أمام اليهود في أوربا غير أن يعتنقوا المسيحية وأن يتستروا في هذه البلاد ويخفوا دينهم كما فعلوا من ذي قبل في الفترة الأول للبعثه المحمدية وما بعدها.. وفي القرون الوسطى أيضاً اعتنق بعض الأتراك المغول في بلاد الخزر الواقعة جنوب روسيا قرب مصب الفولغا(بحر قزوين) اعتنقوا الديانة اليهودية بعد أن اعتنق اميرهم (الخاقان) الدين اليهودي نكاية بالقيصرية الروسية بعد عهد هارون الرشيد ٨٦٥م، ثم تفرق منهم خلق كثير في أوربا بعد مذبحة القيصر لهم، الى المانيا وبولونيا بخاصة والى دول أوربا بعامة وكذلك الى اميركا حيث سيطروا هناك سيطرة شديدة على المال والصحافة والسياسة.. كما كونوا كياناً صغيراً في كردستان..
وقد لخص انجلز طبيعتهم ووجودهم في أوربا على النحو التالي في معرض مناقشته للمسألة اللاسامية فقال:" نبين ان المضمون الدنيوي لليهودية(كدين) يعبر عن جوهر وطبيعة المجتمع الرأسمالي المعاصر، كما أنه يعادل عيوب ونواقص الرأسمالية بشكل عام. لأن الروح اليهودية(التجريبية) بقيت في المجتمع المسيحي الأوربي نفسه وتطورت معه، ذلك لأن العقيدة اليهودية تعتبر نفسها جزءاً متمماً لهذا المجتمع المدني(أي الرأسمالي) الذي يلعب فيه اليهودي دوراً كاملاً، مستمداً جوهره وطبيعته من التوراة والتلمود، اللذين لاينموان الا في مثل هذا المجتمع المدني الربوي الذي يوصله الى النتائج التي يرغبها. .
أما فكرة إلغاء الجوهر التجريبي لليهودية والارضية التجارية من اذهان اصحاب هذا المعتقد إنما يضحي بالشخصية اليهودية". (راجع أ.ج. تيبوري حرية الفكر). وقد أدخل اليهود في توارتهم نصوصا تجعل من الهيود الخزر وغيرهم من الجدد أحد الاسباط اليهود والتي اسميت بالمفقودة . وتجدر الاشارة ايضاً أنه بعد المذبحة القيصرية لليهود بقي امام احد اليهود وضع كتاب ديني-سياسي لليهود هو النسخة الأولى لبروتوتوكولات حكماء صهيون الذي عدل فيما بعد على الهيئة النهائية المنشورة حاليا وهذا الرجل يدعى أحد هاعام (ابن الشعب) وجاء هذا الى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى وما فيها ١٩٢٧ بعد ستين عاماً من العمل واسمه الحقيقي آشير غيرينبيرغ (١) ودون شك بقي

---

(١) وقد جعل آشير هذا كتابه على صورة فتاوى أو قرارات مشايخ صهيون، وملئه القرارات والوصايا والأحكام المتوجب اتباعها ومنها:-ستر قوة اليهود والقضية-العمل على استخدام اليهود للحكام والصحفيين-تسخير قوى العمال بالتجويع-العمل على تقويض أركان كل دين-انتهاج مبدأ الذئاب والغنم-مراقبة عمل للصحافة والكتاب-السايدة المالية ←

بعض اليهود في فلسطين وفي الدول العربية مستترين ليس من العرب بل من المحتلين الأجانب تركيا كان أم فرنجيا وذلك لأنهم لاقوا من العرب كل عطف واحتواء لمشكلاتهم وساعدوهم وأطعموهم وأسكنوهم بيوتهم ولم يفرقوا بينهم وبين مواطنيهم بوازع من أخلاقياتهم الحضارية المستمرة فيهم، وقد جاءت الرسالات السماوية تكرم هذه الأخلاق، من مسيحية واسلامية في حين لم يترك هؤلاء الوثنيون مناسبة أو فرصة دون أن يدسوا سمومهم في شؤون أو حقوق البشر.. دون أن يجهزوا على مستضعفيهم المرسوم في كتبهم المسطرة بخط ايديهم(نتيجة الحقد التوراتي) أو دون أن يتآمروا على البشر وعلى العرب فمثلا، ذكر مستر جفريز في كتابه(فلسطين الحقيقة) يقول"إن فكرة استعمار فلسطين على يد الصهاينة ترجع الى ما قبل عهد نابليون بحوالي ستة قرون" وذلك حين جاء ثلاث مئة حبر من أحبار اليهود الى صلاح الدين الأيوبي لاستقصاء الامكانيات لهجرة اليهود الى فلسطين لما حرر صلاح الدين مملكة الاسلام وجد اليهود عطفا منه وكانوا عندئذ قلة في فلسطين. وهناك حادث غريب ذو أهمية بل قل من عرفه وهو أن صلاح الدين استقبل في سنة ١٢١١ ثلاث مئة من أحبار اليهود جاءوا من انكلترا وفرنساوقد قدم هؤلاء سعيا وراء الاستقصاء حول امكانية هجرة اليهود الى فلسطين غير أن مهمة هؤلاء الأحبار لم تسفر عن أية نتيجة(١).

لملاقاة الأديان-البابا هو العدو الماكر والعمل على سحق الفاتيكان-اخضاع الحكومات لقوة رأس المال- اقامة المقاصد الخيرية والجمعيات السرية وقيادة الشخصيات عبر الملوك الى الخيالة وجهل الشعب عندما تملك اسرائيل-لاخوف من اغتصاب الحقوق ويفضل الخدام والمال والمدافع الأميريكية واليابانية، (وادراج المدافع اليابانية هنا كان قبل الحربين عندما كانت اليابان قوة عسكرية) مستمد قوتنا.. وهذه هي الصبغة العامة القائمة في كتب اليهود، ووضع فتاوى وأحكام تشريعات لاهوتية باسم الرب(رب اسرائيل) والعمل بموجبها لكونها مقدسة(؟!!) في كل ظرف يلاقي فيه اليهود حرجا أو ضيقا أو فرصة للوصول الى المبتغى. وتجدر الاشارة هنا الى ان التمور هو اعلى قيمة من التوراة وهو الكتاب المقدس لديهم وليس التوراة. وبهذا نكون قد حللنا اللغز ووجدنا الجواب على تساؤلنا السابق عن سبب شتم الانبياء والديانات العربية..

(١) وروى المستشرق جاك بيرك أنه عندما حاولت حكومة فيشي الهتلرية اضطهاد يهود المغرب وقف محمد الخامس يدافع عنهم ويحذر من أن يمسوا بسوء وفي مصر كانوا محظيين فقد أصدر اليهودي المصري ايلي ليفي أبو عسل كتابا اعتبر فيه هرتزل موسى آخر، وكذلك كان منهم صحفيون نشيطون يهود نتيجة التسامح العربي حتى أن مؤسساتهم كانت نشطة بكل حرية. وفي عام ١٩٢٤ عين يهودي وزيرا للمالية

وعن نابليون معروف أنه اجتذب اليهود أثناء غـزوه لفلسطين ١٧٩٩م، فوجه نداء الى يهود العالم للانضمام اليه لاعادة مجد اسـرائيل المشتت فـي القدس لاستغلال نفوذهم في الدول العثمانية، وكذلك البرنس دي لسـينيه الـذي كتب لامبراطور النمسا يستحثه وهنا تحولت الدعوة الدينية التوراتية الى دعـوة سياسية هي الحركة الصهيونية والجمعيات السرية الأخرى.. وقـام اليـهودي الثري-البريطاني(مونتوفيوري) المقرب من بلاط وريثة التاج البريطاني الملكة فيكتوريا، بتحريك نشاط هذه الحركة. فأقنع رئيس وزرائها(بالمرستون)فـأوفده الى محمد علي باشا في مصر وقابله مونتوفيوري واقنعه باستئجار ١٠٠-٢٠٠ قرية فلسطينية لاستثمارها خمسين سنة. وتعهد محمد علي بالترخيص لليهود في شراء مساحة يستطيعون أن يجدوها في سورية وتمنح لهم بمجرد طلبهم الا أن حروب محمد علي ضد الامبراطورية العثمانية فوتت الفرصة على مونتوفيوري -والانكليز حيث أحبطت حرب محمد علي ضد الأتراك بتدخل الجيش الروسـي وتدخل الدول الكبرى وضمت سورية بما فيها فلسطين الى تركيا وادارتها مـن حكام الباب العالي مقابل حكم مصر وراثيا له.. وبدأت النشاطات البريطانيـة تتصاعد من أجل(تحويل سورية ومن ضمنها فلسطين الى دومينون انكلـيزي) عن طريق اليهود وفي ١٨٥٣/١/٢٥ أعلن العقيد جورج غاولر في البرلمـان البريطاني (حاكم جنوب استراليا السابق) أن العناية الالهية وضعـت سـورية ومصر على طريق انكلترا.. بواسطة الشعب المختار الملائم للقيام بهذه الرسالة لانهم أبناء الأرض الحقيقيون(١) وجاء في مذكرات تشرشل مايلي:"إذا اتيح لنا في حياتنا، وهو ماسيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية، لافي فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معاً، فاننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية(١) " وقد تحقق حلم تشرشل وبـدأت هجرة اليهود ليس من بريطانيا والغرب فقط، بل ومن الدول العربيـة أيضـاً، حيث اتفق اليهود مع بعض الموالين لهم من العرب-في العراق مثلاً عن طريق نوري السعيد بتهجير اليهودقسراً الى فلسطين باحداث هجوم بتفجير قنابل فـي الحي اليهودي-لارغامهم على الهجرة وقد اكتشفت الشرطـة العراقيـة هـذه المنظمة السرية الصهيونية فأعدمت رؤوسها.. وسمت عملية خروج اليهود من

هو يوسف قطاوي باشا. وكان لهم مجلس نواب ممثلون.. ومسرح كذلك (مسرح يعقوب صنوع) وفالعراق كان ساسون حسقيل وزير مالية حكومة فيصل..

(١) سوكولوف :تاريخ الصهيونية N.Soclov.Op.Vol # .P٣٦٦/The History Of Zionizm

(١) راجع الصهيونية لخيري حماد ص:٦٨-٧٠

العراق بعملية(علي بابا) راجع كتاب اسرائيل لينتال ص:٣١٥. ولاننسى القول بأن اليهود الذين أسموا "تورشن بالمسيح اليهودي المنتظر فان يهود الأمس قـد نعتوا بلفور بالمسيح اليهودي الثاني المنتظر.

وبقيت نشاطاتهم مستمرة وهجرتهم متزايدة حتى صاروا بمساعدة بريطانية على مشارف(الدولة).. الى أن قامت الولايات المتحدة التي تعطف عليهم منـذ قيام الثورة الامريكية بقيادة جورج واشنطن.. وإعلان حقوق الانسان، كما بينا سابقاً، ولم ينصرم عام ١٩٤٤ حتى كان عدد الولايات التي أصدرت توصيات بتحقق المطالب الصهيونية، ثلاثاً وثلاثين ولاية، وقد استغل الصهاينة وممثلوهم في الحكومات الأمريكية والوزارات ومجلس الشيوخ والكونغـرس، ولامبـالاة الرأي العام الأمريكي، في دعم الصهاينة واقامة دولة لهم في فلسطين.. وليس من قبيل الصدفة أن تدعم الولايات المتحدة هذا الكيان-الجسر الموصل ما بين المياه الدافئة والمحيطات لجعل المتوسط بحيرة صغيرة تقـف اسـرائيل علـى طرفه الشرقي وتهمش قناة السويس فتكون الجسر مابين الغرب والشرق وتكسر كل الأعماق الاستراتيجية العربية وتقيم النظام العـالمي الجديـد الـذي تقـف اسرائيل على رأسه في الشرق الأوسط.. وهذا واضـح فـي ورقـة الـدولار الامريكي:In God We Trust لكن ماهوية هذا الدعم...

نجد على الوجه الأول للدولار صورة لرئيس أمريكي، وعلى الوجه الأخر هناك رسمان أحدهما على اليمين لنسر ألبس الزي الأمريكي وقد بسط جناحيـة وأطلق ساقيه وقبض في منقاره على شريط يحمل شعاراً عدد حروفه ١٣ ثلاثة عشر حرفا هي"P.PLURIBUSUNOM" ومعناها كلنا واحد وترمز الى مقولـة توراتية هي: من التشرذم الى الوحدة وفي مخالب النسر اليمنى غصن غار أو زيتون عدد أوراقه ١٣ ثلاث عشرة أيضا: ومخالبه (اليسرى) تقبض على جعبة سهام عددها ١٣ ثلاثة عشر سهماً أيضا وفوق النسر دائرة بشكل ميدالية تحمل ١٣ ثلاثة عشر نجما أيضا وتشكل بمجموعها نجمة داوود. وفي الجانب الأيسر لورقة الدولار صورة لهرم الجيزة في مصر لم يكتمل بناؤه، وعـدد مداميكـه بالطبع ١٣ ثلاثة عشر مدماكا، ومؤلفة من ٧٢اثنين وسبعين حجراً وفيها حجر مكسور، وتحت قاعدة الهرم تاريخ اعلان استقلال الولايات المتحدة الـــ(١٣) الثلاث عشرة التي اتحدت فيما بيها لتشكل نواة الولايات المتحـــدة الأمريكيـة ١٧٧٦/٧/٤MDCCLXXVI (والولايات هي-فرجينيـا-ماسـويتش-مريلانـد-نيوهاشاير-دويلاوير-وردايلاند-كارولينا الشماليـــة-كاروولينـا الجنوبيـة - بنسلفانيا-جورجيا-نيوجرسي-نيويورك-وكونكتيكت) وفوق الهرم مثلث وضمنه عين شعشانية ترصد العالم عبر دائرة نورانية كتب فوقها جملة عدد حروفـــها بالطبع ١٣ ثلاثة عشر هي:ANUITICOEPTIS ومعناها: تم الاتفـاق علـى

الشيء-أو اتفق على مابدئ به، أي قيام الولايات المتحدة والتي تهدف الى اقامة النظام العالمي الجديد وقد كتب على إطار (سنبلة) تحت الهرم:NOVUS SECLORUM وهي ١٣ حرفا أيضا وبالطبع سيبدأ العمل به حين اكتمال الهرم وذلك بعد اتمام الحجر الناقص منه ويعني اسرائيل على قمته، وهذا يفهم من السياق والنصوص التوراتية، وقد نوه الاسرائيليون بأنه سيعرض أيضا على العرب انطلاقا من أرض الاهرامات ثم تتسيد اسرائيل على الدول العربية التي اقترحتها وهي التي تكون كنعان والكنانة مجتمعة.

وفي أسفل الورقة(الدولار) جمله هي The Great Seal وتعني النقد الأعظم أو العملة الكبرى التي يمثلها الدولار بعد اتفاق "وول ستريت" في بريتون ١٩٤٤. وقد ساهمت المنظمات الصهيونية فيه وأعطى هذا اللقب الماسوني "الأعظم" وهذا هو الرمز الذي يشير الى الاله الذي يثقون به كما ينص الدولار:In God We trust

وجاءت في كتب اليهود التفسيرية السبعة(التلمود-الزوهار-والقبالة-الميركافا-سفر يلتزيراه-نبوات حزقيال البروتوكولات) أن رقم (١٣) يعني اسباط يعقوب (وأولاده) ونذكر هنا أنه بعد صعود السيد المسيح الى المشنقة(الصلب) فقد شنق يهوذا نفسه فنقص العدد الى ١١ وأعيد تكوين المجمع الأول(السنهدرين) بانتخاب متياس ويوسف الذي يدعى باراسابا الملقب يوسفوس، فأعيد بذلك العدد(١٣) أي انتخبوا اثنين بدلاً من واحد يهوذا-يوضاس. وادعوا أن يسوع المسيح لم يغب وسيعود تغطية على فعلتهم التي قام بتنفيذها مجمع السنهدرين نفسه كما مر معنا. لذلك بقوا على واحد، فصار الرقم (١٣) وهذا هو تفسير الرقم (١٣) حسب النصوص التوراتية.. أما الرقم(٧٢) في عدد حجارة الهرم(من أحد وجوهه) ويرمز الى عدد اليهود الذين حضروا الى مصر حين استدعاهم يوسف بعد استقباله والده يعقوب، ثم اجتماع موسى وهرون مع ٧٠ شخصاً من اسرائيل، اجتماعهم بـ(يهوه) للتعارف في جبل حوريب في مصر، وبهذا يصبح العدد٧٢. ثم إن عدد اليهود الذين اجتمعوا في جزيرة فاراس بناء على امر ديمتروس في عهد بطليموس مابين القرن الثاني-الأول-قبل الميلاد لوضع أسس التوراة المسماة بالتوراة السبعينية أو اليونانية كان ٧٢ بالطبع. وليس هذا اكتشافاً جديداً، وقام كثيرون بالكتابة حول ورقة الدولار ورموزها ومنذ ١٩٤٤ حتى الآن.. لكن من المستحسن أن نعيد مرة أخرى أن اعلان حقوق الانسان في الولايات المتحدة كان في صالح اليهود الذين وضعوا رؤوس أموالهم في خدمة النظام الامريكي وحكوماته المتعاقبة منذ ذلك الوقت حتى الآن.. وقد كان لليهود في كل حكومة وفي كل مجلس شيوخ ونواب، ممثلون عديدون.. وأثمرت جهودهم و" بركاتهم" أن وضعوا هذه

الرموز على ورقة الدولار، منطلقين من عبارة خرافية عنصريـــة وردت فـــي كتاب الزوهر وهي أن(ليس غير المؤمن مــن يفــهم التــوراة، وأن الآخريــن يقرؤونه ولايفهمونه) وهذا ليس غريباً على انسان متخلــف وقـــاصر النظـــرة ضعيف البصيرة والمنطق من أن يدعي لنفسه الفهم وأنه يحمل ســـر الكـــون وتتفيه الآخرين...

لاليس غريبا فقد حصل هذا كله بعون الولايات المتحدة التي تبرر(دولـــة) اسرائيل وجرائمها دون أي تحفظ.. هذه(الدولة) التي تقوم على أساس لاهوتي- وثني.. وتسميه ديمقراطية... إن حق القوة هو باطل.. وباطل القـــوة طـــاغ.. .وإن الحيتان بعدما تشيخ وتحتقن بالدم جراء ضحاياها، تزحف الـــى الشـــاطئ وترطم نفسها حتى تتخلص من الدم المحتقن.. فتقتل نفسها.. وقد احتقنت هـــذه الحيتان كثيراً وحان محانها وإن للباطل جولة..

وفي نهاية هذا البحث أتوجه بالشكر والامتنان الى المفكر الفرنسي الحر روجيـــه غارودي-آخر شهود هذا القرن.. والى المؤرخ الفرنسي النبيل بيير روسي اللذين تفضلا وقدما لهذا الكتاب.. فشاركا في مبتغانا من هذا الكتاب...



المراجع العربية

❖ القرآن الكريم.

❖ الأمين محمود، ولطفي الخوري ـ الأدب العالمي ـ رسائل الآباء إلى الأبناء ـ بغداد ١٩٦٣.

❖ ابن خلدون، عبد الرحمن - المقدمة وتاريخه -عدة طبعات.

❖ ابن النديم -الفهرست -عدة طبعات.

❖ الاحمد، سامي سعيد - الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية -عدة طبعات.

❖ الامريكية، دائرة المعارف، والعهد القديم، والعهد الجديد، الآباء اليسوعيون -بيروت ١٩٦٢.

❖ ارمان، أدولف: ديانة مصر القديمة.

❖ أبو عسل، ايلي ليفي - يقظة العالم اليهودي - القاهرة ١٩٣٤.

❖ أبو شبكة، الياس - ديوان أبي شبكة - بيروت ١٩٦١.

❖ الباب، حسن فتح:-المؤامرات اليهودية من خيبر إلى القدس- القاهرة.

❖ الشبل، د. فؤاد: دور مصر في تكوين الحضارة، مشكلة اليهودية العالمية. القاهرة ١٩٧٢.

❖ امبرازي نقولا - رواية الحاخام اسحق - ترجمة يوحنا حزبون ١٩٢٩.

❖ البستاني، سيف الدين- أوقفوا هذا السرطان-دمشق دار النهضة العربية ١٩٥٥.

❖ ايمار، أندريه وجانين أو بوايه -تاريخ الحضارات العام -باشراف موريس كروزيه -بيروت ١٩٦٤.

❖ بدج، واليس -الديانات القرعونية القديمة -ترجمة نهاد رضا -ب ت.

❖ برنار، جان لوي -اسطورة الشعب المختار -ترجمة د. أكرم فاضل ١٩٦٩.

❖ بروتوكولات حكماء صهيون –ترجمة عجاج نويهض –منشورات فلسطين المحتلة، بيروت –١٩٦٤ –١٩٨٠.

❖ بريستد –م– فجر الضمير –ترجمة د. سليم حسن –ب. ت.

❖ بشور، د. وديع:–سورية وقصة الحضارة –سومر وأكاد. ١٩٨٥ –١٩٨٩.

❖ التوراة (الكتاب المقدس) –عدة طبعات –بيروت ١٩٦٢ –١٩٦٨– ١٩٩٦.

❖ الحاج كمال يوسف –حول الفلسفة الصهيونية –سلسلة دراسات نشرت في جريدة النهار البيروتية ١٣/ ١٩٦٧.

❖ الجندي، أنور–المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية –القاهرة ١٩٧٧.

❖ حسين، محمد محمد –حصوننا مهددة من داخلها –الكويت ١٩٦٨.

❖ حداد حسين –أناشيد بعل –بيروت ١٩٨٧.

❖ حمادة، حسين عمر –أدبيات الماسونية –دار المثائق –دمشق ١٩٩٥.

❖ حمادة، محمد عابدين –الثورة الفرنسية –١٩٥١.

❖ الحوراني، يوسف ــ جماليات الحكمة في التراث البابلي ــ ب. ت.

❖ دباغ، فخري ــ غسل الدماغ ــ بيروت ــ دار الطليعة ١٩٨٢.

❖ ديمارس، لوسيان كانرو، العار الصهيوني، آفاقه وكوارثه ــ ب ت.

❖ ديورانت، وول ايريل، قصة الحضارة ــ ج٢ ترجمة فؤاد اندراوس، القاهرة ــ ط الجامعة العربية ١٩٨١.

❖ ربيع، يحيى محمد ــ الكتب المقدسة بين الصحة والتزييف ــ ب ت.

❖ روسي، بيير ــ مدينة ايزيس أو تاريخ العرب الحقيقي ــ وزارة التعليم العالي ١٩٨٠.

❖ روسي، بيير– مفاتيح الحرب – ترجمة الأستاذ الراحل عيسى عصفور – وزارة الثقافة – دمشق ١٩٨٥.

❖ زائد، المطران أبيكانوس –اليهود وقتل المسيح –دار الوثبة –بيروت ب.ت.

❖ ستيوارت، لوثروب –حاضر العالم الاسلامي –ترجمة عجاج نويهض –تعليق شكيب ارسلان –مصر ١٩٢٥.

❖سعد الدين، ليلى –مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفارا –دار الفكر–عمان ١٩٨٤.
❖سليمان –نشيد الانشاد –عدة طبعات.
❖سوسة، أحمد –تاريخ العرب واليهود –عدة طبعات –العربي ١٩٦٤ –مرجع هام موسع ووثيق.
❖الشوفي، نزيه– علم السياسة عند ابن خلدون –١٩٨٧.
❖الشوفي، نزيه –غارودي من الفلسفة الى المحكمة –دمشق ١٩٦٦.
❖سميت، جيرالد ل.ك –اليهودي العالمي –ترجمة فتح –مكتب التعبئة والتنظيم والدراسات –١٩٨٣.
❖صوان، جواد –القراءات الملعونة –بلا تاريخ ولادار نشر.
❖طوقان، قدري حافظ –مقام العقل عند العرب –القاهرة دار المعرف ١٩٦٠.
❖غارودي، روجيه–الأساطير المؤسسة للسيتسة الاسرائيلية–ترجمة حافظ الجمالي وصبح جهيم–دار عطية ١٩٩٥ –بيروت.
❖غارودي، روجيه –قضية اسرائيل –دراسة في الصهيونية السياسية –ترجمة نزيه الشوفي –دار المنارة –دمشق ١٩٩٧.
❖غارودي، روجيه –الاسلام –ترجمة وجيه أسعد –دار عطية –١٩٩٦.
❖غارودي، روجيه –فلسطين أرض الرسالات –،–الوجودية –فلسفة استعمارية –ترجمة محمد عيتاني –بيروت ١٩٧٥.
❖علي، جواد –تاريخ العرب قبل الاسلام –عدة طبعات، و–أصنام العرب – مجلة سومر –العدد ٢٣ عام ١٩٦٧.
❖غامكيلوفسكا، كريستينا –الفن في بلاد مابين النهرين –ترجمة د. كبرو لحدو –دار الينابيع –دمشق ١٩٩٥.
❖كلود، جوليان –معرض الحريات –أو حقوق الانسان والسياسة – ترجمة منصور أبو الحسن.



❖ لوبون، غوستاف –الثورة الفرنسية وروح التوراة –ترجمة محمد عادل زعيتر –دمشق ١٩٢٤.

❖ كيلر، الجنرال –القضية العربية في نظر الغرب –ترجمة ميشال حجار –بيروت ١٩٥٤.

❖ كوستلر، آرثر –امبراطورية الخزر –ترجمة د. حمدي متولي مصطفى –دار الجليل –بيروت ١٩٧٦.

❖ كييرا، ادوارد –هنا كتبوا على الطين –بيروت ١٩٧٨.

❖ ليوتاكسيل –التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير –ترجمة احسان اسحاق ١٩٧١.

❖ مجلة كل شيء –مصر –عدد ٤٥٦ –٢٢/ ٤/ ١٩٣٦.

❖ المسيري، د. عبد الوهاب –نهاية التاريخ –دار الاهرام –١٩٧٦.

❖ المسيري، د. عبد الوهاب –موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية –الأهرام –١٩٧٥.

❖ الفاروقي، اسماعيل راجي –الملل المعاصرة في الدين اليهودي –القاهرة –معهد البحوث والدراسات –القاهرة ١٩٦٨.

❖ فريحة، أنيس –ملاحم وأساطير من أوغاريت –بيروت ١٩٦٦.

❖ مقار، شفيق –السحر في التوراة –المسيحية في التوراة –الأساطير والتوراة –بيروت ١٩٨٠–١٩٨١– ١٩٨٢.

❖ ناجي، سليمان –التحركات اليهودية عبر التاريخ –زحف الطاعون المزمن –دمشق النبراس –١٩٦٧.

❖ هابيس، بيير –الصهيونية والشعوب الشهيدة –ترجمة: مفيد وادوار عرنوق –بيروت ١٩٩٠.

❖ الهاشمي، عابد –عقيدة اليهود في تملك فلسطين –بيروت –١٩٧٤.

❖ هيكل، محمد حسين –حياة محمد صلى الله عليه وسلم –مصر ١٩٣٥.

المراجع الانكليزية واليوغسلافية

- G.R.Driver, Hebrew Language Encybrit - L.P.١٩٥١.
- H.R.Gibb, Whither Islam?, London ١٩٣٢
- GARAUDY,Rogen: The case of Iznael- Shrouk-London ١٩٨٢
- I.Ginsburg, The Palestine Talmud .Y. ١٩٤٤.
- J.Cray, TheLegacy Of Canaan,Leiden.١٩٥٧
- J acobson, Before Phylosophy.ch.vtt.١٩٥٧
- L.W.King,chrinicles. concerniny.
- L.W.King,cancerwing Early Babylonian vings.٥
- R.A.Bowman ,The Old Americana Alphabit Of The Tell Halaf American Journal Of Semitic Languages.V.L VIII.١٩٤١.
- Rogers, Onceiform Parollets To Old Testament ١٩٢٤.
- S.Freud , Moiess And Monitheism.١٩٦١.
- S.arton:The Aancient Worlod and modern civrilizetiou.uv.١٩٥٩.
- S.moscati Ancient Semitis Ch.v The Canoantes..
- T.E.Lawiance.The Seven Of Pillors Of Wisdom ١٩٤٢.

وهو مترجم الى العربية، أعمدة الحكمة السبعة ..

- .W.Hegel,Istorija FiLozofije- Belgrade.١٩٥٦
- .W.F.Driver,Hebrew Language Enecybrit ١٩٥٥.
- .W.F.Driver Canaanite Myths And Legends, Edinburge,١٩٥٦.
- .W.Albright,The Role Of Canaanites In The Histoy Of Civilization,١٩٦١
- Z .Markovic, Arapi Izmedju Juci I danas Beograd,١٩٧٠.

صدر للمؤلف

المؤلفات: ١-انهيار الرأسمالية بيروت ١٩٦٦

٢- ١٩٧٢ palestinsko pitanjie .F.P.N.Beograd

٣- قاموس عربي -يوغسلافي -أطلس - دمشق ١٩٧٦

٤- فلسطين في القانون الدولي- جامعة دمشق-اتحاد الطلبة ١٩٨١

٥-الاقتصاد السوري من الاحتلال اليها بعد الاستقلال - جامعة دمشق/اتحاد الطلبة ١٩٨١

٦- طفل العيون - رواية للفتيان - دمشق ١٩٨٧

٧- علم السياسة عند ابن خلدون ١٩٨٧ ٨-عقل الزمن(نقد الثقافة المعاصرة)- دمشق ١٩٩٥

٩- سيف عربي من تنوخ دمشق ١٩٩٣

١٠-غارودي -أخر شهود القرن (من الفلسفة الى المحكمة) -دمشق ١٩٩٦

١١- كشف الحقائق التاريخية-الطبعةالاولى -دمشق ١٩٩٧

الترجمات: ١-التحريفية والجمود العقائدي -در - دمشق ١٩٧٢

٢-الاشتراكية والدولة -الزهراء - دمشق ١٩٧٣

٣-وصايا التوراة -تيتو - وزارةالاعلام -بلغراد ١٩٧٨

٤-العيش شيء رائع يا عزيزي-رواية ناظم حكمت ١٩٨٣

٥-نظرية الرواية- جورج لوكاتش - دمشق ١٩٨٨

٦-الصيف -ألبير كامو -دمشق ١٩٩٢

٧-ميثاق الامم المتحدة ومحكمة العدل - دمشق ١٩٩٣

٨-قضية اسرائيل -غارودي - المنارة - دمشق١٩٩٦

تحت الطبع : امية (أبو الصلت) بن عبد العزيزالداني الاندلسي -تحقيق:

١-ديوان أمية-٢-الرسالة المصرية٣-الاصطرلاب ٤-الأدوية المفردة

٤-الشورانية (عدالة عمر بن الخطاب) في منظور العلوم السياسية المعاصرة

٥-الاتجاهات الهدامة في الثقافة العربية(من التنوير الى التطبيع).



الفهرس




www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

في هذا البحث الذي بين أيـــدينا، يقدم مؤلفه الأســـتاذ نزيه الشوفي قراءة عميـــقة لبعض ما يجعله الفكر الصهيـوني "عمقاً تاريخيـــاً" له.

فهو يـــقدم هذا "العمق" ليــفككه ويـــكتشف، عبر ذلك، كيف يتجه ذلك الفكر إلى "عمقه التاريخـي" أي كيـف يـبحث عن أســوأ ما في الــتاريـخ اليـهودي وربما كذلك التاريـخ عامة من عناصر تحفز على الإنحطاط والبربرية والعرقية واستباحة "الأغيار- الغوييم" على نحو مذهل.

والاســـتاذ الــشــوفي، في هذا وذاك، يــنطلــق من موقعين اثنين كبيريــن يــكادان أن يــكونا "راهناً" قد أدخلا حيز الغياب أو التغييب وربما كذلــك "الحـظر"، وهما الإحكام الــبحثي المــوضوعي والالتزام الواعي والحذر والمنفتح بقضايـــا الأمة المهددة من داخلها. لهذا - ولغيره من الاســباب - جديــر بهذا البحث أن يــكون موضع تبصّر وحوار نقدي في أوســاط الــفكر العربي الطامح إلى القيـام بدور وعي المطابقة مع الــواقع الــعربي ووعي الــتجاوز الــتاريخـي المــتقدم، في آن..

• الدكتور طيب تيزيني